رشاد محمود أحمد

المسلك السهل

من التوبة إلى النحل

وكيف تحفظها فى

١٠٠ يوم

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهـــــر
مجمـــع البحـــوث الاســـــلامية
الادارة العـــــامة
للبحـــوث والتـــاليف والترجمـــة



الســيد / رشاد محمود ....

الســلام عليــكم ورحمـــة اللــه وبركاته ـــ وبعـــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : المسلك السهل من العقيدة إلى الحل .. تاليفكم (١٩٢) صفحة ..

نفيد بان الــكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مــانع من طبعـــه على نفقتــكم الخـــاصة .

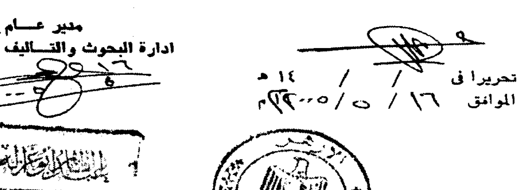
مع التـــاكيد على ضرورة العنـــاية التامة بكتـــابة الآيات القـــرآنية والاحاديث النبـــوية الشريفـــة .

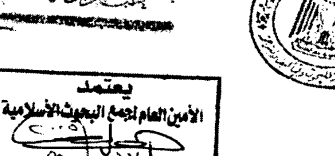
واللـــــه المـــــوفق ،،،

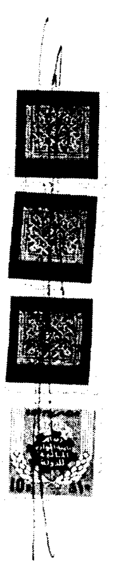
والســـلام عليــكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ،،،

تحريرا فى / / ١٤ هـ
الموافق ١٦ / ٥ / ٢٠٠٥م

مدير عـــام
ادارة البحوث والتـــاليف والترجمـــة







المسلك السهل

من التوبة إلى النحل

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع ٢٠٠٥/١٠٥٤٩
I. S. B. N. 977-225-208-2

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى له الحمد كله ، وله الفضل كله ، وله الخلق والأمر كله ، الحمد لله الذى أنزل كتابه المبين ، هداية للعالمين ، ونورًا للمؤمنين ، ومحجّة للسالكين ، وحجّة على خلق الله أجمعين ، والحمد لله الذى جعلنا بكتابه مؤمنين ، وله تابعين ، بصّرنا به من العمى ، وعلّمنا به من الجهالة ، وهدانا به من الضلالة ، وجعله لنا ذكرًا وعزة وشرفًا فى الدنيا والآخرة فالسعيد من خلق الله من تعلّمه وعمل به ، واتخذه قائدًا ، فائتمر بأمره ، ووقف عند نهيه ، وأسلم إليه قياده ، فأوصله إلى جنة الرضوان ، والشقى من أعرض عنه ، وجعله وراءه ظهريًا ، وخالفه فى أمره ونهيه ، فكبّه على وجهه فى دار الخسران .

وبعد فإنى رأيت تقديم هذا الجهد إلى إخوانى فى الله ليعينهم على فهم وتدبر القرآن الكريم ، ويعينهم على حفظ آياته .

وللوصول إلى هذا الهدف الشريف أضع بين يدى الراغبين فى حفظ القرآن أسلوبًا سهلاً وطريقة جديدة أسأل الله أن يتقبلها منى خالصة لوجهه الكريم ، وليعلم المحب فى الله أن الأمر يسير بعونه تعالى على من التزم بهذه الخطوات الموضحة فيما بعد ، وليسر فيها خطوة خطوة لا يتعدى إحداهما الأخرى وبنفس الترتيب .

وإلى البيان الموضح لهذا البرنامج . . . إلى التجارة التى لن تبور ، إلى حفظ وفهم كتاب الله ليشفع لنا يوم لا ظل إلا ظله .

أولاً : فكرة الكتاب :

قبل البدء تذكر : أن العلم نور ، ونور الله لا يُهدى لعاص ، واستعن بالله ليشرح صدرك ، وقل : اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً .

١ - هذا الكتاب يُبدئ بمقدمة عامة للتعرف على موضوعات السورة وخطوطها العريضة فى رحلة تشملها من أول آية إلى آخر آية .

٢ - تُقسم السورة إلى عدة موضوعات تطول أو تقصر حسب الموضوع .

٣ ـ لكل درس : عنوان ، وعدد آيات ، وبرنامج للحفظ تحديدًا بعدد الأيام .
٤ ـ والخطوة الأخيرة هى : شرح الآيات كل على حدة ، آية . . آية .
٥ ـ فى أسفل الصفحة معانى الكلمات .

ثانيًا: طريقة التطبيق:

١ ـ اقرأ : (هذه السورة) وفيها ستتعرف على موضوعاتها وشخصياتها لتعيش فى جوها .
٢ ـ اقرأ : الدرس الذى ستبدأ فى حفظه ولتتعرف على آياته وموضوعه .
٣ ـ انتقل بعد ذلك إلى المصحف فى الداخل لتقرأ شرح آيات الدرس فقط .

ثالثًا: كيف تحفظ:

١ ـ حاول أن تقرأ على شيخ أو معلم أو أخ لك يجيد أحكام التلاوة لتطمئن على الحفظ بطريقة صحيحة (ومن الممكن سماع شريط تسجيل لآيات الدرس من مقرئ) .
٢ ـ احضر كشكولاً وقسم الصفحة بداية ونهاية حسب صفحة المصحف الذى معك لتكتب الآية التى حفظتها ، فهذا الأسلوب يفيدك فى رسم الآية فى ذاكرتك .
٣ ـ احفظ من مصحف واحد (أى طبعة معينة) لأن صفحته سترتسم أمام عينيك .
٤ ـ ردد ما حفظته دومًا ـ فى صلاتك (الفرائض والنوافل) .
٥ ـ عند البدء فى درس جديد تأكد من مراجعة الدرس السابق .

وفى الختام نورد حديثًا عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ يوصى به على بن أبى طالب رضى الله عنه عندما شكا له تفلت القرآن من صدره ، وهذا نصه :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء علىّ بن أبى طالب فقال : بأبى أنت وأمى تَفَلَّتَ هذا القرآن من صدرى ، فما أجدنى أقدر عليه ، فقال له رسول الله ﷺ : «يا أبا الحسن : أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، وينفع بهنّ من علمته ، ويُثبت ما تعلمت فى صدرك ؟» قال : أجل يا رسول الله فعلمنى ، قال : «إذا كان ليلة الجمعة ، فإن استطعت أن تقوم ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة ، والدعاء فيها مستجاب ، وقد قال أخى يعقوب لبنيه : ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ ـ يقول : حتى تأتى ليلة الجمعة ، فإن لم تستطع فقم فى وسطها ، فإن لم تستطع فقم فى أولها ، فصلّ أربع ركعات تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم (الدخان) ، وفى الركعة

الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل (السجدة)، وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله، وصلِّ علىَّ وأحسن، وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل فى آخر ذلك: اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدًا ما أبقيتنى، وارحمنى أن أتكلفَ ما لا يعنينى وارزقنى حسن النظر فيما يُرضيك عنى، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التى لا تُرام أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تُلزم قلبى حفظَ كتابك كما علمتنى، وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يُرضيك عنى، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التى لا تُرام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تُنوِّر بكتابك بصرى، وأن تُطلق به لسانى، وأن تُفَرِّجَ به عن قلبى، وأن تشرح به صدرى، وأن تغسل به بدنى، فإنه لا يُعيننى على الحق غيرك، ولا يؤتيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جُمع، أو خمسًا، أو سبعًا، تُجَب بإذن الله، والذى بعثنى بالحق ما أخطأ مؤمنًا قط».

قال ابن عباس: فوالله ما لبث علىٌّ إلا خمسًا، أو سبعًا حتى جاء رسول الله ﷺ فى مثل ذلك المجلس، فقال: يا رسول الله، إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن، فإذا قرأتهن على نفسى تفلَّتن، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها، فإذا قرأتها على نفسى فكأنما كتاب الله بين عينى، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث؛ فإذا تحدثت بها لم أُخرِم منها حرفًا، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن»[1].

وفى الختام نسأل الله لنا ولكم التوفيق... فنعم المولى الذى يتولانا جميعًا بحسن ثوابه، وأن يجعل هذا العمل منى فيما يتقبله من صالح أعمال عباده وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب. وصلى الله وسلم وبارك على عبده المجتبى ورسوله المصطفى نبينا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

رشاد محمود أحمد

ت: ٠١٠/٥٠٥٦٣١٤

E-mail : sabilalrahman@masrawy.com

القاهرة فى ١٥ جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ

٢٢ يونيه ٢٠٠٥ م

(١) رواه الترمذى.

فضل تلاوة القرآن الكريم وحفظه وتعليمه

❖ **فضل تلاوة القرآن:**

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠).

قال رسول الله ﷺ: «الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن يتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»(١). وقال ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»(٢). وقال ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله، فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»(٣). وقال ﷺ: «يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»(٤). وقال ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب: منعته الطعام والشهوة، فشفعنى فيه، ويقول القرآن: منعته النوم فى الليل فشفعنى فيه، قال: فيشفعان»(٥). وقال ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل: ورجل آتاه الله مالاً، فهو يهلكه فى الحق، فقال رجل: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل»(٦). وقال أبو هريرة: «إن البيت الذى يتلى فيه القرآن، اتسع بأهله، وكثر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، وإن البيت الذى لا يتلى فيه القرآن، ضاق بأهله، وقل خيره، وخرجت منه الملائكة، وحضرته الشياطين»(٧).

❖ **فضل حفظ القرآن:**

روى ابن عباس مرفوعًا: «إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب»(٨).

(١) متفق عليه: البخارى (٤٦٥٣)، مسلم (٧٩٨).
(٢) مسلم (٨٠٤) من حديث أبى أمامة.
(٣) أحمد (١٩٤٧)، الترمذى (٢٩١٤) من حديث ابن مسعود.
(٤) الترمذى (٢٩٢٦) من حديث أبى سعيد الخدرى.
(٥) أحمد (٦٦٢٦)، الحاكم (٢٠٣٦)، مجمع الزوائد ٨/ ١٨١و١٠/ ٣٨١ من حديث عبد الله بن عمرو وقال الهيثمى: وإسناده حسن.
(٦) البخارى (٤٦٣٨) من حديث أبى هريرة.
(٧) البخارى (٤٧٣٨) من حديث أبى هريرة.
(٨) الترمذى (٢٩١٣) وقال: حسن صحيح.

وكان رسول الله ﷺ يكرم أصحاب القرآن وحملته ويعرف لهم منازلهم، ويقدمهم على غيرهم. فعن أبى هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذوو عدد فاستقرأهم: كل رجل منهم - يعنى ما معه من القرآن - فأتى على رجل من أحدثهم سنًا، فقال: «ما معك يا فلان؟» قال معى كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: «أمعك سورة البقرة؟» قال: نعم. قال: «اذهب فأنت أميرهم»، فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعنى أن أتعلم البقرة إلا خشية ألا أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن واقرأوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه، كمثل جراب محشو مسكًا، يفوح ريحه فى كل مكان، ومن تعلمه فيرقد - وهو فى جوفه - فمثله كمثل جراب أوكى على مسك»[1].

وعنه ﷺ قال: «يجىء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا رب حَلِّه فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حُلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارْق، ويزداد بكل آية حسنة، وليست مثوبة الله فى الآخرة مقصورة على صاحب القرآن وحده، بل إن نورها ليشمل أبويه، وينالهما قبس منه ببركة القرآن»[2].

فعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به، أُلبس يوم القيامة تاجًا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والداه حُلَّتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»[3]، وقال ابن مسعود: «إن أصفر البيوت: بيت ليس فيه شىء من كتاب الله»[4]. ومعنى أصفرها - بالفاء - أى أخلاها من الخير والبركة.

❖ تعليم القرآن:

روى البخارى فى صحيحه عن عثمان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه»[5] فالقرآن أفضل ما يتعلم، وأفضل ما يعلم.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[6].

(١) الترمذى (٢٨٧٦) وقال: حسن.

(٢) الترمذى (٢٩١٥)، والحاكم فى المستدرك (٢٠٢٩)، والبيهقى فى شعب الإيمان (١٩٩٦) من حديث أبى هريرة، قال الترمذى: حسن صحيح.

(٣) ابن أبى شيبة فى مصنفه ٦/ ١٢٩، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ١٥٩، والضعفاء للعقيلى ١/ ١٤٣ مقتصرًا على آخره.

(٤) ابن أبى شيبة (٦/ ١٢٧).

(٥) البخارى (٤٧٣٨)، وأبو داود (١٤٥٢)، وغيرهما.

(٦) مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥)، وابن ماجة (٢٢٥).

سورة التوبة

(مدنية) وآياتها تسع وعشرون ومائة

مدة الحفظ: (١٨ يومًا)

* هذه السورة مدنية من أواخر ما نزل من القرآن - إن لم تكن هى آخر ما نزل من القرآن - ومن ثم قد تضمنت أحكامًا نهائية فى العلاقات بين الأمة المسلمة وسائر الأمم فى الأرض، كما تضمنت تصنيف المجتمع المسلم ذاته، وتحديد مقوماته، وأوضاع كل طائفة فيه، وكل طبقة من طبقاته، ووصف واقع هذا المجتمع بجملته وواقع كل طائفة منه وكل طبقة وصفًا دقيقًا مصورًا مبينًا.

ويمكن الترجيح بنزول السورة فى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: قبل غزوة تبوك فى شهر رجب من العام التاسع من الهجرة.

المرحلة الثانية: كانت فى أثناء الاستعداد لهذه الغزوة ثم فى ثناياها.

المرحلة الثالثة: كانت بعد العودة منها.

* وقد تضمنت السورة ستة مقاطع كالتالى:

المقطع الأول: من أولها إلى ختام الآية الثامنة والعشرين، تحديدًا للعلاقات النهائية بين المعسكر الإسلامى والمشركين عامة فى الجزيرة العربية مع إبراز الأسباب الواقعية والتاريخية والعقيدية التى يقوم عليها هذا التحديد، بالأسلوب القرآنى الموحى المؤثر. وفى تعبيرات قوية الإيقاع حاسمة الدلالة، عميقة التأثير.

المقطع الثانى: تضمن تحديدًا للعلاقات النهائية بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب عامة، مع بيان الأسباب العقيدية والتاريخية والواقعية التى تحتم هذا التحديد وتكشف عن طبيعة الإسلام وحقيقته المستقله، وعن انحراف أهل الكتاب عن دين الله الصحيح عقيدة وسلوكًا.

المقطع الثالث: يبدأ النعى على المتثاقلين الذين دعوا إلى التجهيز للغزوة فتثاقلوا إلى الأرض وتكاسلوا عن النفير، وهؤلاء ليسوا كلهم من المنافقين مما يشى بمشقة هذه الخطوة وهذه الغزوة على النفوس فى ذلك الحين.

المقطع الرابع: فى سياق السورة -وهو أطول مقاطعها وهو يستغرق أكثر من نصفها فى

فضح المنافقين وأفاعيلهم فى المجتمع المسلم، ووصف أحوالهم النفسية والعملية، ومواقفهم فى غزوة تبوك وقبلها وفى أثنائها وما تلاها وكشف حقيقة نواياهم وحيلهم ومعاذيرهم فى التخلف عن الجهاد وبث الضعف والفتنة والفرقة في الصف، وإيذاء الرسول ﷺ والخلص من المؤمنين، يصاحب هذا الكشف تحذير الخلصاء من المؤمنين من كيد المنافقين، وتحديد العلاقات بين هؤلاء وهؤلاء والمفاصلة بين الفريقين وتمييز كل منهما بصفاته وأعماله وهذا القطاع فى الحقيقة فى جسم السورة.

المقطع الخامس: **فى سياق السورة** هو الذى يتولى هذا التصنيف. ومنه نعلم أنه كان إلى جوار السابقين المخلصين من المهاجرين والأنصار -وهم الذين كانوا يؤلفون قاعدة المجتمع المسلم الصلبة القوية -جماعات أخرى. . . . الأعراب وفيهم المخلصون والمنافقون والذين لم تخالط قلوبهم بشاشة الإيمان والمتآمرون الذين يتسترون باسم الدين!

وظاهر من تعدد الطوائف والطبقات والمستويات الإيمانية فى المجتمع المسلم -مدى الخلخلة التى وجدت بعد الفتح، مما كان المجتمع قد برئ منه أو كاد قبيل فتح مكة.

المقطع السادس: فى سياق السورة: يتضمن تقريرًا لطبيعة البيعة الإسلامية مع الله على الجهاد فى سبيله وطبيعة هذا الجهاد وحدوده، وواجب أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب فيه. . . وفى ثنايا هذا المقطع يرد بيان لما قضى الله به فى شأن بعض الذين تخلفوا عن الغزوة مخلصين غير منافقين.

ونعرض قبل الانتهاء من هذه المقدمة السريعة السمات الأصيلة والعميقة فى المنهج الحركى لهذا الدين:

السمة الأولى: هى الواقعية الجدية في منهج هذا الدين، ومن ثم تواجه الحركة الإسلامية هذا الواقع كلاً بما يكافئه. . . تواجهه بالدعوة وبالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها. . إنها حركة لا تكتفى بالبيان فى وجه السلطان المادى. كما أنها لا تستخدم القهر المادى لضمائر الافراد.

السمة الثانية: فى منهج هذا الدين: هى الواقعية الحركية. فهو حركة ذات مراحل. كل مرحلة لها وسائل متكافئة لمتقضاياتها وحاجاتها الواقعية، وكل مرحلة تسلم إلى المرحلة التى تليها، لأنه لا يقابل الواقع بنظريات مجردة.

والسمة الثالثة: هى أن هذه الحركة الدائبة والوسائل المتجددة لا تخرج هذا الدين عن قواعده المحددة، ولا عن أهدافه المرسومة، فهو منذ اليوم الأول سواء، يخاطب الجميع

بقاعدة واحدة ويطلب منهم الانتهاء إلى هدف واحد.

السمة الرابعة: هى ذلك الضبط التشريعى للعلاقات بين المجتمع المسلم وسائر المجتمعات الأخرى.

وأخيراً فإن هذه السورة لم تكتب البسملة فى أولها كبقية السور -فى مصحف عثمان - رضى الله عنه- وهو عمدة المصاحف -وقد روى الترمذى- بإسناده عن ابن عباس قال: [قلت لعثمان بن عفان ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال -وهى من المثانى- وإلى براءة- و هى من المئين- وقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ ووضعتموها في السبع الطوال؟ ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ كان مما يأتى عليه الزمان وهو تتنزل عليه السورة ذات العدد: فكان إذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب فيقول (ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا) وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة. وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن. وكانت قصتها شبيهة بقصتها وخشيت أنها منها. وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها. فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتهما فى السبع الطوال).

وقد وردت صفات كثيرة لسورة براءة فسميت (الفاضحة) لما فضحته من سائر المنافقين ومنها (المنفرة) و (المعبرة) و (المبعثرة) و (المثيرة) و (البعوث) بفتح الباء لتنفيرها وتعبيرها عما فى القلوب وبعثرته وبعثها للمجاهدين. وكذلك (المدمدمة) و (المخزية) و (المشردة).

الدرس الأول

(مواجهة الواقع فى الجزيرة.. والتحدث عن المشركين)

من الآية: (١) قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

إلى الآية: (٢٨) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ..﴾

مدة الحفظ: (٤ أيام)

هذا المقطع من سياق السورة نزل متأخرًا عن بقيتها، وإن كان قد جاء ترتيبه فى مقدماتها، وترتيب الآيات فى السورة كان يتم -كما تقدم- بأمر من رسول الله ﷺ فهو أمر توفيقى منه صلى الله عليه وسلم.

وهو يتضمن إنهاء العهود التى كانت قائمة بين المسلمين والمشركين في ذلك الحين... ومن بين ما يتضمنه كذلك عدم السماح للمشركين بالطواف بالمسجد الحرام أو عمارته فى صورة من الصور بعد ذلك.

* ولذ اقتضت أن تفتتح السورة بهذا الإعلان العام ببراءة الله ورسوله من المشركين، وأن يتكرر إعلان البراءة من الله ورسوله بعد آية واحدة بنفس القوة ونفس النغمة العالية حتى لا يبقى لقلب مؤمن أن يبقى على صلة مع قوم يبرأ الله منهم ويبرأ رسوله. ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

* واقتضت تطمين المؤمنين وتخويف المشركين بأن الله مخزى الكافرين وأن الذين يتولون عن الإيمان لا يعجزون الله ولا يفلتون من عقابه. ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾

* واقتضت استنكار أن يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾

* واقتضت استثارة الذكريات المريرة فى نفوس المسلمين، واستجاشة مشاعر الغيظ والانتقام وشفاء الصدور من أعدائهم وأعداء الله ودين الله ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾

* واقتضت الأمر بالمفاصلة الكاملة على أساس العقيدة، ومقاومة مشاعر القرابة والمصلحة معًا، والتخيير بينها وبين الله ورسوله والجهاد فى سبيله، ووقف المسلمين على

مفرق الطريق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾

* واقتضت تذكيرهم بنصر الله لهم فى مواطن كثيرة، وأقربها يوم حنين الذى هزموا فيه فلم ينصرهم إلا الله بجنده وتثبيته لرسوله ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾

* واقتضت أخيرًا تطمينهم من ناحية الرزق الذى يخشون عليه من كساد الموسم وتعطل التجارة، وتذكيرهم أن الرزق منوط بمشيئة الله، لا بهذه الأسباب الظاهرة التى يظنونها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾

وهذه التوكيدات والتقريرات، وهذه الإيحاءات والاستثارات، وهذه الحملة الطويلة المنوعة الأساليب.. تشى بحالة المجتمع المسلم بعد الفتح، ودخول العناصر الجديدة الكثيرة فيه، وبعد التوسع الأفقى السريع الذى جاء إلى المجتمع المسلم بهذه الأفواج التى لم تنطبع بطابع الإسلام.. ولولا أن مجتمع المدينة كان قد وصل مع الزمن الطويل والتربية الطويلة إلى درجة من الاستقرار والصلابة والخلوص والاستنارة، لكانت هذه الظواهر مثار خطر كبيرعلى وجود الإسلام ذاته.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٠٠) إلى الصفحة رقم (١٠٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث	الرابع
آيات الحفظ	من	١	٧	١٤	٢٣
	إلى	٦	١٣	٢٢	٢٨

الدرس الثانى

(الأحكام النهائية فى العلاقات بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب)

من الآية: (٢٩) من قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾

إلى الآية: (٣٥) إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ...﴾

مدة الحفظ: (يوم واحد)

هذا المقطع الثانى من سياق السورة، يستهدف تقرير الأحكام النهائية فى العلاقات بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب، كما استهدف المقطع الأول منها تقرير الأحكام النهائية فى العلاقات بين هذا المجتمع والمشركين فى الجزيرة.

هذه الأحكام التى يتضمنها هذا المقطع تحتوى تعديلات أساسية فى القواعد التى كانت تقوم عليها العلاقات من قبل بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب.. والتعديل البارز فى هذه الأحكام الجديدة هو الأمر بقتال أهل الكتاب المنحرفين عن دين الله حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.. إنهم لا يُكرهون على اعتناق الإسلام عقيدة، ولكنهم لا يتركون على دينهم إلا إذا أعطوا الجزية... وطبيعة العلاقة الحتمية بين منهج الله ومناهج الجاهلية هى عدم إمكان التعايش إلا فى ظل أوضاع خاصة وشروط خاصة... وطبيعة المنهج الحركى الإسلامى أن يقابل هذا الواقع البشرى بحركة مكافئة له ومتفوقة عليه، فى مراحل متعددة ذات وسائل متجددة.

ومن أجل أن يحدد السياق القرآنى فى هذا المقطع من السورة طبيعة هذه العلاقات، حدد حقيقة ما عليه أهل الكتاب ونص على أنه (شرك) و (كفر) و (باطل)... والنصوص الحاضرة تقرر:

أولاً: أنهم لا يؤمنون بالله ولاباليوم الآخر.

ثانيًا: أنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله.

ثالثًا: أنهم لا يدينون دين الحق.

رابعًا: أن اليهود منهم قالت: عُزَيْر ابن الله، وأن النصارى منهم قالت: المسيح ابن الله.

خامسًا: أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

سادسًا: أنهم محاربون لدين الله يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وأنهم لهذا كافرون.

سابعًا: أن كثيرًا من أحبارهم ورهبانهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله فى مكة.

والآن نأخذ فى شئ من استعراض طبيعة الموقف بين أهل الكتاب والمجتمع المسلم سواء الناحية الموضوعية الثابتة أو من ناحية المواقف التاريخية الواقعية:-

إنها تقرر طبيعة أصلية دائمة للعلاقات ولا تصف حالة مؤقتة ولا عارضة!!!

وإذا ألقينا نظرة سريعة على الواقع التاريخى لهذه العلاقات متمثلة فى أهل الكتاب من اليهود والنصارى -من الإسلام- وأهله على مدار التاريخ تقرر لدينا أنها كانت طبيعة مطردة ثابتة... لقد استقبل اليهود رسول الله ﷺ فى المدينة شر ما يستقبل أهل دين سماوى رسولاً يعرفون صدقة، ودينا يعرفون أنه الحق.

استقبلوه بالدسائس والأكاذيب والشبهات والفتن، شككوا فى رسالة رسول الله واحتضنوا المنافقين وأمدوهم بالشبهات التى ينشرونها.

كذلك شهد التاريخ نقد اليهود لعهودهم مرة بعد مرة .. ثم تابع اليهود كيدهم للإسلام وأهله منذ ذلك التاريخ.. ذلك شأنهم، فهم دومًا وراء كل إثارة فى أى فتنة.. وفى التاريخ الحديث وراء كل كارثة حلت بالمسلمين فى كل مكان. وأما عن الفريق الآخر من أهل الكتاب.. فهو لا يقل إصرارًا على العداوة والحرب من شأن اليهود!... (إن الحروب الصليبية المعروفة بهذا الإسم فى التاريخ لم تكن هى وحدها التى شنتها الكنيسة على الإسلام، لقد بدأت فى الحقيقة منذ ذلك التاريخ البعيد، منذ أن نسى الرومان عداواتهم مع الفرس، وأخذ النصارى يعينون الفرس ضد الإسلام فى جنوب الجزيرة ثم بعد ذلك فى (مؤتة) ثم تلا ذلك موقعة اليرموك (الظافرة).. ثم تجلت ضراوتها ووحشيتها فى الأندلس وكذلك تجلت فى الحروب الصليبية فى الشرق بمثل هذه البشاعة التى لا تتحرج ولا تتذمم ولا تراعى فى المسلمين إلا ولا ذمة.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٠٤) إلى الصفحة رقم (١٠٥)

الدرس الثالث

(إزالة المعوقات لجهاد الروم، وتثاقل البعض فى غزوة تبوك)

من الآية: (٣٦) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا...﴾

إلى الآية: (٤١) إلى قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾

مدة الحفظ: (يوم واحد)

هذا المقطع فى السياق استطرادًا فى إزالة المعوقـات التى كانت قائمة فى طريق النفرة إلى جهاد الـروم وحلفائهم من نصارى العرب فى شـمال الجزيرة.. ذلك أن الاستنفـار -لهذه الغزوة- تبوك- كـان فى رجب من الأشهر الحرم. ولكن كانت هناك ملابسـة واقعة. وهى أن رجب فى هذا العام لم يكن فى مـوعده الحقيـقى! وذلك بسبب (النسئ) الذى ورد فى الآية الثانية -كما سنبين- فقد ورد أن «ذا الحـجة» فى هذا العام لم يكن موعده كذلك، إنما كان «ذى القعدة»! فكأن رجب كان جمادى الآخرة، وسر هذا الاضطراب كله هو اضطراب الجاهلية في تقاليدها، وعدم التزامها بالحرمات إلا شكلاً.

كما أن هذا المقطع يرجح أنه نزل بعد الأمر بالنفير العام لغزوة تبوك لقتال الروم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج إلى غزوة إلا ورّى بغيرها مكيدة فى الحرب إلا هذه الغزوة، فقد صرح بها لبعد الشقة وشدة الزمان... كما وجد المنافقون فرصتهم للتخذيل.

فقالوا: لا تنفروا فى الحر. وخوفوا الناس بُعد الشقة، وحذرهم بأس الروم، وكان لهذه العوامل المختلفة أثرها فـى تثاقل بعض الناس عن النفـرة.. وهذا ما تعـالجه هذه الفـقرة ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ وبمثل هذا الجد في كلمـات الله انطلق الإسلام فى الأرض، يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحـده، وتمت تلك الخارقة فى تلك الفتوح التحريرية الفريدة.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٠٥) إلى الصفحة رقم (١٠٧)

الدرس الرابع

(المنافقون.. وأعراض الضعف المسلم)

من الآية: (٤٢) من قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ...﴾

إلى الآية: (٩٢) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ...﴾

مدة الحفظ: (سبعة أيام)

من هنا يبدأ الحديث عن الطوائف التى ظهرت عليها أعراض الضعف فى الصف.

وبخاصة جماعة المنافقين الذين اندسوا فى صفوف المسلمين باسم الإسلام، بعد أن غلب وظهر... وسنرى فى هذا المقطع كل الظواهر التى تحدثنا عنها فى تقديم السورة كما يصورها السياق القرآنى.

فيبدأ السياق بالنموذج المكرور فى البشرية -ذلك الذى ترسمه تلك الكلمات الخالدة: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾

فكثيرون هم أولئك الذين يتهاوون فى الطريق الصاعد إلى الآفاق الكريمة فيختلفون عن الركب ويميلون إلى غرض تافه أو مطلب رخيص.

ولقد كان أولئك المتخلفون ذوى قدرة على الخروج، لديهم وسائله، وعندهم عدته: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ وتخلفوا مع العجائز والنساء والأطفال الذين لا يستطيعون الغزو.. ولا ينبعثون للجهاد..

* ثم يأخذ السياق فى عرض نماذج منهم ومن معاذيرهم المفتراه، ثم يكشف عما تنطوى عليه صدورهم من التربص بالرسول ﷺ والمسلمين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بمثل هذه المعاذير كان المنافقون يعتذرون. أى: أن منهم من هو أشد عجبًا بالنساء، ويخشى على نفسه النساء وأنه لو رآهن لما صبر عنهن!!!

* وإنهم ليفرحون لما يحل بالمسلمين من مصائب وما ينزل بهم من مشقة: ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾

* ولقد كان منهم من عرض ماله، وهو يعتذر عن الجهاد، ذلك ليمسك العصا من الوسط: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾

* ومن المنافقين من يغمز بالقول، ويعيب على عدالة الرسول فى توزيع الصدقات ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا﴾ ولم يبالوا الحق والعدل والدين! ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾

* ويبين النص الطريق اللائق بالمؤمنين الصادقى الإيمان فنجد أدب النفس وأدب اللسان، وأدب الإيمان، وبعد بيان هذا الأدب في حق الله وحق الرسول، يقرر أن الأمر -مع ذلك- ليس أمر الرسول، إنما هو أمر الله وفريضته وقسمته: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ

والعاملين عليها﴾

* وبعد بيان قواعد الصدقات، التى يرجع إليهـا التوزيع والتقسيم يمضى السياق بعرض صنوف المنافقين، وما يقولون وما يفعلون:

﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن..﴾ إنه سوء الأدب فى حق الرسول.

﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه...﴾ يحلفون على طريقة المنافقين فى كل زمان، الذين يقولون ويفعلون ما يفعلون من وراء الظهور ثم يجبنون عند المواجهة.

* بعد ذلك يعمد السياق إلى تقرير حقيقة المنافقين بصفة عامة وعرض الصفات الرئيسية التى تميزها عن المؤمنين الصادقين. ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم﴾

* وفى مقابل المنافقين والكفار، يقف المؤمنون الصادقون، طبيعة غير الطبيعة، وسلوكًا غير السلوك، ومصيرا غير المصير: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله...﴾

* وبعد بيان صفة المؤمنين الصادقين وصفة المنافقين الذين يدّعون الإيمان... يأمرالله نبيه أن يجاهد الكفار والمنافقين: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾

* ثم يمضى السياق فى عرض نماذج من المنافقين وأحوالهم وأقوالهم من قبل الغزوة وفى ثناياها. ثم ينتقل مرة أخرى إلى الحديث عن المتخلفين عن رسول الله. ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا﴾

* وأخيرا يحدد التبعة، فليس الخروج ضربا لازمًا على من يطيقون ومن لا يطيقون فالإسلام دين اليسر ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله﴾

بمثل هذه الروح انتصر الإسلام، وعزت كلمته...

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٠٧) إلى الصفحة رقم (١١٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	السابع
آيات الحفظ	من	٤٢	٥٠	٦٠	٦٨	٧٣	٨٠	٨٧
	إلى	٤٩	٥٩	٦٧	٧٢	٧٩	٨٦	٩٢

الدرس الخامس

(المتخلفون عن الخروج وتصنيف المجتمع المسلم)

من الآية: (٩٣) من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ . . .﴾

إلى الآية: (١١٠) إلى قوله تعالى: ﴿لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ . . .﴾

مدة الحفظ: (يومان)

يتعرض هذا المقطع بإنباء الله -سبحانه- لنبيه ﷺ عما سيكون من حال المنافقين المتخلفين وأعذارهم إذا رجع من الغزوة سالمًا هو ومن معه من المسلمين الخلص، وتوجيه له ولهم إلى ما يجب أن يجيبوهم به وما يجب أن يعاملوهم به كذلك.

ومن الآية ٩٩ حتى نهاية الدرس الآية ١١٠ تصنيف للمجتمع الإسلامى فى ذلك الحين -إبان غزوة تبوك- يصور طوائفه وطبقاته الإيمانية الداخلة في تركيبه العضوى العام، مع تميز كل منها بصفاته وأعماله. ولقد كان هناك بعض الأسباب التاريخية التى أنشأت هذه المستويات الإيمانية المتعددة في الجماعة المسلمة فى المدينة.

وكان السبب الرئيسى فى ذلك وقفة قريش فى وجه الدين الجديد، بهذه الصورة العنيدة، مدعاة لصرف العرب فى أنحاء الجزيرة عن الدخول فيه، أو على الأقل مدعاة للتردد والانتظار حتى تنجلى المعركة بين قريش وهذا النبى من أبنائها.. فلما دانت قريش بالفتح ودانت بعدها هوازن وثقيف فى الطائف، وكانت قبائل اليهود الثلاث القوية فى المدينة قد كسرت شوكتها نهائيا، فأجليت بنو قينقاع وبنو النضير إلى الشام، وأبيدت بنو قريظة، واستسلمت خيبر الاستسلام الأخير... كان ذلك إيذانًا بدخول الناس فى دين الله أفواجا.

ولولا أن المجتمع المدنى بجملته كان قد تحول إلى أن يكون هو القاعدة الصلبة الخالصة لهذه العقيدة، لكان هناك خطر كبير من هذا الاتساع الأفقى السريع... ولكن الله الذى كان يدبرلهذا الأمر ويرعاه كان قد أعد العصبة المؤلفة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لتكون هى القاعدة الأمينة لهذا الدين بعد التوسع النسبى الذى جاء به انتصار بدر كما أنه -سبحانه- كان قد أعد المجتمع المدنى بجملته ليكون هو القاعدة الأمينة بعد التوسع الشديد السريع الذى جاء بعد فتح مكه.

وأول ما ظهر من ذلك كان يوم حنين الذى جاء عنه فى هذه السورة: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ..﴾

وكان من الأسباب الظاهرة لهذه الهزيمة فى أول الأمر أن ألفين من (الطلقاء) الذين أسلموا يوم الفتح قد خرجوا مع الآلاف العشرة من جند المدينة الذين فتحوا مكة. فكان وجود هذين الألفين -مع عشرة الآلاف- سببًا فى اختلال التوازن في الصف -بالإضافة إلى عامل المفاجأة من هوازن -ذلك أن الجيش لم يكن كله من القاعدة الصلبة الخالصة التى تم ترتيبها وتناسقها فى الزمن الطويل ما بين بدر والفتح.

كذلك كان ما ظهر فى أثناء غزوة تبوك من الإعراض والظواهر المؤذية ثمرة طبيعية لهذا الاتساع الأفقى السريع، ودخول تلك الأفواج الجديدة، بمستوياتها الإيمانية والتنظيمية المخلخلة.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١١٤) إلى الصفحة رقم (١١٧)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٩٣	١٠٣
	إلى	١٠٢	١١٠

الدرس السادس

(الأحكام النهائية فى طبيعة العلاقات بين المجتمع المسلم وغيره)

من الآية: (١١١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم...﴾

إلى الآية: (١٢٩) قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ...﴾

مدة الحفظ: (٣ أيام)

هذا المقطع الأخير من السورة -أو الدرس الأخير فيها- بقية فى الأحكام النهائية فى طبيعة العلاقات بين المجتمع المسلم وغيره، تبدأ من تحديد العلاقة بين المسلم وربه، وتحديد طبيعة (الإسلام) الذى أعلنه، ومن بيان تكاليف هذا الدين، ومنهج الحركة به فى مجالاته الكثيرة.

* إن الدخول فى الإسلام صفقة بين متبايعين... الله -سبحانه- فيها هو المشترى والمؤمن فيها هوالبائع فهى بيعة مع الله... ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾

* والآيات التالية فى السياق تقطع ما بين المؤمنين وبين كل من لم يدخلوا معهم فيها - ولو كانوا أولى قربى... ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ..﴾

* وولاء المؤمن يجب أن يكون خالصًا لله الذى عقد معه تلك الصفقة... ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾

* لقد تجاوز الله عن الذين تخلفوا لمن علم من نواياهم الصدق فتاب عليهم ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾

* ومن ثم بيان محدد لتكاليف البيعة فى أعناق أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾

*ثم تتلاقى الجهود في نهاية المطاف.. ثم تحديد لطريق الحركة الجهادية.. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾

* وعقب البيان المفصل لبيان طبيعة البيعة ومقتضاياتها وتكاليفها وخطها الحركى، يعرض السياق مشهدًا من صفحتين تصوران موقف المنافقين وموقف المؤمنين من هذا القرآن

وهو ينزل بموجبات الإيمان القلبية. . ويندد بالمنافقين. ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾

* ويختم الدرس وتختم معه السورة بآيتين تصوران طبيعة رسول الله ﷺ وحرصه على المؤمنين ورأفته بهم ورحمته مع توجيهه ﷺ إلى الاعتماد على الله وحده والاستغناء عن المعرضين. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

وبهذا يتجلى مدى التركيز على الجهاد وعلى المفاصلة الكاملة على أساس العقيدة وعلى الانطلاق بهذا الدين فى الأرض -وفقا للبيعة على النفس والمال بالجنة للقتل والقتال لتقرير حدود الله والمحافظة عليها، أى لتقرير حاكمية الله للعباد، ومطاردة كل حاكمية مغتصبة معتدية!!

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١١٧) إلى الصفحة رقم (١٢٠)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١١١	١١٨	١٢٣
	إلى	١١٧	١٢٢	١٢٩

سورة يونس

«مكية» وآياتها: تسع ومائة

مدة الحفظ: (١١ يومًا)

هذه السورة

نزلت سورة يونس بعد سورة الإسراء، وظاهر من سياقها أنها لحمة واحدة، تواجه واقعًا متصلاً، حتى ليصعب تقسيمها إلى قطاعات متميزة، وكذلك يبدو الترابط بين المؤثرات المختلفة في السورة.

وقد سميت سورة يونس. بينما قصة يونس فيها لا تتجاوز إشارة سريعة ولكنها مع هذا هي المثل الوحيد البارز للقوم الذين يتداركون أنفسهم قبل مباغتة العذاب لهم فيثوبون إلى ربهم وفي الوقت سعة، وهم وحدهم في تاريخ الدعوات الذين آمنوا جملة بعد تكذيب، فكشف عنهم العذاب الذى أوعدهم به رسولهم قبل وقوعه بهم كما فى سنة الله فى المكذبين المصرّين.

إن القضية التى يتكئ عليها السياق كله هى قضية الألوهية والعبودية، وتجلية حقيقتهما وبيان مقتضيات هذه الحقيقة فى حياة الناس.

نحن هنا مع سورتى يونس وهود فى شبه كبير فى الموضوع وفى طريقة العرض أيضا. والموضوع الرئيسى فى السورة هو ذات الموضوع العام للقرآن المكى، والسورة تتناول محتوياتها وفق طريقتها الخاصة، التى تحدد شخصيتها وملامحها.. ونحن لا نملك فى هذا التقديم- إلا تلخيص هذه المحتويات واحدًا واحدًا فى إجمال حتى يجئ بيانها المفصل في أثناء استعراض النصوص القرآنية:

* إنها تواجه ابتداء موقف المشركين فى مكة من حقيقة الوحى، فتقرر أن الوحى لا عجب فيه: ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾

* وتواجه طلبهم خارقة مادية -غير القرآن- واستعجالهم بالوعيد الذى يسمعون: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾

* وتواجه اضطراب تصورهم لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي

خلقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ . . .﴾

* وتصور لهم حضور الله -سبحانه- وشهوده لكل ما يهم به البشر، وكل ما يزاولون من نية عمل مما يملأ الحس البشرى بالرهبة والروعة. ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾

* كذلك تملأ النفوس بالتوجس والتوقع لبأس الله فى كل لحظة ليخرجوا من الغفلة التى ينشئها الرخاء والنعمة ولا ينخدعوا بازدهار الحياة حولهم فيأمنوا بأس الله الذى يأتى بغتة: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾

* وتواجه اطمئنانهم للحياة الدنيا ورضاهم بها عن الآخرة، وتكذيبهم بلقاء الله بتحذيرهم من هذه الطمأنينة الخادعة، ثم تواجههم بعرض مشاهد متنوعة من مشاهد القيامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾.

* ثم تواجه ما يترتب على اضطراب تصورهم للألوهية، وما يترتب على تكذيبهم بالبعث والآخرة وما يترتب على تكذيبهم بالوحى والنذارة. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾

والسورة تحتشد -فى إبلاغ الحقائق التى تحتويها وتثبيتها وتعميقها واستجاشة القلوب والعقول لها -بشتى المؤثرات الموحية:

*تحتشد السورة بمشاهد هذا الكون وظواهره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾

* وتحتشد بمشاهد الأحداث والتجارب التى يشهدونها بأعينهم ويعيشونها بأنفسهم: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾

* وتحتشد بمصارع الغابرين من المكذبين سواء فى صورة الخبر، أو فى صورة قصص بعض الرسل وتلتقى كلها عند عرض مشاهد التدمير على المكذبين وتهديدهم بمثل هذا المصير. ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾

* وتحتشد بمشاهد القيامة، تعرض عاقبة المكذبين وعاقبة المؤمنين، عرضًا حيًا متحركًا مؤثرًا عميق الإيقاع في القلوب ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾.

* وتحتشد بتحدى المشركين المكذبين بالوحى، أن يأتوا بآية من مثل هذا القرآن ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

وفى كل حال وفى كل وضع وفى كل نظام دان البشر فيه للبشر، دفعوا من أموالهم ومن أرواحهم الضريبة الفادحة. دفعوها للأرباب المتنوعة فى كل حالة!

من أجل ذلك كله تنال قضية الألوهية والعبودية كل تلك العناية فى رسالات الله - سبحانه- وفى كتبه.. وهذه السورة نموذج من تلك العناية... فهى قضية تتعلق بعبدة الأصنام والأوثان فى الجاهليات كلها... جاهليات ما قبل التاريخ وجاهليات التاريخ. وجاهلية القرن العشرين. وكل جاهلية تقوم على أساس من عبادة العباد للعباد.

وإذا جاز تقسيم السورة إلى مقاطع متميزة. فإن أكثر من نصفها الأول يعد مقطعًا واحدًا يتدفق بهذه الموجات المتتابعه. ثم تجئ قصة نوح -ومن بعده فى اختصار- وقصة موسى والإشارة إلى قصة يونس، فتؤلف مقطعا آخر ثم تجئ الإيقاعات الأخيره فى السورة فتؤلف المقطع الأخير.

الدرس الأول

(هذا الكتاب الحكيم)

من الآية: (١) من قوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾

إلى الآية: (٢٥) إلى قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ...﴾

مدة الحفظ: (ثلاثة أيام)

هذا الدرس يبدأ **بحروف** ثلاثة. (ألف. لام. را) كما بدأت سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة الأعراف. يبدأ بهذه الأحرف مبتدأ خبره ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾

ثم يأخذ السياق فى عرض عدة أمور تبدو فيها الحكمة التى أشير إليها فى وصف الكتاب:

١- الوحى إلى الرسول ﷺ لينذر الناس ويبشر المؤمنين والرد على المعترضين ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

٢- خلق السموات والأرض وتدبير الأمر فيهما ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾

٣-جعل الشمس ضياء والقمر نورًا، وتقدير منازل القمر... ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾

٤- اختلاف الليل والنهار وما فيه من حكمة وتدبير ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾

٥- التعرض إلى الغافلين عن آيات الله وما ينتظر هؤلاء الغافلين من سوء مصير: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾

٦- ويسجل حكمة تأجيل المصير إلى يومه الموعود، ولو عجل لهم لانتهى الأجل وأخذوا دون إمهال ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾

٧- ووصف لطبيعة البشر في تلقيهم للشر والخير، وضراعتهم إلى الله عن مس الأذى ونسيانهم له عند كشف الضر: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾.

٨- وعودة إلى طبيعة البشر فى تلقى الرحمة والضر. وعرض نموذج حى من هذه

الطبيعة ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا ﴾

٩- ومشهد يمثل غرور هذه الحياة الدنيا، وبريقها ولألائها الذى ينطفى فى لحظة وأهلها مأخوذون بزخرفها غافلون عن المصير الخاطف المرهوب ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٢١) إلى الصفحة رقم (١٢٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١	١١	٢٠
	إلى	١٠	١٩	٢٥

الدرس الثانى

مواجهة الفطرة البشرية

* بدلائل توحيد الله وصدق الرسول.

* واليقين باليوم الآخر. والعدل فيه.

من الآية: (٢٦) من قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ...﴾

إلى الآية: (٧٠) إلى قوله تعالى: ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ...﴾

مدة الحفظ: (أربعة أيام)

هذا الدرس كله لمسات وجدانية متتابعة، تنتهى كلها إلى هدف واحد: (مواجهة الفطرة البشرية)

فهذه اللمسات تأخذ النفس من أقطارها وتأخذ بها إلى أقطار الكون فى جولة واسعة شاملة.. جولة من الأرض إلى السماء.. ومن آفاق الكون إلى آفاق النفس.. ومن ماض القرون إلى الحاضر القريب..ومن الدنيا إلى الآخرة.

وفى هذا الدرس لمسات وجولات من آفاق الكون إلى آفاق النفس ومن ماضى القرون إلى الحاضر القريب ومن الدنيا إلى الآخرة.

فمن معرض الحشر:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾

إلى مشاهد الكون:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾

إلى ذات النفس:

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾

إلى التحدى بالقرآن:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾

إلى التذكير بمصائر المكذبين من الماضين:

﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾

ومن ثم لمحة عابرة من الحشر:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾

إلى تخويف من المفاجأة بالعذاب: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا﴾

إلى تصوير علم الله الشامل:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾

إلى بعض آيات الله فى الكون: ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾

إلى الإنذار بما ينتظر المفترين على الله: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾

لا يفلحون أى فلاح. لا يفلحون فى شعب ولا طريق. لا يفلحون في الدنيا ولا فى الآخرة.

والفلاح الحقيقى هو الذى ينشأ من مسايرة سنن الله الصحيحة، المؤدية إلى الخير.

إنها جملة من اللمسات العميقة الصادقة، لا تملك فطرة سليمة التلقى، صحيحة الاستجابة، ألا تستجيب لها، وألا تتذاوب الحواجز والموانع فيها دون هذا الفيض من المؤثرات المستمدة من الحقائق الواقعة، ومن فطرة الكون وفطرة النفس وطبائع الوجود.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٢٥) إلى الصفحة رقم (١٢٩)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث	الرابع
آيات الحفظ	من	٢٦	٣٧	٥٣	٦١
	إلى	٣٦	٥٢	٦٠	٧٠

الدرس الثالث

(عاقبة المكذبين)

من الآية: (٧١) قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ...﴾

إلى الآية: (١٠٣) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾

مدة الحفظ: (ثلاثة أيام)

* سبقت الإشارة فى هذه السورة إلى القرون الخالية، وما كان من عاقبة تكذيبهم لرسلهم، واستخلاف من بعدهم لاختبارهم:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾

* كما سبقت الإشارة بأن لكل أمة رسولاً فإذا جاءهم رسولهم قضى بينهم بالقسط:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾

* فالآن يأخذ السياق فى جولة تفصيلية لهاتين الإشارتين، فيسوق طرفًا من قصة نوح مع قومه، وطرفًا من قصة موسى مع فرعون وملئه، تتحقق فيهما عاقبة التكذيب والقضاء فى أمرالأمة بعد مجئ رسولها، وإبلاغها رسالته، وتحذيرها عاقبة المخالفة.

* كذلك تجئ إشارة عابرة لقصة يونس الذى آمنت قريته بعد أن كاد يحل بها العذاب، فرفع عنها ونجت منه بالإيمان... وهى لمسة من ناحية أخرى تزين الإيمان للمكذبين، لعلهم يتقون العذاب الذى ينذرون. ولا تكون عاقبتهم كعاقبة قوم نوح وقوم موسى المهلكين.

* وقد انتهى الدرس الماضى بتكليف الرسول ﷺ أن يعلن عاقبة الذين يفترون على الله الكذب وينسبون إليه شركاء: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾

* واستمر السياق بتكليف جديد: أن يقص عليهم ﷺ نبأ نوح فيما يختص بتحديه لقومه ثم ما كان من نجاته ومن آمنوا معه واستخلافهم فى الأرض، وهلاك المكذبين وهم أقوى وأكثر عددًا.

إن سنة الله لا تتخلف، وعاقبة المكذبين معروفة، وليس لهم أن يتوقعوا من سنة الله أن تتخلف. وقد يُنظرهم الله فلا يأخذهم بعذاب الاستئصال، ولكن الذين يصرون على التكذيب لا بد لهم من النكال:

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾ ﴿قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾

وهو التهديد الذى ينهى الجدل ولكنه يخلع القلوب.

وتجئ العبرة الأخيرة من ذلك القصص وذلك التعقيب:

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

إنها الكلمة التى كتبها الله على نفسه: أن تبقى البذرة المؤمنة وتنبت وتنجو بعد كل إيذاء وكل خطر، وبعد كل تكذيب وكل تعذيب.. هكذا كان -القصص المروى فى السورة شاهدًا- وهكذا يكون.. فليطمئن المؤمنون...

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٣٠) إلى الصفحة رقم (١٣٣)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٧١	٨٢	٩٤
	إلى	٨١	٩٣	١٠٣

الدرس الرابع

جولات حول العقيدة

من الآية: (١٠٤) قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي...﴾

إلى الآية: (١٠٩) قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ...﴾

مدة الحفظ: (يوم واحد)

هذه خاتمة السورة، وخاتمة المطاف لتلك الجولات فى شتى الآفاق، تلك الجولات التى نحس أننا عائدون فيها بعد سياحات طويلة فى آفاق الكون، وجوانب النفس، وعوالم الفكر والشعور والتأملات. عائدون منها فى مثل الإجهاد من طول التطواف.

هذه خاتمة السورة التى تضمنت تلك الجولات حول العقيدة فى مسائلها الرئيسية الكبيرة:

- توحيد الربوبية والقوامة والحاكمية ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾

- نفى الشركاء والشفعاء ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

-ورجعة الأمر كله إلى الله ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾

- وسننه المقدرة التى لا يملك أحد تحويلها ولا تبديلها ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾

-والحق الخالص الذى جاء به والبعث واليوم الآخر والقسط فى الجزاء ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

ها هى ذى كلها تلخص فى هذه الخاتمة، ويكلف الرسول ﷺ أن يعلنها للناس إعلانًا عامًا، وأن يلقى إليهم بالكلمة الأخيرة الحاسمة: أنه ماض فى خطته، مستقيم على طريقته، حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٣٣) إلى الصفحة رقم (١٣٤)

سورة هود

(مدنية) وآياتها ثلاث وعشرون ومائة

مدة الحفظ: (١٣ يومًا)

هذه السورة

لقد نزلت السورة بجملتها بعد يونس. ونزلت يونس بعد الإسراء. وهذا يحدد معالم الفترة التى نزلت فيها، وهى من أحرج الفترات وأشقها كما قلنا فى تاريخ الدعوة بمكة. فقد سبقها موت أبى طالب وخديجة، وجرأة المشركين على ما لم يكونوا ليجرؤوا عليه فى حياة أبى طالب -وخاصة بعد حادث الإسراء وغرابته، واستهزاء المشركين به، وارتداد بعض من كانوا أسلموا قبله

قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا فى عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة -وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها- ويهلك عمه أبو طالب- وكان له عضدا وحرزًا فى أمره، ومنعة وناصرًا على قومه - وذلك قبل مهاجرته إلى المدينة بثلاث سنين. فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبى طالب، حتى اعترضه سَفِيهٌ من سفهاء قريش، فنثر على رأسه ترابًا.

وقال المقريزى فى إمتاع الأسماع: فعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بموتهما وسماه (عام الحزن) وقال [ما نالت قريش منى شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب] لأنه لم يكن فى عشيرته وأعمامه حاميًا لـه ولا ذابًا عنه غيره، وآثار هذه الفترة وجوها وظلالها واضحة فى جو السورة فى سمات عدة نشير إلى بعض منها:

* استعراض السورة لحركة العقيدة الإسلامية فى التاريخ البشرى كله من لدن نوح - عليه السلام- إلى عهد محمد ﷺ فكلهم قالوا: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.)

* ومن ذلك عرض مواقف الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- وهم يتلقون الإعراض والتكذيب والسخرية والاستهزاء، والتهديد والإيذاء، بالصبر والثقة بما معهم من الحق، وفى نصر الله الذى لا شك آت، ثم تصديق العواقب فى الدنيا -وفى الآخرة كذلك- لظن الرسل الكرام بوليهم القادر العظيم، بالتدمير على المكذبين، وبالنجاة للمؤمنين.

تستعرض السورة قصة نوح وقصة هود وقصة صالح وقصة شعيب.

* ومن ذلك التعقيب على هذا القصص بتوجيه رسول الله ﷺ إلى دلالته: والتسرية عنه بما أصاب إخوانه الكرام قبله، وبما أولاهم الله من رعايته ونصره، وتوجيهه ﷺ إلى مفاصلة المكذبين من قومه كما فاصل الرسل الكرام أقوامهم على الحق الذى أرسلوا به: فبعد نهاية قصة نوح نجد هذا التعقيب: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

وفى نهاية القصص الوارد فى السورة نجد تعقيبا طويلاً إلى ختام السورة: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ إلخ

وهكذا نجد القصص فى القرآن يواجه مقتضيات الحركة والمعركة مع الجاهلية في مراحلها المختلفة مواجهة حية فاعلة.

* والقصص فى سورة يونس مجمل،أما فى هذه السورة فالقصص فيها هو جسم السورة لذلك تجد تركيب السورة يحتوى على ثلاثة قطاعات متميزة:

القطاع الأول: يتضمن حقائق العقيدة فى مقدمة السورة ويشغل حيزًا محدودًا.

القطاع الثانى: يتضمن حركة هذه الحقيقة فى التاريخ ويشغل معظم سياق السورة.

القطاع الثالث: يتضمن التعقيب على هذه الحركة في حيز كذلك محدود وهذه الحقائق الأساسية التي تستهدف السورة تقريرها هى:

١- أن ما جاء به النبى ﷺ وما جاء به الرسل من قبله حقيقة واحدة موحى بها من عند الله -سبحانه- وهى تقوم على الدَّينونة لله وحده بلا شريك.

٢- ولكى يدين الناس لله وحده بالربوبية. فإن السورة تتولى تعريفها به سبحانه وتقرر كذلك أنهم فى قبضته فى هذه الدنيا وأنهم راجعون إليه يوم القيامة ليجزيهم الجزاء الأخير.

* وتحتوى السورة الكثيرمن الترغيب والترهيب.. الترغيب فى خير الدنيا والآخرة والترهيب بالحرمان من هذا الخير لمن يُعرضون عن هذا الداعى ويسلكون طريق الطواغيت.

* كما يحتوى السياق ذلك القصص الطويل الذى يصدق فيه الترغيب والترهيب.

* ويحتوى أيضا بعض صور النفس البشرية في مواجهة الأحداث الجارية بالنعماء والبأساء.

* ويحتوى شيئًا من مشاهد القيامة وصور المكذبين فيها ومواجهتهم لربهم.

*وما يصوره السياق من حضور الله -سبحانه- واطلاعه على ما يخفى البشر من ذوات الصدور

- ومن المؤثرات الموحية فى سياق السورة كذلك، استعراض موكب الإيمان بقيادة الرسل الكرام على مدار الزمان.

ونجمل رحلة السورة في هذه النقاط:

* طابع الفترة التي نزلت فيها السورة فظهر فيها عدة سمات:

١- استعراض لحركة العقيدة الإسلامية في التاريخ البشرى كله.

٢- عرض مواقف الرسل وهم يتعرضون للتكذيب والإعراض.

٣- التعقيب على هذا القصص بتوجيه الرسول ﷺ والتسرية عنه مما أصابه.

* تركيب السورة يحتوى على ثلاثة قطاعات:

١- القطاع الأول: حقائق العقيدة وتأتى فى مقدمة السورة.

٢- القطاع الثانى: حركة هذه الحقيقة ويشغل معظم السورة.

٣- القطاع الثالث: التعقيب على هذه الحركة فى حيز محدود.

* تحتوى السورة على شتى المؤثرات:

١- الترغيب والترهيب.

٢- قصص طوال تصدق الترغيب والترهيب.

٣- صور النفس البشرية فى مواجهة الأحداث.

٤- مشهد من مشاهد القيامة.

٥- حضور الله واطلاعه على البشر.

٦- استعراض موكب الإيمان بقيادة الرسل الكرام.

الدرس الأول

(عرض الحقائق الأساسية فى العقيدة الإسلامية)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ...﴾

إلى الآية رقم (٢٤) قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ...﴾

مدة الحفظ: (ثلاثة أيام)

هذا الدرس الأول من السورة يمثل المقدمة -وهى تتضمن التالى:

* عرض الحقائق الأساسية فى العقيدة الإسلامية.
* توحيد الدينونة لله الواحد بلا منازع.
* وعبادة الله وحده بلا شريك.
* والاعتقاد فى البعث والقيامة للحساب والجزاء.
* بيان حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية.
* توكيد الدينونة لله فى الآخرة كالدينونة له سبحانه فى الحياة الدنيا.
* بيان لطبيعة الرسالة وطبيعة الرسول وتسليته والترويح عنه فى وجه العناد والتكذيب والتحدى والمكابرة.
* تهديد المكذبين بما ينتظرهم فى الآخرة من العذاب الذى يستعجلون به ويكذبون.

ويجسم هذا التهديد فى مشهد من مشاهد القيامة يتبين فيه عجزهم وعجز أوليائهم عن إنقاذهم من العذاب الأليم.

وفى الصفحة المقابلة -من المشهد- الذين آمنوا وعملوا الصالحات وما ينتظرهم من الثواب والنعيم والتكريم.

ومشهد مصور للفريقين -على طريقة القرآن الكريم فى التعبير بالتصوير-: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾

فيبتدأ الدرس بإعلان خلاصة الكتاب الذى أحكمت آياته من لدن حكم خبير... يمضى السياق يعرض كيف يتلقى فريق منهم تلك الآيات، عندما يقدمها لهم النذير البشير: ﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾

ثم يمضى السياق في تعريف البشر بربهم، وإطلاعهم على آثار قدراته وحكمته في خلق

السموات والأرض بنظام خاص فى أطوار أو آماد محكمة، لحكمة كذلك خاصة. يبرز منها السياق هنا ما يناسب البعث والحساب والعمل والجزاء: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

– وبمناسبة استعجال العذاب يجول السياق جولة فى نفس هذا المخلوق الإنسانى العجيب، الذى لا يثبت ولا يستقيم إلا بالإيمان: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

– ثم يمضى السياق يواجه الذين يكفرون به، ويزعمون أنه مفترى من دون الله، ويكذبون على الله سبحانه وعلى رسوله ﷺ وذلك فى مشهد من مشاهد القيامة يعرض فيه الذين يفترون على الله الكذب: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

وإلى التفصيل فى قسم التفسير

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٣٤) إلى الصفحة رقم (١٣٧)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١	٩	١٧
	إلى	٨	١٦	٢٤

الدرس الثانى

(نوح والطوفان)

من الآية رقم (٢٥) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ...﴾

إلى الآية رقم (٤٩) قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ...﴾

مدة الحفظ: (٣ أيام)

القصص فى هذه السورة هـو قوامها. وقد تضـمن مطلعها جولات متـعددة حول هذه الحقائق. جولات فى ملكوت السموات والأرض وفى جنبات النفس، وفى ساحة الحشر.. ثم أخذ فى هذه الجولة الجديدة فى جنبـات الأرض وأطواء التاريخ مع قصص الماضيين... يستعرض حركة العقيدة الإسلامية في مواجهة الجاهلية على مدار القرون.

والقصص هنا مفصل بعض الشئ -وبخاصة قصة نوح والطوفان.

ويتبع القصص فى هذه السورة خط سير التاريخ:

فيبـدأ بنوح، ثم هود ثم صالح، ويلم بإبراهيم فى الطريق إلى لوط، ثم شـعيب، ثم إشارة إلى مـوسى.. ويشير إلى الخط التـاريخى، لأنه يذكر التالين بمصـير السـالفين على التوالى بهذا الترتيب:

وتبدأ بقـصة نوح مع قـومه. أول هذا القصص في السـياق. وأوله في التـاريخ: ولقد أرسل الله -تعالى- نوحًا إلى قومه بثلاث حقائق:

الحقيقة الأولي: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ وهنا حدد هدف الرسالة.

الحقيقة الثانية: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وهذا هو قوام الرسالة. وقوام الإنذار. ولماذا؟

الحقيقـة الثالثة: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ فيتم الإبلاغ ويتم الإنذار في هذه الكلمات القصار.

والملأ من قومه كالملأ من قوم كل نبى تعميهم مكانتهم الدنيوية عن رؤية هذه الخصائص العلوية ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ هذه واحدة.. أما الأخرى فأدهى:

﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾!! ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾...

وهم يقيـسون الأمـور ذلك القيـاس الخاطئ: قيـاس الفضل بالمال والفـهم بالجاه والمعـرفة بالسلطان.. فهذه مفاهيم تسود دائما حين تغيب عقيدة التوحيد عن المجتمع أو تضعف آثارها..

ومـضى قوم نـوح فى التاريخ، الأكـثـرون المكذبون طواهم الطوفـان وطواهم التـاريخ استبعـدوا من الحياة ومن رحمةالله سـواء، والناجون استخلفوا في الأرض تحقـيقًا لسنة الله ووعده: ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾

ولقد كان وعد الله لنوح: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

فلما دارت عـجلة الزمن ومضت خطوات التاريخ جاء وعـد الله . . وإذا «عاد» من نسل نوح الذين تفرقوا في البلاد -ومن بعدهم ثمود . . .

وهو موضوع الدرس الثالث.

ويقول ابن كثير فى كتابه (قصص الأنبـياء) (وقد تطاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ «العنكبوت: ١٤».

وكان كلما انقرض جيل وصوا مَنْ بعدهم بعدم الإيمان به، ومحاربته ومخالفته.

وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه، وصاه فيما بينه وبينه: ألا يؤمن بنوح أبدًا ما عاش ودائما ما بقى

وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحق ولهذا قال: ﴿وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ «نوح: ٢٧»

ولما يئس من صلاحهـم وفلاحهم ورأى أنهم لا خير فـيه وتوصلوا إلى أذيته ومخـالفته وتكذيبه بكل طريق، من فـعال ومقال، دعـا عليهم دعوة غضب فلبى الله دعـوته وأجاب طلبته وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ «الصافات: ٧٥».

فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفـجورهم ودعوة نبيهم عليهم فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك وهى السفـينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قـبلها ولا يكون بعدها مثلها.

وكان ارتفـاعها ثلاثـين ذراعا وكانت ثلاث طبـقات كل واحد عـشرة أذرع، فـالسفلى للدواب والوحوش، والوسطى للناس، والعليـا للطيور وكان بابها فى عرضـها، ولها غطاء من فوقها مطبق عليها وقد اختلف العلماء فى عدة من كان معه فى السفينة.) أ. هـ

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٣٧) إلى الصفحة رقم (١٤٠)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٢٥	٣٥	٤٣
	إلى	٣٤	٤٢	٤٩

الدرس الثالث

(عاد وأخوهم هود، وثمود وأخوهم صالح)

من الآية رقم (٥٠) قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾

إلى الآية رقم (٦٨) قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا...﴾

مدة الحفظ: يومان

إن الدعوة الواحدة الخالدة على لسان كل رسول وفى كل رسالة... دعوة توحيد العبادة والعبودية لله المتمثلة فيما يحكيه القرآن الكريم عن كل رسول:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾.

والآن نجد فى قصة هود -كما يعرضها هذا الدرس- لمحة تحدد موضوع القضية ومحور المعركة التي كانت بين هود وقومه، وبين الإسلام الذى جاء به والجاهلية التي كانوا عليها، وتحدد ما الذى كان يعنيه وهو يقول لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾

* إنه كان يعنى الدينونة لله وحده فى منهج الحياة كلها ونبذ الدينونة والطاعة لأحد غير الله.

* والفعلة التي من أجلها استحق قوم هود الهلاك واللعنة في الدنيا والآخرة هى: جحودهم بآيات ربهم، وعصيان رسله، واتباع أمر الجبارين من عبيده:

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾

وجحودهم بآيات ربهم إنما يتجلى فى عصيان الرسل واتباع الجبارين.. فهو أمر واحد لا أمور متعددة.

إن الذى استحق هذا الثمن الباهظ بعذاباته وآلامه التي تعرض لها الدعاة والمؤمنون على مدار الزمان -هو- إخراج البشر جملة من الدينونة للعباد. وردهم إلى الدينونة لله وحده فى كل أمر، وفى كل شأن، وفي منهج حياتهم كله للدنيا والآخرة سواء.

* ونقف أمام الحقيقة التي كشف عنها هود لقومه وهو يقول لهم: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾

وهى ذات الحقيقة التي ذكرت في مقدمة السورة بصدد دعوة رسول الله ﷺ لقومه بمضمون الكتاب الذى أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

إنها حقيقة العلاقة بين القيم الإيمانية والقيم الواقعية فى الحياة البشرية، فسيادة المنهج الإلهى في مجتمع معناه:

أن يجد كل عامل جزاءه العادل فى هذا المجتمع.

وأن يجد كل فرد الأمن والسكينة والاستقرار الاجتماعى.

وأن تصون جهود الناس وطاقاتهم وتوفرها للبناء فى الأرض والعمارة...

وهود -كما ذكر ابن كثير فى كتابه- (قصص الأنبياء) (هو هود بن شالخ بن أرفحشذ بن سام بن نوح عليه السلام). وكانوا يسكنون الأحقاف -وهى جبال الرمل وكانت باليمن- وكانوا يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام، كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ سورة الفجر.

* ويقال أن هودًا -عليه السلام- أول من تكلم بالعربية.

والمقصود أن عادًا -وهم عاد الأولى- كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان فبعث الله فيهم أخاهم هودًا -عليه السلام- فدعاهم إلى الله. وقد جرى ذكر عاد فى سورة «الأعراف» وهود، والمؤمنون، والشعراء، والسجدة، والأحقاف، والذاريات، والنجم، والفجر، والحاقة، وبراءة، وإبراهيم، والفرقان، والعنكبوت، وفى سورة ص وفى سورة ق.

وعاد كانوا جفاة كافرين، عتاة متمردين فى عبادة الأصنام، فأرسل الله فيهم رجلاً منهم يدعوهم إلى الله وإلى إفراده بالعبادة والإخلاص له، فكذبوه وخالفوه وتنقصوه، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

* ونقف أمام تلك المواجهة الأخيرة من هود إلى قومه وأمام تلك المفاصلة التى قذف بها فى وجوههم فى حسم كامل، وفى تحد سافر، وفى استعلاء بالحق الذي معه وثقة فى ربه الذى يجد حقيقته في نفسه بينة: ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾

ويوم تتم هذه المفاصلة الكاملة بين أصحاب الدعوة وقومهم يتحقق وعد الله بالنصر لأوليائه والتدمير لأعدائه -فى صورة من الصور: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝٥٩ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾

* وقصة صالح -عليه السلام- نبى ثمود ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ إنها طبيعة واحدة ورواية واحدة تتكرر على مدى العصور والدهور.. فثمود كعاد هم من ذرارى المسلمين

الذين نجوا فى السفينة مع نوح ويقول ابن كثير (فى كتابه: قصص الأنبياء) (وثمود قبيلة مشهورة يقال لهم «ثمود» باسم جدهم ثمود أخى جد يس وهما ابنا عاثر بن إرم بن سام بن نوح.

* وكانوا بعد قوم عاد، وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك.

* وذكرت ثمود فى السور الآتية (الأعراف، هود، الحجر، الإسراء، الشعراء، النمل، السجدة، القمر، الشمس.)

* وكثيرا ما يقرن الله فى كتابه بين ذكر عاد وثمود، كما فى سورة براءة وإبراهيم والفرقان وسورة ص، وسورة ق، والنجم، والفجر.

* وقد ذكر المفسرون أن ثمود اجتمعوا يومًا فى ناديهم، فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم إلى الله وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة -وأشاروا إلى صخرة هناك- ناقة، من صفتها كيت وكيت، وذكروا أوصافًا سموها ونعتوها، وتعنتوا فيها، وأن تكون عشراء طويلة، من صفتها كذا وكذا، فقال لهم النبى صالح -عليه السلام-: أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم، على الوجه الذى طلبتم، اتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوننى فيما أرسلت به؟ قالوا: نعم. فأخذ عهدهم ومواثيقهم على ذلك.

ثم قام إلى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدر له، ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم إلى ما طلبوا فأمر الله عز وجل تلك الصخرة إن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه المطلوب الذى طلبوا أو على الصفة التى نعتوا. فآمن كثير منهم واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٤٠) إلى الصفحة رقم (١٤٢)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٥٠	٥٩
	إلى	٥٨	٦٨

الدرس الرابع

(إبراهيم ولوط «عليهما السلام»)

من الآية رقم (٦٩) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى...﴾

إلى الآية رقم (٨٣) قوله تعالى: ﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ...﴾

مدة الحفظ: (يوم واحد)

فى هذا الدرس يلم السياق فى مروره التاريخى بـالمستخلفين من عهد نوح وبالأمم التى بوركت، والأمم التى كـتب عليهـا العذاب.. يلم بطرف من قـصة إبراهيم، تتـحقق فـيه البركات، في الطريق إلى قصة قوم لوط الذين مسهم العذاب الأليم.

يقول ابن كثير فى كتابه (قصص الأنبياء) (كان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان.

ولقد آتاه الله رشـده فى صغره، وابتعـثه رسولاً، واتخـذه خليلاً فى كبره قـال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء ٥١] أى: كان أهلاً لذلك. وأول دعوته كانت لأبيه -وكان أبوه ممن يعبد الأصنام- وقيل: هو عمه لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة وكيف دعاه بألطف عبارة وأحسن إشارة.

ولم يقـبل أبوه آزر هذه النصيـحـة بل تهدده وتوعـده. فعـندها قال له إبراهيم (سـلام عليك) وزاده خيرًا فقال: (سـأستغفر لك ربى...) وقد استغـفر له، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

* وعندما ناظـر قومه بيّن لهم أن هذه الأجـرام المشاهدة من الكواكب النـيرة لا تصلح للألوهية، لأنها مخلوقة وهى تغيب عن هذا العالم والرب تعالى لا يغيب.

* كما أنكر على قومه عبادة الأوثان وحقرها عندهم وصغرها وتنقصها، ولما خرج قومه إلى عيدهم أسرع وجعل هذه الأصنام حطاما، كسرها كلها.

وعندما عادوا وجادلوا إبراهيم وناظروه ولم تبق لهم حجـة استعملوا قوتهم وسلطانهم. وألقـوه فى النار فأمـر الله -سبـحـانه- النار بأن تكون بردًا وسـلامًا على إبراهيم. وقـال الضحاك: يروى أن جبـريل -عليه السلام- كان معه يمسح العرق عن وجهـه لم يصبه منها شئ غيره.

* ويذكر الله تعـالى مناظرة خليله مع الملك الجـبار المتمـرد الذى ادعى لنفسـه الألوهية

فأبطل الخليل عليه دليله [قال: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب] فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه.

* ومما وقع في حياة إبراهيم الخليل من الأمور العظيمة: قصة قوم لوط -عليه السلام- وما حل بهم من النقمة العظيمة، ولوط ابن أخ إبراهيم الخليل: كان لوط قد نزح عن محلة عمه الخليل -عليه السلام- بأمره له وإذنه، وكان أهلها من أفجر الناس وأكفرهم وأسوئهم طوية، واردئهم سريرة وسيرة يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون.

ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بنى آدم، وهى إتيان الذكران من العالمين وترك ما خلق الله من النساء لعباده الصالحين. ولم يرتدعوا عن غيهم وضلالهم وهموا بإخراج رسولهم من بين ظهرانيهم واستضعفوه وسخروا منه فطهره الله وأهله إلا امرأته.

وأخرجهم منها أحسن إخراج، وتركهم في محلتهم خالدين، لكن بعدما صيرها عليهم بحرة منتنة ذات أمواج، لكنهاعليهم فى الحقيقة نار تأجج، وحر يتوهج وماؤها ملح أجاج. وطلبوا منه وقوع ما حذرهم عنه من العذاب الأليم وحلول البأس العظيم. فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم» فسأل من رب العالمين وإله المرسلين أن ينصره على القوم المفسدين.

فغار الله لغيرته، وغضب لغضبه، واستجاب لدعوته، وأجابه إلى طلبته وبعث رسله الكرام، وملائكته العظام، فمروا على الخليل إبراهيم وبشروه بالغلام العليم وأخبروه بما جاء له من الأمر الجسيم والخطب العميم: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الآيات من ٣١/ ٣٤ «العنكبوت».

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود ٧٤].

وخرج لوط -عليه السلام- بأهله، وهم ابنتاه لم يتبعه منهم رجل واحد.

فلما خلصوا من بلادهم وطلعت الشمس وقد كانت عند شروقها، جاءهم من أمر الله ما لا يرد ومن البأس الشديد ما لا يمكن أن يصد. فكانت عبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة وخشى الرحمن بالغيب وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوي فانزجر عن محارم الله وترك معاصيه، وخاف أن يشابه قوم لوط. ومن تشبه بقوم فهو منهم...

الدرس الخامس

شعيب ... وقومه أهل مدين

من الآية رقم (٨٤) قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ...﴾

إلى الآية رقم (٩٩) قوله تعالى: ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ...﴾

مدة الحفظ: (يومان)

وهذا دور من أدوار الرسالة الواحدة بالعقيدة الخالدة، ينهض به شعيب في قومه أهل مدين... ومع الدعوة إلى عقيدة التوحيد قضية أخرى، هى قضية الأمانة والعدالة فى التعامل بين الناس، وهى وثيقة الصلة بالعقيدة فى الله، والدينونة له وحده، واتباع شرعه وأمره.

وتجرى القصة على نسق قصة هود مع عاد، وقصة صالح مع ثمود وإن كانت أقرب فى نهايتها وأسلوب عرضها. والتعبير عن خاتمتها إلى قصة صالح، حتى لتشترك معها فى نوع العذاب وفى العبارة عن هذا العذاب.

ويختتم الدرس -بخاتمة ذلك القصص- بهذه الإشاره إلى قصة موسى مع فرعون، لتسجيل نهاية فرعون وملئه، ونهاية قومه الذين ائتمروا بأمره.

وتتضمن هذه الإشارة العابرة إيماءات كثيرة إلى وقائع القصة التى لم تذكر هنا. كما تضم مشهدًا من مشاهد القيامة الحية المتحركة. وهذا وذلك إلى تقرير مبدأ رئيسى من مبادئ الإسلام. مبدأ التبعية الفردية التى لا يسقطها اتباع الرؤساء والكبراء...

يقول ابن كثير فى كتابه (قصص الأنبياء): كان أهل مدين كفارًا يقطعون السبيل ويخيفون المارة، ويعبدون الأيكة، وهى شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة عليها.

وكانوا من أسوأ الناس معاملة، يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما.. يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص.

فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو رسول الله شعيب -عليه السلام- فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطى هذه الأفاعيل القبيحة من بخس الناس أشياءهم وإخافتهم لهم فى سبلهم وطرقاتهم، فآمن به بعضهم وكفر أكثرهم، حتى أحل الله بهم البأس الشديد. وهو الولى الحميد.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس: أن شعيبًا -عليه السلام- كان بعد يوسف -عليه السلام- وعن وهب بن منبه: أن شعيبا -عليه السلام- مات بمكة ومن معه من المؤمنين، وقبورهم غربى الكعبة بين دار الندوة ودار بني سهم.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٤٤) إلى الصفحة رقم (١٤٦)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٨٤	٩٢
	إلى	٩١	٩٩

الدرس السادس

(الخاتمة: تعليقات وتعقيبات...)

من الآية رقم (١٠٠) قوله تعالى: ﴿ذلكَ منْ أنباءِ القُرىٰ نقُصُّهُ عليْكَ...﴾

إلى الآية رقم (١٢٣) قوله تعالى: ﴿ولله غيبُ السّموات والأرض وإليه يُرجعُ الأمرُ كُلُّهُ...﴾

مدة الحفظ: (يومان)

هذه خاتمة السورة تشتمل على تعليقات وتعقيبات متنوعة، مبنية على ما سبق فى سياق السورة. من المقدمة ومن القصص. وهذه التعليقات والتعقيبات شديدة الاتصال بما سبق من سياق السورة، متكاملة معه فى أداء أهدافها كذلك.

* والتعقيب الأول فى هذا الدرس تعقيب مباشر على القصص: ﴿ذلكَ منْ أنباءِ القُرىٰ نَقُصُّهُ عليْكَ منْهَا قائمٌ وحَصيدٌ (١٠٠) ومَا ظَلَمْناهُمْ ولكن ظَلَمُوا أنفُسَهُمْ﴾

* والتعقيب الثانى: يتخذ مما نزل بالقرى من عذاب موحيًا بالخوف من عذاب الآخرة الذى يعرض فى مشهد شاخص من مشاهد يوم القيامة: ﴿إنَّ في ذلكَ لآيةً لمَنْ خافَ عذابَ الآخرةِ ذلكَ يوْمٌ مّجْمُوعٌ لّهُ النَّاسُ وذلكَ يوْمٌ مّشْهُودٌ (١٠٣) وما نُؤخّرُهُ إلاَّ لأجلٍ مّعْدُودٍ﴾

* والتعقيب الثالث: مستمد من عاقبة القرى ومن مشهد القيامة لتقرير أن المشركين الذين يواجههم محمد ﷺ شأنهم شأن من قبلهم في الحالين، والكل سيوفون أعمالهم على وجه التأكيد. فاستقم أيها الرسول على طريقتك أنت ومن تاب معك ولا تركنوا إلى الذين ظلموا وأشركوا.. ﴿فلا تكُ في مرْيَةٍ مّمَّا يَعْبُدُ هؤُلاءِ ما يَعْبُدُونَ إلاَّ كمَا يعْبُدُ آباؤُهُم مّن قبْلُ وإنَّا لمُوفُّوهُمْ نصيبَهُمْ غيْرَ منقُوصٍ﴾

* ثم عودة إلى القرون الخالية التي لم يكن فيها إلا قليل من الذين ينهون عن الفساد فى الأرض. أما الكثرة فكانت ماضية فيما هى فيه، فاستحقت الهلاك. ﴿فلوْلا كانَ منَ القُرُونِ من قَبْلكُمْ أُوْلُوا بقيَّةٍ ينْهوْنَ عنِ الفَسادِ في الأرْضِ إلاَّ قَليلاً مّمَّنْ أنجيْنا منْهُمْ واتّبعَ الَّذينَ ظَلمُوا ما أُتْرِفُوا فيه وكَانُوا مُجْرِمينَ (١١٦) ومَا كانَ ربُّكَ ليُهْلكَ القُرىٰ بظُلْمٍ وأهْلُها مُصْلحُونَ﴾

* وفى النهاية يسجل السياق غرضًا من أغراض هذا القصص هو تثبيت فؤاد النبى ﷺ ويؤمر الرسول أن يلقى للمشركين كلمته الأخيره، ويكلهم إلى ما ينتظرهم من غيب الله. وأن يعبد الله ويتوكل عليه ويدع له أخذ الناس بما يعملون. ﴿وكُلاًّ نّقُصُّ عليْكَ منْ أنباءِ الرُّسُلِ مَا نُثبّتُ به فُؤادكَ وجاءكَ في هذه الحقُّ وموْعظةٌ وذكرىٰ للمُؤْمنينَ (١٢٠) وقُل للّذين لا

يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٤٦) إلى الصفحة رقم (١٤٨)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات	من	١٠٠	١١٢
الحفظ	إلى	١١١	١٢٣

سورة يوسف

(مكية) وآياتها إحدى عشر ومائة

مدة الحفظ: (١٣ يومًا)

هذه السورة

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى يرحمه الله فى كتابه القيم «نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم» : قصة يوسف -عليه السلام- قطعة من تاريخ الأحياء وليست رواية من وضع البشر.

وقد ختمت السورة بآية يصح أن يوصف بها كل ما ساق الإسلام من قصص ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

* وقصة يوسف فى الدعوة إلى الله والدأب على البلاغ -مهما كثرت العوائق -مثل يُحتذى، ويظهر أن نبوته بدأت مع بلوغه الرشد، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

وقد بيع يوسف سليل الأنبياء عبدًا رقيقًا! وكان الذين باعوه زاهدين فى استبقائه كأنه حمل ثقيل!

ما أعجب تصاريف الليالى! ملك كريم يباع على أنه سلعة كريهة!! ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾

لقد كان فى هذه الفترة من شبابه حسن المعرفة لربه، صاحب تقوى ينفرد بها، وشق لنفسه طريقه الخاص: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

كان يوسف يقدر البيت الذى آواه، ويصون محارمه، وكانت لرب البيت مكانة خاصة عنده، فهو لم يكن فرعونا من الفراعنة المستعلين فى الأرض، بل كان رجلاً دميث الأخلاق، ظاهر الشرف.

وقد أحبه يوسف وعرف له حقوقه، ثم إن الأيام لم تنس يوسف أصله العريق ودينه الموروث، لقد كان آباؤه دعاة إلى الله، فليبق على نهجهم فى عبادة الله الواحد، وفعل الخير، وترك الآثام.

أن هذا البيت تبناه، لكن التبنى لا يخلق علاقة طبيعية، وإذا كان عزيز مصر قد أحب يوسف لشمائله النبيلة، فإن امرأة العزيز أكنّت نحوه عاطفة أخرى!!!.

كان يوسف رجلاً رائع الجمال، أوتى نصف الحسن الموجود فى العالم كله.

ونظرت الأم المزعومة إلى رجل قريب منها يعيش فى كنفها وسلطانها فطمعت فيه، ويوسف فوق هذه المنزلة الموهومة، فقد صقل الإيمان طبعه، وزكّى نفسه، وقوّى بالله صلته، فلم يخطر بباله أن يلم بدنيّة!!.

فلما تعرضت له المرأة ثار يقينه فى أعصابه، وذكر مواثيق الشرف التي ورثها عن آبائه، وذكر معها حرمة رب البيت الذى آواه وكرمه، كيف يطعنه في عرضه؟ ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

ومفروض فى الإيمان العادى أن ينجح فى هذه التجربة فقد جاء فى السنة أنه بين السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: «رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إنى أخاف الله» ويوسف في هذا الموطن الخطير أحق من يخاف الله (١)!

وقد رفض المعصية يقينا، صرحت بذلك امرأة العزيز وهى تقول: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾

* فى صورة يوسف ثلاث رؤى جاءت كوضح النهار.

أولاها: ما قصّه على أبيه أول السورة من سجود الشمس والقمر والأحد عشر كوكبًا

أما الثانية: فقد وقعت مع مبادئ عهده بالسجن ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

أما الثالثة: فقد رأى الملك فى منامه ما أفزعه، وعجز من حوله عن تعبير رؤياه.. وفسر يوسف الرؤيا، وأخبر الملك بالتفسير المهم، فقال: ائتونى بيوسف!! وأبى يوسف المجئ حتى تتحقق براءته وتمحى تهمته..] أ.هـ.

* هذه السورة لها طابع خاص.. ذلك أنها تبدأ برؤيا يوسف، وتنتهى بتأويلها.

ويقول الأستاذ/ سيد قطب يرحمه الله فى ظلال القرآن: وفى هذه القصة يتجلى عنصر

---

(١) الحديث أخرجة البخارى ومسلم، انظر «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان» - كتاب الزكاة ٢١٦/١ رقم ٦١٠.

الحب الأبوى. . . وعنصر الغيرة والتحاسد بين الأخـوة من أمهات مختلفة. . وعنصر المكر والخداع فى صور شتى. . . وعنصر الشهوة ونزواتها والاستجابة لها بالاندفاع أو بالإحجام. ذلك إلى بعض صور المجتمع الجاهلى فى طبقة العلية من الملأ: فى البيت والسجن والسوق والديوان -فى مصر يومذاك. والمجتمع العبرانى وما يسود العصر من الرؤى والتنبؤات.

وأخيرًا نجئ إلى التعقيبات المتنوعة التى جاءت بعد القصة الطويلة إلى نهاية السورة:

* إن التعقيب الأول والمباشر يواجه تكذيب قريش بالوحى.

* ومن ثم يعـقب ذلك التـسـرية عن قلب رسول الله ﷺ وتهـوين أمـر المكذبين على نفسه.

* ثم تختم السورة بإيقاع آخر يحمل عبرة القصص القرآنى كله.] أ.هـ.

نبذة عن سنوات الأحداث:

١- ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة

٢- غاب عن أبيه ثمانين سنة.

٣- وعاش بعد ذلك ثلاثًا وعشرين سنة.

٤- ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة.

الدرس الأول

المحنة الأولى : (المؤامرة)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ...﴾

إلى الآية رقم (٢٠) قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ...﴾

مدة الحفظ: (يومان)

هذا الدرس هو المقدمة، ثم الحلقة الأولي من القصة وتتألف من ستة مشاهد، وتبدأ من رؤيا يوسف إلى نهاية مؤامرة إخوته عليه، ووصوله إلى مصر...

- المشهد الأول: يوسف يقص رؤياه على أبيه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾

وسنرى فيما بعد ما يكون تأويل الرؤيا.

- المشهد الثاني: مشهد إخوة يوسف يتآمرون: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٨ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾

- المشهد الثالث: ها هم أولاء عند أبيهم يراودونه فى إصطحاب يوسف معهم منذ الغداة ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ !!!

- والمشهد الرابع: والآن لقد ذهبوا به، وها هم أولاء ينفذون المؤامرة النكراء: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

- والمشهد الخامس: ثم ندع يوسف فى محنته فى غياهب الجب لنشهد إخوته بعد الجريمة ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۝١٦ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ ويحسون أنها مكشوفة فيقولون ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾

- المشهد السادس: ثم لنعد سريعًا إلي يوسف فى الجب: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾

(وكانت نهاية المحنة الأولى فى حياة النبى الكريم يوسف -عليه السلام-)

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٤٨) إلى الصفحة رقم (١٥٠)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	١	١١
	إلى	١٠	٢٠

الدرس الثانى

(المحنة الثانية) التعرض للغواية!!!

من الآية رقم (٢١) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ...﴾

إلى الآية رقم (٣٤) قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ...﴾

مدة الحفظ: (يومان)

* الحلقة الثانية من حلقات القصة، وقد وصل يوسف إلى مصر، وبيع بيع الرقيق ولكن محنة أخرى من نوع آخر كانت تنتظر يوسف حتى يبلغ أشـده. إنها محنة التعرض للغواية فى جو القصور وفى جو ما يسمونه (بالطبقة الراقية)

* إن التجربة التي مر بها يوسف -أو المحنـة- لم تكن فقط فى مواجهة المراودة فى هذا المشهـد الذي يصوره السياق. إنما كـانت فى حياة يوسف فتـرة مراهقته كلهـا فى جو هذا القصر، مع هذه المرأة سن الثلاثين وسن الأربعين.

مع جو القصور وجو البيئة التي يصورها قول الزوج أمام الحالة التي وجد فيها امرأته مع يوسف: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ .

وكفى...! فهذه البيئة التي تسمح بذلك بيئة خاصه هى بيئة الطبقة المترفة دائما.

ويوسف كان فيها مولى وتربى فيـها فى سن الفتنة... فهذه هي المحنة الطويلة التى مر بها يوسف وصمد لها، ونجا منها ومن تأثيراتها ومغرياتها وميوعتها ووسائلها الخبيثة. ولسنه وسن المرأة التي يعيش مـعها تحت سـقف واحد كل هذه المدة قيـمة فى تقدير مـدى الفتنة وخطورة المحنة والصمود لها هذا الأمد الطويل. ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾

وما يجرى فى الـقصور لا يمكن أن يظل مسـتوراً.. وبخاصة فى الوسط الأرسـتقراطى الذى ليس لنسائه من همّ إلا الحـديث عما يجـرى فى محيطهن وإلا تداوُل هذه الفـضائح ولوكهـا على الألسن في المجالس والسـهرات والزيارات: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾

ثم بعد ذلك يكـشف السياق عن مـشهد من صنع تلك المرأة الجـريئة التي تعـرف كيف تواجه نساء طبقتها بمكر كمكرهن أمكر من كيدهن.

فأقامت لهن مأدبة فى قصرها والتفاصيل ستأتى فى سياق تفسير الآيات.

ودعا يوسف ربه قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾

وهي دعوة الإنسان العارف ببشريته الذى لا يتغير بعصمته ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾

وهكذا اجتاز يوسف محنتـه الثانية بلطف الله ورعايته وانتهت بهذه النجـاة الحلقة الثانية من قصته المثيرة.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٥٠) إلى الصفحة رقم (١٥٢)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٢١	٢٨
	إلى	٢٧	٣٤

الدرس الثالث

(المحنة الثالثة): السجن... والبرئ المظلوم

من الآية رقم (٢٥) قوله تعالى: ﴿واستبقا الباب ...﴾

إلى الآية رقم (٥٣) قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي...﴾

مدة الحفظ: (٣ أيام)

وهذه هي الحلقة الثالثة والمحنة الثالثة والأخيرة من محن الشدة فى حياة يوسف (فكل ما بعدها رخاء) وابتلاء لصبره على الرخاء، بعد ابتلاء صبره على الشدة.

والمحنة فى هذه الحلقة هى محنة السجن بعد ظهور البراءة. والسجن للبرئ المظلوم أقسي، وإن كان فى طمأنينة القلب بالبراءة تعزية وتسلية.

* وفى فترة المحنة هذه تتجلى نعمة الله على يوسف، بما وهبه من علم لدنى بتعبير الرؤيا.

* ثم تتجلى نعمة الله عليه أخيرًا بإعلان براءته الكاملة إعلانًا رسميًا يحضره الملك، وظهور مواهبه التي تؤهله لما هو مكنون له فى عالم الغيب من مكانة مرموقة وثقة مطلقة، وسلطان عظيم.

ويبدأ الدرس فيأخذنا إلى المشهد الأول: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ وهكذا جو القصور، وجو الحكم المطلق، وجو الأوساط الأرستقراطية، وجو الجاهلية. بعد هذا كله، بدا لهم أن يسجنوه إلى حين!!

وينتهز يوسف وجوده فى السجن ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة... ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ وهما من خدم الملك الخاص. ويؤول لهما رؤيا كل منهما.. ثم أحب يوسف أن يبلغ أمره إلى الملك ليفحص الأمر: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾

ولكن الذى ظن يوسف أنه ناج فنجا فعلاً لم ينفذ الوصية، ذلك أنه نسى الدرس الذى لقنه له يوسف، ونسى ذكر ربه فى زحمة حياة القصر ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

* وننتقل إلى القصر ويأخذنا السياق إلى مجلس الملك وقد رأى رؤيا أهمته، فهو يطلب

تأويلها من رجال الحاشية ومن الكهنة والمتصلين بالغيبيات. وهنا تذكر أحد صاحبيه فى السجن ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ويسدل الستار ليرفع فى السجن على يوسف وصاحبه هذا يستفتيه فى رؤيا الملك.

وتنتهى هذه الأحداث: بخروجه من السجن وإعلان براءته الكاملة إعلانًا رسميًا يحضره الملك.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٥٢) إلى الصفحة رقم (١٥٥)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٢٥	٣٥	٤٣
	إلى	٣٤	٤٢	٥٣

الدرس الرابع

(الدعوة الملكية)

من الآية رقم (٥٤) قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي . . .﴾

إلى الآية رقم (٧٩) قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ . . . .﴾

مدة الحفظ: (٣ أيام)

نمضى فى هذا الدرس مع قصة يوسف، فى حلقة جديدة من حلقاتها -الحلقة الرابعة- ويبدأ بآخر مشهد فى فقرة المشهد السابق. مشهد الملك يستجوب النسوة اللاتى قطعن أيديهن -كما رغب إليه يوسف أن يفعل- تمحيصا لتلك المكائد التى أدخلته السجن، وإعلانًا لبراءته على الملأ، قبل أن يبدأ مرحلة جديدة في حياته، وهو يبدؤها واثقًا مطمئنا، فى نفسه سكينة وفى قلبه طمأنينه وقد أحس أنها ستكون مرحلة ظهور فى حياة الدولة، وفى حياة الدعوة كذلك. فيحس أن يبدأها وكل ما حوله واضح، ولا شئ من غبار الماضى يلاحقه وهو برئ.

ومع أنه تجمل فلم يذكر عن إمرأة العزيز شيئا، ولم يشر إليها على وجه التخصيص، إنما رغب إلى الملك أن يفحص عن أمر النسوة اللاتى قطعن أيديهن، فإن إمرأة العزيز تقدمت لتعلن الحقيقة كاملة: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وفى هذه الفقرة الأخيرة تبدو المرأة مؤمنة متحرجة، تبرئ نفسها من خيانة يوسف في غيبته، ولكنها تتحفظ فلا تدعى البراءة المطلقة، لأن النفس أمارة بالسوء -إلا ما رحم ربى- ثم تعلن ما يدل علي إيمانها بالله- ولعل ذلك كان اتباعًا ليوسف ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

وبذلك يسدل الستار على ماضى الآلام في حياة يوسف الصديق وتبدأ مرحلة الرخاء والعز والتمكين.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ

لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ .

ودارت عجل الزمن. وطوى السياق دوراتها بما كان فيها طوال سنوات الرخاء. فلم يذكر كيف كان الخصب، وكيف زرع الناس. وكيف أدار يوسف جهاز الدولة. وكيف نظم ودبر وادخر. كأن هذه أمور مقررة بقوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ .

أما فعل الجدب فقد أبرزه السياق فى مشهد إخوة يوسف، فعرفهم وهم لم يعرفوه ولم يكشف لهم يوسف عن نفسه. فلا بد من دروس يتلقونها. واستدرجهم حتى طلب منهم أنه يريد أن يرى أخاهم الذى تحدثوا عنه!!

ثم نسير خطوة خطوة مع سياق الدرس فندع يوسف فى مصر . . لنشهد يعقوب وبنيه فى أرض كنعان . . دون كلمة واحدة عن الطريق وما فيه.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

وأخذ أبوهم عليهم موثقا من الله جعل يوصيهم بما خطر له فى رحلتهم القادمة ومعهم الصغير: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ .

* ونجد السياق يعجل بضم يوسف لأخيه فى المأوى، وإطلاعه على أنه أخوه. ثم يكيد يوسف لإخوته بسرقة صواع الملك ليكون مبررا لأخذ من وجد فى متاعه وكان الصواع فى متاع أخيه.

ونعود إلى إخوة يوسف وقد حرك الحرج الذى يلاقونه كوامن حقدهم على أخ يوسف، وعلى يوسف من قبله، فإذاهم ينفصلون من نقيصة السرقة، وينفونها عنهم، ويلقونها على هذا الفرع من أبناء يعقوب: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾

لقد قذفوا بها يوسف وأخاه! ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ إنما قال لهم: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾

ونتركهم في نهاية الدرس حيارى فلا جدوى من رجائهم ليوسف أن يأخذ أحدهم مكان أخيهم. . فانسحبوا يفكرون فى موقفهم المحرج، أمام أبيهم حين يرجعون.

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات	من	٥٣	٦٥	٧١
الحفظ	إلى	٦٤	٧٠	٧٩

تفسير آيات هذا الدرس
من صفحة رقم (١٥٥) إلى صفحة رقم (١٥٨)

الدرس الخامس

(المفاجأة الكبرى)

من الآية رقم (٨٠) قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ . . .﴾

إلى الآية رقم (١٠١) قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ . . .﴾

مدة الحفظ: (٣ أيام)

يئس إخوة يوسف من محاولة تخليصهم أخيهم الصغير، فانصرفوا من عنده، وعقدوا مجلسًا يتشاورون فيه. هم هنا فى هذا المشهد يتناجون. والسياق لا يذكر أقوالهم جميعا. إنما يثبت آخرها الذي يكشف عما انتهوا إليه: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾

ويطوي السياق الطريق بهم، حتى يوقفهم فى مشهد أمام أبيهم المفجوع، وقد أفضوا إليه بالنبأ الفظيع فلا نسمع إلا رده قصيرا سريعا، شجيا وجيعا. ولكن وراءه أملاً لم ينقطع فى الله أن يرد عليه ولديه أو أولاده الثلاثه بما فيهم كبيرهم الذى أقسم ألا يبرح الأرض حتى يحكم الله له: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

ويأخذ السياق مع دخول إخوة يوسف مصر للمرة الثالثة، وقد أضرت بهم المجاعة، ونفدت منهم النقود، وجاءوا ببضاعة رديئة هي الباقية لديهم يشترون بها الزاد . . . يدخلون وفى حديثهم انكسار لم يعهد فى أحاديثهم من قبل، وشكوى من المجاعة تدل على ما فعلت بهم الأيام.

وانتهت الدروس وحان وقت المفاجأة الكبرى التى لا تخطر لهم على بال . . ورن فى آذانهم صوت لعلهم يذكرون شيئا من نبراته. ولاحت لهم ملامح وجه لعلهم لم يلتفتوا إليها وهم يرونه في سمت عزيز مصر وأبهته. والتمع فى نفوسهم خاطر من بعيد: ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ قال: ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

أما هم فتتمثل لعيونهم وقلوبهم صورة ما فعلوا بيوسف، ويجللهم الخزى والخجل وهم يواجهون محسنًا إليهم قد أساءوا إليه . . حليما بهم وقد جهلوا، كريما معهم وقد وقفوا منه

موقفا غير كريم ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾

ويأخذنا السياق إلى يعقوب الذى شم رائحة قميص يوسف منذ أن خرج إخوته من مصر -كما قال بعض المفسرين- وعمومًا مفاجأة القميص. ومفاجأة ارتداد البصر بعدما ابيضت عيناه.. وهنا يذكر يعقوب حقيقة ما يعلمه من ربه تلك التي حدثهم بها من قبل فلم يفهموه: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾

وقبل أن يسدل الستار على المشهد الأخير المثير بعد كر الأعوام وانقضاء الأيام وبعد اليأس والقنوط، وبعد الألم والضيق. وبعد الامتحان والابتلاء. بعد الشوق المضنى والحزن الكامد واللهف الظامئ الشديد... نشهد يوسف ينزع نفسه من اللقاء والعناق والفرحة والابتهاج، والجاه والسلطان ويتجه إلى ربه فى تسبيح الشاكر الذاكر! : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

وهكذا يتوارى الجاه والسلطان، وتتوارى فرحة اللقاء واجتماع الأهل ولمة الإخوان ويبدو المشهد الأخير مشهد عبد يبتهل إلى ربه أن يحفظ له إسلامه حتى يتوفاه إليه، وأن يلحقه بالصالحين بين يديه.

إنه النجاح المطلق فى الامتحان الأخير...

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٥٨) إلى صفحة رقم (١٦٠)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٨٠	٨٨	٩٦
	إلى	٨٧	٩٥	١٠١

الدرس السادس

(النهاية)

من الآية رقم (١٠٢) قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ...﴾

إلى الآية رقم (١١١) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ...﴾

مدة الحفظ: (يوم واحد)

انتهت القصة التي لم تكن متداولة بين القوم الذين نشأ فيهم -محمد- ﷺ ثم بعث إليهم. وفيها أسرار لم يعلمها إلا الذين لامسوها من أشخاص القصة، وقد عبرت بهم القرون. وقد سبق في مطلع السورة قول الله تعالى لنبيه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ .

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾

وهم يمكرون المكر الذى تحدثت عنه القصة فى مواضعه كل أولئك مكر ما كنت حاضره لتحكى عنه إنما هو الوحى الذى سيقت السورة لتثبته من بين ما تثبت من قضايا هذه العقيدة وهذا الدين، وهى متناثرة فى مشاهد القصة.

نعم إنه ﷺ ما كان لديهم فيرى، وما كان قارئا حتى يطالع أخبارها، إنه الوحى الأعلى قصَّ عليه ما كان دون تزيّد ولا تحريف، ومع ذلك فكثير من الناس مكذب بنبوة محمد: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ .

وفى عصرنا هذا طاعنون من الوثنيين والكتابيين لا حصر لهم، ولا ينقطع لهم لغو، ليكن! فلن يوقفوا سير الرسالة الخاتمة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

إنهم مغلقون لا تقع عيونهم من الكون على ما يعرفهم بالله، أو يقودهم إلى وحيه:
﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

وقد بدأت القصة وانتهت فى سورة واحدة، لأن طبيعتها تستلزم هذا اللون من الأداء. فهى رؤيا تتحقق رويدًا رويدًا، ويوما بعد يوم، ومرحلة بعد مرحلة.

فلا تتم العبرة بها -كما لا يتم التنسيق الفنى فيها- إلا بأن يتابع السياق خطوات القصة ومراحلها حتى نهايتها. وإفراد حلقة واحدة منها فى موضع لا يحقق شيئًا من هذا كله كما يحققه إفراد بعض الحلقات في قصص الرسل الآخرين.

أما قصة يوسف فتقتضي أن تتلى كلها متوالية حلقاتها ومشاهدها من بدئها إلى نهايتها وصدق الله العظيم: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٦٠) إلى صفحة رقم (١٦١)

سورة الرعد

(مدنية) وآياتها ثلاث وأربعون

مدة الحفظ: (٦ أيام)

هذه السورة

موضوعها الرئيسى ككل موضوع السور المكية كلها على وجه التقريب -هو العقيدة وقضاياها. هى توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الدينونة لله وحده فى الدنيا والآخرة جميعا. ومن ثم قضية الوحى، وقضية البعث وما إليها. .

* وهذه السورة تطوف بالقلب البشرى في مجالات وآفاق وآماد وأعماق وتعرض عليه الكون كله في شتى مجالاته الأخاذه: فى السموات المرفوعة بغيرعمد ﴿ اللَّهُ الَّذي رفع السَّمَوات بغَيْر عمد تروْنها. . .﴾ .

وفى الشمس والقمر: ﴿ وسخَّر الشَّمْس والْقمر كُلٌّ يجْرِي لأجل مُّسمًّى. . .﴾

وفى الليل يغشاه النهار، وفى الأرض الممدودة وما فيها من رواسى نابتة وأنهار جارية، وجنات وزرع ونخيل مختلف الأشكال والطعوم والألوان، بنبت فى قطع من الأرض متجاورات ويسقى بماء واحد. وفى البرق يخيف ويطمع، والرعد يسبح ويحمد، والملائكة تخاف وتخشع، والصواعق يصيب بها من يشاء، والسحاب الثقال والمطر في الوديان، والزبد الذى يذهب جفاء، ليبقى في الأرض ما ينفع الناس.

ويقول الشيخ محمد الغزالى يرحمه الله فى كتابه «نحو تفسير موضوعى. .» :

* وتمضى السورة فى شرح مظاهر القدرة، وسابغ الفضل علي نحو لا مثيل له فى كتاب مضى أو بقى، ثم ترسل هذه الأسئلة مشفوعة بأجوبتها الفريدة:

﴿قُلْ من رَّبُّ السَّمَوات والأرْض قُل اللَّهُ

قُلْ أفاتَّخذْتُم مّن دُونه أوْلياء لا يمْلكُون لأنفُسهمْ نفْعًا ولا ضرًّا

قُلْ هلْ يسْتوي الأعْمىٰ والْبصيرُ أمْ هلْ تسْتوي الظُّلُماتُ والنُّورُ

أمْ جعلُوا للَّه شُركاء خلقُوا كخلْقه فتشابه الْخلْقُ عليْهمْ

قُل اللَّهُ خالقُ كُلّ شيْءٍ وهُو الْواحدُ الْقهَّارُ﴾

إن هذه السورة بدأت بالحديث عن الكون ودلالاته على الله سبحانه، ثم أفاضت فى

موقف الإنسان من القرآن الذى شرح هذه الدلالات ونبه إليها.

إن الكون كبير كما كشف العلم، ولكن الله أكبر كما يجب أن يشعر العلماء فى مجتمعنا -نحن البشر- نرى الساسة الكبار مثلاً مشغولين بالأمور الكبيرة غافلين عن الصغائر، لكن رب العالمين لا يشغله شأن عن شأن، فهو يسمع مواء هرة معذبة ويدخل من عذّبها النار، كما يسمع دعاء جماهير بائسة ويجزى الظالمين بما كانوا يعملون. (إنه يسمع سقوط ورق شجرة، ويرى تجلط الدم فى عرق، كما يرى ويسمع قصف الرعد فى السماء، وأفول النجم فى الفضاء!!)

«سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»

الدرس الأول

(الوحى: والحق الذى اشتمل عليه)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿الٓمٓر تلْكَ آياتُ الْكتاب ...﴾

إلى الآية رقم (١٨) قوله تعالى: ﴿للَّذينَ اسْتَجَابُوا لرَبّهمُ الْحُسْنَىٰ ...﴾

مدة الحفظ: ٣ أيام

تبدأ السورة بقضية عامة من قضايا العقيدة: قضية الوحى بهذا الكتاب، والحق الذى اشتمل عليه: ﴿الٓمٓر تلْكَ آياتُ الْكتاب والَّذي...﴾ .

وتلك هى قاعدة بقية القضايا من توحيد الله، ومن إيمان بالبعث، ومن عمل صالح فى الحياة. فكلها متفرعة عن الإيمان بأن الأمر بهذا هو الله، وأن هذا القرآن وحى من عنده سبحانه إلى رسوله ﷺ

﴿والَّذي أُنزِلَ إلَيْكَ من رَّبّكَ الْحَقُّ﴾ الحق وحده. الحق الخالص الذى لا يتلبس بالباطل والذى لا يحتمل الشك والتردد ﴿ وَلَكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمنُونَ﴾ .

هذا هو الافتتاح الذى يلخص موضوع السورة كله، ويشير إلى جملة قضاياها.

وتبدأ الريشة المعجزة فى رسم المشاهد الكونية الضخمة...

ثم التعجب من قوم ينكرون البعث بعد هذه الآيات الضخام، ويستعجلون عذاب الله

* وبعد انتهاء الجولة الأولى في الآفاق، والتعقيبات عليها. يبدأ السياق جولة جديدة فى واد آخر: فى الأنفس والمشاعر والأحياء: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْملُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عندَهُ بمقْدَارٍ﴾ .

* فهو سبحانه يتبع الحمل المكنون فى الأرحام، والسر المكنون فى الصدور، والحركة الخفية في جنح الليل، وكل مستخف وكل سارب وكل هامس وكل جاهر. وكل أولئك مكشوف تحت المجهر الكاشف، يتبعه شعاع من علم الله، وتتعقبه حفظة تحصى الخواطر والنوايا.. ألا إنها الرهبة الخاشعة التى لا تملك النفس معها إلا أن تلجأ إلى الله الذى يدبر الأمر.

* ثم يأخذ السياق فى جولة جديدة فى واد آخر، موصول بذلك الوادى الذى كنا فيه. واد تجتمع فيه مناظر الطبيعة ومشاعر النفس:

﴿ هُوَ الَّذي يُريكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وطَمَعًا ويُنشئُ السَّحَابَ الثّقَالَ﴾

والبرق والرعد والسحـاب مشاهد معروفة، وكذلك الصواعق التى تصـاحبها في بعض الأحيـان وهى مشاهد ذات أثر فى النفـس -سواء عند الذين يعرفـون الكثير عن طبـيعتـها والذين لا يعرفون عن الله شيئا.

* ثم نمضى مع السياق. يضرب مثلاً للحق والباطل. للدعوة الباقية والدعوة الذاهبة مع الريح. والمثل المضروب هنا مظهر لقوة الله الواحد القهار:

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾

وإنزال الماء من السمـاء حتى تسيل به الوديان يتناسق مـع جو البرق والرعد والسـحاب الثقال مع المشهد السابق ويؤلف جانبا من المشهد الكونى العام.

إن الباطل يطفـو ويعلو وينتفخ ويبـدو رابيا طافيـا ولكنه بعدُ زبد أو خـبث ما يلبث أن يذهب جفاء مطروحا لا حقيقة له ولا تماسك فيه.

والحق يظل هادئًا ساكنا.

وفى نهاية الدرس يتقـابل الذين يستجيبون مـع الذين لا يستجيبون وتتـقابل الحسنى مع سوء العذاب.. ومع جـهنم وبئس المهاد... ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٦٠) إلى صفحة رقم (١٦٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١	٦	١٤
	إلى	٥	١٣	١٨

الدرس الثانى

(لمسات وجدانية وعقلية)

من الآية رقم (١٩) قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾

إلى الآية رقم (٤٣) قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً...﴾

مدة الحفظ: ٣ أيام

يأخذ الشطر الثانى من السورة فى لمسات وجدانية وعقلية وتصويرية دقيقة رفيقة، حول قضية الوحى والرسالة، وقضية التوحيد والشركاء، ومسألة طلب الآيات واستعجال تأويل الوعيد... وهى جولة جديدة حول تلك القضايا فى السورة.

والقضية الأولى: هي قضية الوحي وقد أثيرت فى صدر السورة. وهى تثار هنا مرة أخرى على نسق جديد.. ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾

والقضية الثانية: هى قضية الشركاء. وقد أثيرت فى الشطر الأول من السورة كذلك وهى تثار هنا فى سؤال تهكمى حين تقرن هؤلاء الشركاء مع الله القائم على كل نفس، وتنتهى هذه الجوله بتصوير العذاب الذى ينتظر المفترين لهذه الفرية: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ﴾

ويمضى السياق مع قضية الوحي وقضية التوحيد معا يتحدث عن موقف أهل الكتاب من القرآن ومن الرسول ﷺ ويبين للرسول أن ما أنزل عليه هو الحكم الفصل فيما جاءت به الكتب قبله. ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾

وتنتهى السورة وقد طوفت بالقلب البشرى فى أرجاء الكون، وأرجاء النفس، ووقعت عليه إيقاعات مطردة مؤثرة عميقة، وتركته بعد ذلك إلى شهادة الله التى جاء بها المطلع وجاء بها الختام، والتى يحسم بها كل جدل، وينتهى بعدها كل كلام.

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١٩	٣٠	٣٥
	إلى	٢٩	٣٤	٤٣

تفسير آيات هذا الدرس

من صفحة رقم (١٦٥) إلى صفحة رقم (١٦٨)

سورة إبراهيم

(مكية) وآياتها اثنتان وخمسون

مدة الحفظ: (٦ أيام)

هذه السورة

سورة إبراهيم -مكية- موضوعها الأساسى هو موضوع السور المكية الغالب:

العقيدة فى أصولها الكبيرة: الوحى، والرسالة، والتوحيد، والبعث، والحساب والجزاء، ولكنها تُعرض من زاوية خاصة، فى أضواء خاصة فتوحى إيحاءات خاصة، كما تختلف مساحتها فى رقعة السورة وجوها، فتزيد أطرافًا وتنقص أطرافًا.

ولقد تضمنت السورة عدة حقائق رئيسية فى العقيدة وأهمها:

١- حقيقة وحدة الرسالة والرسل، ووحدة دعوتهم.

٢- حقيقة نعمة الله على البشر وزيادتها بالشكر ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران.

* **فأما الحقيقة الأولى فيبرزها السياق فى معرض فريد فى طريقة الأداء:** ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾

فهنا تتجمع الأجيال من لدن نوح، وتتجمع الرسل، ويتلاشى الزمان والمكان، وتبرز الحقيقة الكبرى: حقيقة الرسالة وهى واحدة، واعتراضات الجاهلية عليها وهى واحدة، وحقيقة نصر الله للمؤمنين وهى واحدة، وحقائق أخرى: استخلاف الله للصالحين، والخيبة والخذلان للمتجبرين، والعذاب الذى ينتظرهم.. وهى تشير إلى أنها معركة واحدة، تبدأ فى الدنيا وتنتهى فى الآخرة، وتكمل إحداهما الأخرى بلا انقطاع ولا انفصال.

* وأما الحقيقة الثانية: المتعلقة بالنعمة والشكر والبطر فتطبع جو السورة كله، وتتناثر فى سياقها. يعدد الله نعمه على البشر كافة، مؤمنهم وكافرهم، صالحهم وطالحهم، برهم وفاجرهم، طائعهم وعاصيهم. وإنها لرحمة من الله وسماحة وفضل أن يتيح للكافر والفاجر والعاصى نعمه فى الأرض، كالمؤمن والبار والطائع: لعلهم يشكرون. ويعرض هذه النعم فى أضخم مجالى الكون وأبرزها... ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾

وفى إرسال الرسل للناس نعمة تعدل تلك أو تزيد عليها ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ . . . والنور أجلّ نعم الله فى الوجود. والنور هنا هو النور الأكبر. النور الذى يشرق به كيان الإنسان، ويشرق به الوجود فى قلبه وحسه وكذلك كانت وظيفة موسى فى قومه. ووظيفة الرسل كما بينتها الرسل.

وتنقسم السورة إلى مقطعين متماسكي الحلقات:

المقطع الأول: من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٢٧)

يتضمن بيان حقيقة الرسالة وحقيقة الرسل، ويصور المعركة بين أمة الرسل وفرق المكذبين فى الدنيا والآخرة ويعقب عليها بالكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ ﴿كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ﴾

والمقطع الثانى: من الآية رقم (٢٨) إلى نهاية السورة.

يتحدث عن نعم الله على البشر، والذين كفروا بهذه النعمة وبطروا. والذين آمنوا بها وشكروا ونموذج الأول (إبراهيم) ويصور مصير الظالمين الكافرين. ﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ ليكون هذا ختامًا للسورة يتسق مع مطلعها.

الدرس الأول:

(حقيقة الرسالة وحقيقة الرسل)

من الآية رقم (١) قوله تعالى ﴿الَر كتابٌ أنزلْناهُ إليْكَ...﴾

إلى الآية رقم (٢٧) قوله تعالى ﴿يُثبّتُ اللَّهُ الّذينَ آمنُوا...﴾

مدة الحفظ: (٤ أيام)

يتضمن هذا الشوط رسالة الرسول ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم. ورسالة موسى -عليه السلام- لقومه ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويذكرهم بأيام الله. فيبين لهم ويذكرهم بنعمة الله عليهم، ويعلن لهم ما تأذن الله به: ﴿لئن شكرْتُمْ لأزيدنَّكُمْ ولئن كفرْتُمْ إنَّ عذابي لشديدٌ﴾ **ثم يعرض عليهم قصة النبوات والمكذبين. بدأها ثم توارى عن السياق، وتتابع القصة أدوارها ومشاهدها حتى انتهت بالكافرين إلى ذلك الموقف، الذى يستمعون فيه من الشيطان عظته البليغة! حيث لا تنفع العظات** ﴿وقال الشّيْطانُ لمَّا قُضيَ الأمْرُ إنَّ اللَّهَ وعدكُمْ وعْدَ الْحقّ ووعدتُّكُمْ فأخْلفْتُكُمْ وما كان لي عليْكُم مّن سُلْطانٍ إلاَّ أن دعوْتُكُمْ فاسْتجبْتُمْ لي فلا تلُومُوني ولُومُوا أنفُسكُم مّا أنا بمُصْرخكُمْ وما أنتُم بمُصْرخيَّ إنّي كفرْتُ بما أشْركْتُمُوني من قبْلُ إنَّ الظَّالمين لهُمْ عذابٌ أليمٌ﴾

يبتدأ الدرس بالحروف المقطعة (ألف. لام. راء) هذا الكتاب أنزلناه إليك لم تنشئه أنت. أنزلناه إليك ﴿لتُخْرجَ النَّاسَ منَ الظُّلُمات إلى النُّور﴾**. والإيمان بالله نور يشرق فى القلب، وتشرق به النفس، وتشرق به الحياة، وهو نور العدل والحرية والمعرفة وهو منهج حياة كامل.**

إن الذين يوجهون قلوبهم للآخرة، لا يخسرون متاع الحياة الدنيا، فصلاح الآخرة فى الإسلام يقتضى صلاح هذه الدنيا.

ويتعرض الدرس لرسالة موسى. بلسان قومه. ويمضى موسى يذكرهم بأيامه ويوجههم إلى الغاية من العذاب والنجاة. وهى الصبر للعذاب والشكر للنجاة.. ثم يتوارى مشهد موسى عن المشهد لتبرز المعركة الكبرى بين أمة الأنبياء والجاهليات المكذبة بالرسل والرسالات إلى أن ينتهى بمشهد الخيبة لكل جبار عنيد. مشهد الخيبة فى هذه الأرض:

﴿واسْتفْتحُوا وخاب كُلُّ جبَّارٍ عنيدٍ﴾

ويجئ بعد ذلك المشهد الأخير -رواية البشرية ورسلها- وهو مشهد من أعجب مشاهد القيامة وأحفلها بالحركة والانفعال والحوار بين الضعفاء والمستكبرين وبين الشيطان والجميع:

﴿وبرزوا لله جميعًا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعًا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص (٢١) وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾

وقبل أن يسدل الستار نبصر على الضفة الأخرى بتلك الأمة المؤمنة، الأمة الفائزة، الأمة الناجية: ﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام﴾ ويسدل الستار.

وفى ظل تلك القصة ومصائر الأمة الطيبة، والفرقة الخبيثة، يضرب الله مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة لتصوير سنته الجارية فى الطيب والخبيث فى هذه الحياة ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (٢٤) تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون (٢٥) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾

والآن نقف وقفات قصيرة أما الحقائق البارزة التي تعرضها قصة الرسل مع الجاهلية:

١- إن موكب الإيمان واحد يقوده رسل الله الكرام جميعا.

٢- هذا الموكب الكريم من الرسل واجه البشرية الضالة -إذن- بدعوة واحدة، وعقيدة واحدة.

٣- لقد واجهت الجاهلية دعوة الرسل فى معركة حياة أو موت، لا هوادة فيها ولا هدنة ولا تعايش ولا سلام.

٤- وأخيرًا... نقف أمام الجمال الباهر الذى يعرض فيه القرآن الكريم موكب الإيمان وهو يواجه الجاهلية الضالة على مدار الزمان.

برنامج الحفظ

تفسير آيات هذا الدرس
من صفحة رقم (١٦٨) إلى صفحة رقم (١٧٢)

اليوم		الأول	الثانى	الثالث	الرابع
آيات الحفظ	من	١	٧	١٥	٢٢
	إلى	٦	١٤	٢١	٢٧

الدرس الثانى

(نعم الله على البشر ومصير المكذبين)

من الآية رقم (٢٨) قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا...﴾

إلى الآية رقم (٥٢) قوله تعالى ﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ...﴾

مدة الحفظ: (يومان)

يعود السياق إلى المكذبين من قوم محمد ﷺ بعدما عرض عليهم ذلك الشريط الطويل- أولئك الذين أنعم الله عليهم -فيما أنعم- برسول يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويدعوهم ليغفر الله لهم، فإذا هم يكفرون النعمة، ويردونها، ويستبدلون بها الكفر، ويؤثرونه على الرسول وعلى دعوة الإيمان.

ومن ثم يبدأ الشوط الثانى بالتعجيب من أمر هؤلاء الذين يبدلون نعمة الله كفرا، ويقودون قومهم إلى دار البوار، كما قاد من قبلهم أتباعهم إلى النار. فى قصة الرسل والكفار ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾

ثم يستطرد السياق إلى بيان نعمة الله على البشر فى أضخم المشاهد الكونية البارزة.

ويقدم نموذجًا لشكر النعمة: إبراهيم الخليل -بعد أن يأمر الذين آمنو بلون من ألوان الشكر هو الصلاة ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ والبر بعبادة الله قبل أن يأتى يوم لا تربو فيه الأموال. يوم لا بيع فيه ولا خلال ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾

فأما الذين كفروا فليسوا بمتروكين عن غفلة ولا إهمال، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار... ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾

وأما وعد الله لرسله فهو واقع مهما يمكر الذين كفروا وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

ويبدأ الدرس بالإشارة إلى أن كبراء القوم عمدوا عمدًا إلى تضليل قومهم عن سبيل الله باتخاذ هذه الأنداد من دون الله ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾.

ثم يفتح كتاب الكون على مصراعيه فتنطق سطوره الهائلة بنعم الله التى لا تحصى وتتوالى صفحاته الضخمة الفسيحة بألوان هذه النعم على مد البصر: السماوات والأرض. الشمس والقمر. الليل والنهار. الماء النازل من السماء... إلخ

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾.

* وحين يستيقظ ضمير الإنسان، ويتطلع إلى الكون من حوله، فإذا هو مسخر له، إما مباشرة، وإما بموافقة ناموسه لحياة البشر وحوائجهم، ويتأمل من حوله فإذا هو صديق له برحمة الله، معين له بقدرة الله، ذلول له بتسخير الله. والنموذج الكامل للإنسان الذاكر الشاكر هو أبو الأنبياء. إبراهيم.

* ثم يكمل السياق الشوط مع ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ وهم يزالون بعد فى ظلمهم لم يأخذهم العذاب. والذين أمر الرسول ﷺ أن يقول لهم: ﴿تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.. وأن ينصرف إلى عباد الله المؤمنين يأمرهم بالصلاة والإنفاق سرًا وعلانية ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾.

* ثم يلتفت السياق -بعد أن يسدل عليهم الستار هناك- إلى واقعهم الحاضر، وشدة مكرهم بالرسول والمؤمنين وتدبيرهم الشر فى كل نواحى الحياة. ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

* وفى النهاية تختم السورة بمثل ما بدأت، ولكن فى إعلان عام جهير الصوت، عالى الصدى، لتبليغ البشرية كلها فى كل مكان: ﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٧٢) إلى صفحة رقم (١٧٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات	من	٢٨	٣٨
الحفظ	إلى	٣٧	٥٢

سورة الحجر

(مكية) وآياتها تسع وتسعون

مدة الحفظ: (٦ أيام)

هذه السورة

هذه السورة: مكية بجملتها، نزلت بعد سورة يوسف، فى الفترة الحرجة، ما بين «عام الحزن» وعام الهجرة وعليها طابع هذه الفترة، وحاجاتها ومقتضياتها الحركية.

ولما كانت حركة الدعوة فى تلك الفترة تكاد تكون قد تجمدت، بسبب موقف قريش العنيد منها ومن النبى ﷺ والعصبة المؤمنة معه.. فقد جاء القرآن الكريم فى هذه الفترة يهدد المشركين المكذبين ويتوعدهم، ويعرض عليهم مصارع المكذبين الغابرين ومصائرهم.

ومن هنا تلتقى هذه السورة فى وجهتها وفى موضوعها وفي ملامحها مع بقية السور التى نزلت فى تلك الفترة، وتواجه مثلها مقتضيات تلك الفترة وحاجاتها الحركية. أى الحاجات والمقتضيات الناشئة من حركة الجماعة المسلمة بعقيدتها الإسلامية فى مواجهة الجاهلية العربية.

ونحن نؤكد على هذه السمة فى هذا القرآن.. سمة الواقعية الحركية.. لأنها فى نظرنا مفتاح التعامل مع هذا الكتاب وفهمه وفقهه وإدراك مراميه وأهدافه.

إن هؤلاء الذين يتحركون بهذا الدين في مواجهة الجاهلية، ويواجهون به ما كانت تواجهه الجماعة المسلمة الأولى.. هم وحدهم الذين يرون تلك الرؤية وهم وحدهم الذين يفقهون هذا القرآن،

إن الفقه المطلوب استنباطه فى هذه الفترة الحاضرة هو الفقه اللازم لحركة ناشئة في مواجهة الجاهلية الشاملة فى حركة تهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجاهلية إلى الإسلام، ومن الدينونة للعباد إلى الدينونة لرب العباد.

ونعود إلى استكمال الحديث عن موضوعات السورة:

محور هذه السورة الأول: هو إبراز طبيعة المكذبين بهذا الدين ودوافعهم الأصلية للتكذيب وتصوير المصير المخوف الذى ينتظر الكافرين المكذبين.

إن جو هذه السورة -الحجر- يذكر بجو سورة الأعراف، وابتداؤها كان بالإنذار،

وسياقها كله جاء مصداقًا للإنذار. ثم ترد قصة آدم وإبليس ويلى القصة عرض لبعض مشاهد الكون.. ويلى ذلك قصص قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى: وكلها تصدق النذير...

ويمكن تقسيم سياق السورة هنا إلى خمس جولات أو خمسة مقاطع يتضمن كل منها موضوعًا أو مجالاً:

تتضمن الجولة الأولى: بيان سنة الله التي لا تتخلف فى الرسالة والإيمان بها والتكذيب.

وتعرض الجولة الثانية: بعض آيات الله فى الكون.

وأما الجولة الثالثة: فتعرض قصة البشرية وأصل الهدى والغواية فى تركيبها وأسبابها الأصلية.

والجولة الرابعة: فى مصارع الغابرين من قوم لوط وشعيب وصالح ثم يتتابع القصص يجلو رحمة الله مع إبراهيم ولوط وعذابه لأقوام لوط وشعيب وصالح.

أما الجولة الخامسة والأخيرة: فتكشف عن الحق الكامن فى خلق السماوات والأرض.

الدرس الأول

(طبيعة الكتاب)

من الآية رقم (١) قوله تعالى ﴿الٓر تلك آياتُ الكتاب . . .﴾

إلى الآية رقم (١٥) قوله تعالى ﴿لقالُوا إنّما سُكّرت أبْصارُنا . . .﴾

مدة الحفظ: يوم

هذا المقطع الأول في سياق السورة، يتحدث عن طبيعة الكتاب الذى يكذب به المشركون. . ويهددهم بيوم يتمنون فيه لو كانوا مسلمين ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ .

كما يكشف لهم عن سبب إرجاء هذا اليوم عنهم، فهو موقوت بأجل معلوم: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ .

ويذكر تحدياتهم واستهزاءهم وطلبهم الملائكة، ثم يهددهم بأن نزول الملائكة يكون معه الهلاك والتدمير ﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ .

وأخيرا يكشف عن العلة الحقيقية للتكذيب. . إنها ليس نقص الدليل ولكنه العناد الأصيل: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ .

* يبدأ هذا الدرس بالأحرف المقطعة. . هذه الأحرف التى فى متناول الجميع هى (تلك) الآيات العالية الأفق، البعيدة المتناول، المعجزة التنسيق. هذه الأحرف التى لا مدلول لها هى فى ذاتها هى القرآن الواضح الكاشف المبين.

ذلك الكتاب المعلوم والأجل المقسوم، يمنحه الله للقرى والأمم، لتعمل، وعلى حسب العمل يكون المصير. فإذا هى آمنت وأحسنت وأصلحت وأعدلت مدَّ الله فى أجلها، حتى تنحرف عن هذه الأسس، عندئذ تبلغ أجلها، وينتهى وجودها إما نهائيا وإما وقتيًا.

ثم يردهم السياق إلى الهدى والتدبر. . إن الله لا ينزل الملائكة إلا بالحق، ليحققوه وينفذوه.

والحق عند التكذيب هو الهلاك. فهم يستحقون فيحق عليهم. فهو حق تنزل به الملائكة لتنفذه بلا تأخير، وقد أراد الله لهم خيرا مما يريدون لأنفسهم، فنزل لهم الذكر يتدبرونه

ويهتدون به: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

وننظر نحن اليوم من وراء القرون إلى وعد الله بحفظ هذا الذكر، فنرى فيها هذه المعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب -إلى جانب غيرها من الشواهد الكثيرة-

وبعد ذلك يرسم السياق نموذجا باهرًا للمكابرة المرذولة والعناد البغيض: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾

إنه نموذج بشرى للمكابرة والاستغلاق والانطماس يرسمه التعبير. إن عدم الشعور بوجود الله سبحانه، هو دلالة لا تنكر على تعطل أجهزة الاستقبال والتلقى فى تلك الجبلات النكدة.

إن القول بأن هذا الكون موجود بذاته، وفيه كل تلك النواميس المتوافقة لحفظه وتحريكه وتدبيره كما أن فيه كل تلك الموافقات لنشأة الحياة فى بعض أجزائه.. وهى موافقات لا تحصى... أن هذا القول بذاته يرفضه العقل البشرى، كما ترفضه الفطرة من أعماقها.

إن الإسلام ليس مجرد عقيدة مستكنة فى الضمير. إنما هو نظام قائم على عقيدة... ولا بد من الاختيار ولكل أن يختار وأن يتحمل عند الله تبعة ما يختار.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٧٥) إلى صفحة رقم (١٧٥)

الدرس الثانى

(آيات الله في الكون)

من الآية رقم (١٦) قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ...﴾

إلى الآية رقم (٢٥) قوله تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ...﴾

مدة الحفظ : (يوم واحد)

فى هذا الدرس نجد خطوطًا فى اللوحة العريضة للوحة الكون العجيبة فينقلنا السياق من مشهد إلى مشهد: فمن مشهد المكابرة. وكان ميدانه السماء ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾

إلى معرض الآيات الكونية مبدوءًا بمشهد السماء: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾

فمشهد الارض ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾

فمشهد الرياح اللواقح بالماء ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾

فمشهد الحياة والموت ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾

فمشهد البعث والحشر ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾

والقصد من هذه الجولة في أرجاء الكون، هو إظهار قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته كلها مقتضية لإرسال الرسول وإنزال الكتاب لهداية الناس إلى عبادة ربهم وحده.

فالخط الأول: فى هذه اللوحة العريضة. لوحة الكون العجيبة التى تنطق بآيات القدرة المبدعة وتشهد بالإعجاز أكثر مما يشهد نزول الملائكة.

والخط الثانى: فى اللوحة العريضة الهائلة هو خط الأرض الممدوة أمام النظر، المبسوطة للخطو والسير وما فيها من رواس، وما فيها من نبت وأرزاق للناس ولغيرهم من الأحياء.

والآية الكونية هنا تتجاوز الآفاق إلى الأنفس ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وما يرسله الله بقدر معلوم: الرياح والماء: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ جاء من خزائن الله ونزل منها بقدر معلوم.. والذى قدر هذا كله هو الخالق: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ

مَّعْلُومٍ﴾ إليه يرجع الأمر كله . . إلى الله.

ثم يتم السياق: رجع كل شئ إلى الله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ إن الحياة والموت بيد الله، وإن الله هو الوارث بعد الحياة، يقدر لكل أمة أجلها بحكمته، ويعلم متى تموت، ومتى تحشر، وما بين ذلك من أمور. . .

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٧٦) إلى صفحة رقم (١٧٦)

الدرس الثالث

(قصة البشرية الكبرى)

من الآية رقم (٢٦) قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ...﴾

إلى الآية رقم (٤٨) قوله تعالى ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾

مدة الحفظ: (يوم)

هنا نجئ إلى قصة البشرية الكبرى: قصة الفطرة الأولى. قصة الهدى والضلال وعواملها الأصلية. قصة آدم. مم خلق؟ وماذا صاحب خلقه وتلاه؟

إن نقطة التركيز في السياق هي سر التكوين في آدم، وسر الهدى والضلال وعواملها الأصلية في كيان الإنسان.. ومن ثم نص ابتداء على خلق آدم من صلصال من حمأ مسنون، ونفخه فيه من روحه المشرق الكريم، وخلق الشيطان من قبل من نار السموم، ثم عرض حكاية سجود الملائكة وإباء إبليس استنكافًا من السجود لبشر من صلصال من حمأمسنون. وطرده ولعنته، وطلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته إلى طلبه، وزاد أن إبليس قرر على نفسه أن ليس له سلطان على عباد الله المخلصين. إنما سلطانه على الذين يدينون له ولا يدينون لله. وانتهى بمصير هؤلاء وهؤلاء في غير حوار ولا عرض ولا تفصيل تبعا لنقطة التركيز في السياق، وقد استوفيت ببيان عنصري الإنسان، وبيان مجال سلطة الشيطان.

والمعركة الخالدة بين الشيطان والإنسان في هذه الأرض ترتكز ابتداء إلى استدارج الشيطان للإنسان بعيدا عن منهج الله، والتزيين له فيما عداه.

ومفرق الطريق بين الاتجاه إلى الجنة التي وعد بها المتقون، وبين الاتجاه إلى جهنم التي وعد بها الغاوون هو الدينونة لله وحده -التي يعبر عنها القرآن دائما بالعبادة- أو اتباع تزيين الشيطان بالخروج على هذه الدينونة.

إن الدينونة لله وحده هي مناط الإسلام. فلا قيمة لإسلام يدين أصحابه لغيرالله في حكم من الأحكام.

إن هذا الدين لا يحاول تغيير طبيعة البشر في هذه الأرض، ولا تحويلهم خلقا آخر. ومن ثم يعترف لهم بأنه كان في صدورهم غل في الدنيا، وبأن هذا من طبيعة بشريتهم

التى لا يذهب بهـا الإيمان والإسلام من جـذورها، ولكن يعالجـها فـقط لتخف حـدتها، ويتسامى بها لتنصرف إلى الحب فى الله والكره فى الله -وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟ - ولكنهم فى الجنة- وقـد وصلت بشريتهم إلى منـتهى رقيـها وأدت كذلك دورها فى الحـياة الدنيا- ينزع أصل الإحساس بالغل من صدورهم، ولا تكون إلا الأخوة الصافية الودود.

إنها درجة أهل الجنة... فمن وجـدها فى نفسه غالبة فى هذه الأرض، فليسـتبشر بأنه من أهلها، ما دام ذلك وهو مؤمن، فهذا هو الشرط الذى لا تقوم بغيره الأعمال... ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٧٦) إلى صفحة رقم (١٧٧)

الدرس الرابع

(مصارع الغابرين)

من الآية رقم (٤٩) قوله تعالى ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ...﴾

إلى الآية رقم (٨٤) قوله تعالى ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ...﴾

مدة الحفظ: (يومان)

يتضمن هذا الدرس نماذج من رحمة الله وعذابه. ممثله فى:

* قصة إبراهيم وبشارته -على الكبر- بغلام عليم.
* قصة لوط ونجاته وأهله إلا امرأته.
* وأصحاب الأيكة.
* وأصحاب الحجر وما حل بهم من عذاب أليم.

هذا القصص يساق بعد مقدمة: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ فيجئ بعضه مصداقًا لنبأ الرحمة، ويجئ بعضه مصداقًا لنبأ العذاب.. كذلك هو يرجع إلى مطالع السورة، فيصدق ما جاء فيها من نذير ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (٤) مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾... فهذه نماذج من القرى المهلكة بعد النذر، حل بها جزاؤها بعد انقضاء الأجل... وكذلك يصدق هذه القصص ما جاء فى مطلع السورة فى شأن الملائكة حين يرسلون ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٧٧) إلى صفحة رقم (١٧٩)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٤٩	٦١
	إلى	٦٠	٨٤

الدرس الخامس

(الحق الأكبر الذى يقدم به الوجود)

من الآية رقم (٨٥) قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ...﴾

إلى الآية رقم (٩٩) قوله تعالى ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

مدة الحفظ: (يوم)

وفى ختام السورة يعقب السياق ببيان هذا الحق الأكبر، الذى يتجلى فى طبيعة خلق السموات والأرض وما بينهما: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾

* وطبيعة الساعة الآتية لا ريب فيها: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾

* وطبيعة الدعوة التي يحملها الرسول ﷺ وقد حملها الرسل من قبله. ويجمع بينها كلها فى نطاق الحق الأكبر الذى يربطها ويتجلى فيها، ويشير إلى ذلك الحق متلبس بالخلق. صادر عن أن الله هو الخالق لهذا الوجود ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾

فليمض الحق الأكبر فى طريقه... ولتمض الدعوة المستندة إلى الحق الأكبر فى طريقها... وليمض الداعية إلى الحق لا يبالى بالمشركين المستهزئين: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾

وسنة الله ماضية فى طريقها لا تتخلف.

والحق الأكبر من ورائها متلبسًا بالدعوة وبالساعة وبخلق السماوات والأرض وبكل ما فى الوجود الصادر عن الخلاق العليم... إنها لَفْتَةٌ ضخمة تختم بها السورة.

لفتة إلى الحق الأكبر الذى يقوم به هذا الوجود.

وعلى أصحاب الدعوة الإسلامية أن يصدعوا بهذه الحقيقة الأساسية الكبيرة، ولا يخفوا منها شيئا، وأن يصبروا عليها مهما لاقوا من بطش الطواغيت وتململ الجماهير: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٧٩) إلى صفحة رقم (١٨٠)

سـورة النحـل

(مكية) وآياتها (١٢٨ آية)

مدة الحفظ: (١٤ يومًا)

هذه السورة

هى سورة هادئة الإيقاع، عادية الجرس، ولكنها مليئة حافلة. موضوعاتها الرئيسية كثيرة منوعة، والإطار الذى تعرض فيه واسع شامل.. وهى كسائر السور المكية تعالج موضوعات العقيدة الكبرى: الألوهية، والوحى، والبعث.. ولكنها تلم بموضوعات جانبية أخرى تتعلق بتلك الموضوعات الرئيسية.

* تلم بحقيقة الوحدانية الكبرى التى تصل دين إبراهيم -عليه السلام- ودين محمد ﷺ.

* وتلم بحقيقة الإرادة الإلهية -والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان والكفر والهدى والضلال.

* وتلم بالهجرة فى سبيل الله وفتنة المسلمين فى دينهم.

* وتضيف إلى موضوعات العقيدة: موضوعات المعاملة (العدل والإحسان والإنفاق والوفاء بالعهد)

وفى المجال الفسيح يبدو سياق السورة وكأنه حملة ضخمة للتوجيه والتأثير واستجاشة العقل والضمير.

فأما الظلال التي تلون جو السورة كله فهى الآيات الكونية تتجلى فيها عظمة الخلق، وعظمة العلم والتدبير.. كلها متداخلة.

ومن ثم تتراءى فى السورة ظلال النعمة، وظلال الشكر والتوجيهات إليها والتعقيب بها فى مقاطع السورة، وتضرب عليها الأمثال وتعرض لها النماذج.

ويقول الشيخ محمد الغزالى -يرحمه الله- حول المعانى العامة لموضوع السورة:

ظاهر أن السورة نزلت فى أخريات العهد المكى بعدما احتدم العراك بين المشركين والمؤمنين، وطال الأمد ولم يظفر الإيمان بنصر يشد أزره، ولم ينزل بالشرك حدث يقصم ظهره!! وكأن المشركين يقولون للمؤمنين: أين ما توعدوننا به وتنتظرون وقوعه؟ فكان

الجواب: كل آت قريب، إن غدًا لناظره قريب: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾

وقد صابر المسلمون الأيام، وعندما حزّت فى جلودهم الآلام نزلت آيتان في هذه السورة تعزيان المسلمين وتصبرانهم على ما نزل بهم.

الأولى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ...﴾

والثانية قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا...﴾

والسياق فى السورة يتشعب شعبتين:

أولاهما: تتحدث عن الوحى الذى تنزلت به الملائكة

والأخرى: تتحدث عن آيات الله فى كونه، وآلائه على عباده

وتعود سورة النحل إلى تصنيف النعم التى أفاءها الله على الناس: ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾.

إن عسل النحل وضعت فيه كتب تصف آثاره وفوائده! لقد استطاعت هذه الحشرة أن تستخلص من الحقول والحدائق، والتلال والحشائش، وتجمعت زمرًا بين شغالات وملكات لتقدمه بعد مشقة غذاء ودواء للناس،، والناس يلتهمون ولا يشكرون.

ثم شرعت الآيات تصف نعمًا عامة تشمل الناس كلهم بين المهد واللحد:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ...﴾

ومضت السورة تسرد ما فى أعناق الناس من منن:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ...﴾

لقد قامت سورة النحل على إحصاء النعم الإلهية، وفى مقدمتها نعمة القرآن الكريم، والمفروض أن يلقى الناس هذه النعم بالشكران والإيمان.

غير أن هناك من اعتسف الطريق، وآثر الكنود، فماذا كانت عاقبته؟ ..

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً...﴾

ثم ختمت السورة بأن الدعوة الإسلامية تقوم على الحوار والإقناع والأخذ والردّ، ولا تختطّ الإكراه طريقًا لا نتشارها:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ...﴾

ولا يستطيع ذلك إلا فقيه فى الكتاب والسنة، عارف بالداء والدواء.

الدرس الأول
(التوحيد)

من الآية رقم (١) قوله تعالى ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّه فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ...﴾

إلى الآية رقم (٢١) قوله تعالى ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ...﴾

مدة الحفظ: يومان

فى هذا الدرس يستعرض السياق آيات الخالق فى خلقه، وفى نعمته على عباده، وفى علمه بالسر والعلن.. وبينما الآلهة المدعاة لا تخلق شيئا، بل هى مخلوقة، ولا تعلم شيئا، بل هى ميتة لا تنتظر لها حياة. وهى لا تعلم متى يبعث عباده للجزاء! وهذا قاطع فى بطلان عبادتها، وفى بطلان عقيدة الشرك كافة.. وكان هذا هو الشوط الأول فى قضية التوحيد فى السورة مع إشارة إلى قضية البعث أيضا.

يبدأ الشوط الأول، وموضوعه التوحيد وأدواته هى:

١- آيات الله فى الخلق: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ...﴾

٢- ومن أدواته آياديه فى النعمه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم...﴾

٣- وعلمه الشامل فى السر والعلن: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾

٤- وعلمه الشامل فى الدنيا والآخره: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾

- ولنأخذ بشئ من التفصيل: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ لقد كان مشركو مكة يستعجلون الرسول ﷺ أن يأتيهم بعذاب الدنيا أو عذاب الآخرة، فجاء مطلع السورة حاسما.. أن سنة الله فى خلقه تمضى وفق مشيئته لا يقدمها استعجال ولا يؤخرها رجاء.

- ثم يأخذ فى عرض الآيات. آيات الخلق الدالة على وحدانية الخالق، وآيات النعمة الدالة على وحدانية المنعم، يعرضها فوجًا فوجًا، ومجموعة مجموعة بادئا بخلق السموات والأرض وخلق الإنسان.

فالفوج الأول من النعم: يبدأ بخلق السموات والأرض ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾

والفوج الثانى من آيات الخلق والنعمة: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾

والفوج الثالث من أفواج الآيات: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾

والفوج الرابع من أفواج النعمة فيما خلق الله للإنسان: ﴿وما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾

والفوج الخامس من أفواج الخلق والأنعام فى البحر المالح الذى لا يشرب:
﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾

والفوج السادس في هذا المقطع:
﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا﴾

وعندما ينتهى استعراض آيـات الخلق ، وآيات النعمة، وآيات التدبير في هذا المقطع من السورة يعقب السياق عليه بما سبق هذا الاستعراض من أجله.

فقد ساقه فى صدد قضية التعريف بالله سبحانه وتوحيده وتنزيهه عما يشركون:
﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٨٠) إلى صفحة رقم (١٨٢)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	١	١٢
	إلى	١١	٢١

الدرس الثانى

(المستكبرون المنكرون)

من الآية رقم (٢٢) قوله تعالى ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ... ﴾

إلى الآية رقم (٥٠) قوله تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ... ﴾

مدة الحفظ: ٣ أيام

* نبدأ هذا الدرس الجديد من حيث انتهينا فى الدرس السابق وكان استعراض آيات الخالق فى خلقه وفى نعمه على عباده- نبدأ شوطًا جديدًا، يفتتح بتقرير وحدة الألوهية:

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ... ﴾

ويعلل عدم إيمانهم بأن قلوبهم منكرة، فالجحود صفة كافة فيها تصدهم عن الإقرار بالآيات البينات، وهم مستكبرون، فالاستكبار يصدهم عن الإذعان والتسليم، ويختم بمشهد مؤثر: مشهد الظلال فى الأرض كلها ساجدة: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ..﴾**

ومعها ما فى السموات وما فى الأرض من دابة، والملائكة، قد برئت نفسها من الاستكبار: **﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** وامتلأت بالخوف من الله، والطاعة لأمره بلا جدال:

وبين المطلع والختام يستعرض السياق مقولات أولئك المستكبرين المنكرين عن الوحى والقرآن إذ يزعمون أنه أساطير الأولين. ومقولاتهم عن البعث والقيامة إذ يُقسمون جهدهم لا يبعث الله من يموت. ويتولى الرد على مقولاتهم جميعا. ويعرض فى ذلك:

مشاهد احتضارهم ومشاهد بعثهم وفيها يتبرأون من تلك المقولات الباطلة، كما يعرض مصارع الغابرين من المكذبين أمثالهم، ويخوفهم أخذ الله فى ساعة من ليل أو نهار وهم لا يشعرون، وهم فى تقلبهم في البلاد، أو وهم على تخوف وتوقع وانتظار للعذاب.. وإلى جوار هذا يعرض صورًا من مقولات المتقين المؤمنين وما ينتظرهم من الاحتضار ويوم البعث من طيب الجزاء. وينتهى بذلك المشهد الخاشع الطائع للظلال والدواب والملائكة فى الأرض والسماء.

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٢٢	٣٠	٤١
	إلى	٢٩	٤٠	٥٠

تفسير آيات هذا الدرس

من صفحة رقم (١٨٢) إلى صفحة رقم (١٨٥)

الدرس الثالث

(دلائل الألوهية الواحدة)

من الآية رقم (٥١) قوله تعالى ﴿وقال اللَّهُ لا تتَّخذُوا إلهَين اثنَين...﴾

إلى الآية رقم (٧٦) قوله تعالى ﴿ وضرب اللَّهُ مثلاً رَّجُلَيْن...﴾

مدة الحفظ:٣ أيام

هذا الشوط الثالث فى قضية الألوهية الواحدة التى لا تتعدد.

* يبدأ فيقرر وحدة الإله ووحدة المالك ووحدة المنعم: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ...﴾

* ويختم بمثلين يضربهما للسيد المالك الرازق، والعبد المملوك الذى لا يقدر على شئ، ولا يملك شيئا... هل يستوون؟ فكيف يسوّى الله المالك الرازق بمن لا يقدر ولا يملك ولا يرزق؟ فيقال: هذا إله وهذا إله؟ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكًا...﴾ .

* وفى خلال الدرس يعرض نموذجًا بشريًا للناس حين يصيبهم الضر فيجأرون إلى الله وحده، حتى إذا كشف عنهم الضر راحوا يشركون به غيره. ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ...﴾ .

* ويعرض كذلك صورًا من أوهام الوثنية وخرافاتها. فى تخصيص بعض ما رزقهم الله لآلهتهم المدعاة، فى حين أنهم لا يردون شيئًا مما يملكون على عبيدهم ولا يقاسمونهم إياه! ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا﴾ .

* وفى نسبة البنات إلى الله على حين يكرهون ولادة البنات لهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى...﴾ .

* وفى الوقت الذى يجعلون لله ما يكرهون تروح ألسنتهم تتشدق بأن لهم الحسنى، وأنهم سينالون على ما فعلوا خيرا! وهذه الأوهام التى ورثوها من المشركين قبلهم هى التى جاءهم الرسول ﷺ ليبين لهم الحقيقة فيها هدى ورحمة للمؤمنين ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ﴾.

* ثم يأخذ فى عرض نماذج من صنع الألوهية الحقة فى تأملها عظة وعبرة، فالله وحده هو القادر عليها الموجد لها، وهى هى دلائل الألوهية لا سواها:

- فالله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها.

- والله أعطى الناس -غير الماء- لبنا سائغًا يخرج من بطون الأنعام من بين فرث ودم.
- والله يُنبت للناس ثمرات النخيل والأعناب يأخذون منه سكرًا ورزقًا حسنا.
- ثم الله يخلق الناس ويتوفاهم ويؤجل بعضهم حتى يشيخ فينسى ما تعلمه.
- والله فضل بعضهم على بعض فى الرزق.
- والله جعل لهم من أنفسهم أزواجًا وجعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة.. وهم بعد هذا كله يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقًا فى السموات والأرض لا يقدرون على شئ.. ويجعلون لله الأشباه والأمثال!

هذه اللمسات كلها فى أنفسهم وفيما حولهم، يوجههم إليها لعلهم يستشعرون القدرة وهى تعمل فى ذواتهم وأرزاقهم وفى طعامهم وشرابهم، وفى كل شئ حولهم... ثم يختمها بالمثلين الواضحين اللذين أشرنا إليهما آنفا. فهى جملة على الوجدان البشرى والعقل البشرى، ذات إيقاعات عميقة، تضرب على أوتار حساسة فى النفس البشرية يصعب ألا تهتز لها وتتأثر وتستجيب.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٨٥) إلى صفحة رقم (١٨٨)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٥١	٦١	٧١
	إلى	٦٠	٧٠	٧٦

الدرس الرابع

(أسرار غيب الله)

من الآية رقم (٧٧) قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾

إلى الآية رقم (٨٩) قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم...﴾

مدة الحفظ: يوم واحد

يستمر السياق فى هذا الدرس فى استعراض دلائل الألوهية الواحدة التي يتكئ عليها فى هذه السورة: **عظمة الخلق... وفيض النعمة... وإحاطة العلم...**

غير أنه يركز فى هذا الشوط على قضية (البعث) والساعة أحد أسرار الغيب الذى يختص الله بعلمه فلا يطلع عليه أحدًا.

وموضوعات هذا الدرس تشمل ألوانا من أسرار غيب الله فى السموات والأرض، وفى الأنفس والآفاق:

* غيب الساعة التى لا يعلمها إلا الله وهو عليها قادر وهى عليه هينة:

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾

* وغيب الأرحام والله وحده هو الذى يخرج الأجنة من هذا الغيب لا تعلم شيئا، ثم ينعم على الناس بالسمع والأبصار والأفئدة لعلهم يشكرون نعمته:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾

* وغيب أسرار الخلق يعرض منها تسخير الطير فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله:

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾

يلى في هذا الدرس استعراض لبعض نعم الله على الناس وهى بجانب تلك الأسرار وجوها، نعم السكن والهدوء والاستظلال. فى البيوت المبنية والمتخذة من جلود الأنعام للظعن والإقامة ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾

ثم تفصيل لأمر البعث فى مشاهد يعرض فيها المشركين وشركاءهم، والرسل شهداء عليهم. والرسول ﷺ شهيدا على قومه. وبذلك تتم هذه الجولة فى جو البعث والإقامة:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٨٨) إلى صفحة رقم (١٩٠)

الدرس الخامس

(هذا الكتاب وما فيه)

من الآية رقم (٩٠) قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً . . .﴾

إلى الآية رقم (١١١) قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾

مدة الحفظ: ٣ أيام

في هذا الدرس بيان لبعض ما في الكتاب من التبيان والهدى والرحمة والبشرى.

* فيه الأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾

* وفيه الوفاء بالعهد والنهى عن نقض الإيمان بعد توكيدها. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ .

وكلها من مبادئ السلوك الأساسية التى جاء بها الكتاب.

* وفيه بيان الجزاء المقرر لنقض العهد واتخاذ الإيمان للخداع والتضليل:

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾

* ثم يذكر بعض آداب قراءة هذا الكتاب وهو الاستعاذه بالله من الشيطان الرجيم: لطرد شبحه من مجلس القرآن الكريم:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾

* كما يذكر بعض تقولات المشركين عن هذا الكتاب فمنهم من يرمى الرسول ﷺ بافترائه على الله. ومنهم من يقول: إن غلامًا أعجميًا هو الذى يعلمه هذا القرآن!

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾

وفى نهاية الدرس يبين جزاء من يكفر بعد إيمانه، ومن يكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ومن فتنوا عن دينهم ثم هاجروا وجاهدوا وصابروا. . وكل ذلك تبيان، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين. ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

ذلك يوم تشغل كل نفس بأمرها، لا تتلفت إلى سواها:

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾

وهو تعبير يلقى ظل الهول الذى يشغل كل أمرئ بنفسه، يجادل عنها لعلها تنجو من العذاب. ولا غناء فى انشغال ولا جدال. إنما هو الجزاء.

كل نفس وما كسبت. ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٩٠) إلى صفحة رقم (١٩٣)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٩٠	٩٦	١٠٤
	إلى	٩٥	١٠٣	١١١

الدرس السادس

(حال مشركى مكة)

من الآية رقم (١١٢) قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً . . .﴾

إلى الآية رقم (١٢٨) قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا . . .﴾

مدة الحفظ: يومان

سبق أن ضرب الله فى هذه السورة مثلين لتقريب حقيقة من حقائق العقيدة، وهو يضرب هنا مثلا لتصوير حال مكة، وقومها المشركين، الذين جحدوا نعمة الله عليهم. لينظروا المصير الذى يتهددهم من خلال المثل الذي يضربه لهم.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً . . .﴾

ومن ذكر النعمة فى المثل، وهى نعمة الرزق مع الأمن والطمأنينة ينتقل السياق بهم إلى الطيبات التى يحرمونها عليهم اتباعا لأوهام الوثنية، وقد أحلها الله لهم، وحدد المحرمات وبيّنها وليست هذه منها. وذلك لون من الكفر بنعمة الله، وعدم القيام بشكرها. يتهددهم بالعذاب الأليم من أجله، وهو افتراء على الله لم ينزل به شريعة

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا . . .﴾

وبمناسبة ما حرم الله على المسلمين من الخبائث، يشير إلى ما حرم على اليهود من الطيبات. بسبب ظلمهم. جعل هذا التحريم عقوبة لهم على عصيانهم ولم يكن محرمًا على آبائهم فى عهد إبراهيم الذى كان أمة قانتا لله حنيفا. ولم يكن من المشركين. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

ثم جاء دين محمد ﷺ امتدادًا واتباعًا لدين إبراهيم، فعادت الطيبات حلالا كلها. وكذلك السبت الذى منع فيه اليهود من الصيد. فإنما السبت على أهله الذين اختلفوا فيه ففريق كف عن الصيد وفريق نقض عهده فمسخه الله وانتكس عن مستوى الإنسانية الكريم.

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

وتختم السورة عند هذه المناسبة بالأمر إلى الرسول ﷺ أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. وأن يجادلهم بالتى هى أحسن. وأن يلتزم قاعدة العدل فى رد الاعتداء

بمثله دون تجاوز. . والصبر والعفو خير. والعاقبة بعد ذلك للمتقين المحسنين لأن الله معهم، ينصرهم ويرعاهم ويهديهم طريق الخير والفلاح. ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾

يجب على الداعية ألا يأخذه الحزن عندما يرى الناس لا يهتدون.

فإنما عليه واجبه يؤديه.

والهدى والضلال بيد الله.

ولا يضيق صدره بمكرهم فإنما هو داعية إلى الله فالله حافظ من المكر والكيد.

وقد يقع به الأذى لامتحان صبره -لكن العاقبة معروفة فمن كان معه الله فلا عليه ممن يكيدون وممن يمكرون.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٩٣) إلى صفحة رقم (١٩٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثاني
آيات الحفظ	من	١١٢	١٢٠
	إلى	١١٩	١٢٨


تفسير
الآيـات

سُورَةُ التَّوْبَة

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١)
فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى
ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ (٢) وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ
إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ
وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
(٣) إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ
شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ
مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٤) فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ
فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ
وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ (٦)

سورة التوبة
الدرس الأول
مدة الحفظ: (ثلاثة أيام)
من الآية (١) إلى الآية (٢٨)

١/ ٦ هذه الآيات وما بعدها إلى الآية الثامنة والعشرين -نزلت تحدد العلاقات النهائية بين المجتمع الإسلامى الذى استقر وجوده فى المدينة وفى الجزيرة العربية -بصفة عامة- وبين بقية المشركين فى الجزيرة الذين لم يدخلوا فى الدين. ويتضمن هذا المقطع إنهاء العهود التى كانت قائمة بين المسلمين والمشركين فى ذلك الحين.

١ ﴿ براءةٌ مِّنَ اللَّه ورَسُوله... ﴾ والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من تلك المعاهدات بسبب ما وقع من الكفار من النقض. فصار النبذ إليهم بعهدهم واجبا على المعاهدين من المسلمين.

٢ ﴿ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ... ﴾ واقتضت تطمين المؤمنين وتخويف المشركين بأن الله مخزى الكافرين، وأن الذين يتولون لا يعجزون الله ولا يفلتون من عذابه.

٣ ﴿ وأَذَانٌ مِّنَ اللَّه ورَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ... ﴾ وهو الإعلام والإعلان العام للناس -كافة الناس- يوم عيد الأضحى. ووصفه بالأكبر لأنه يجتمع فيه الناس ليكفل بلوغه إلى الناس جميعا بأن الله برئ من المشركين الناقضين للعهد والرسول أيضا قد برئ منهم.

٤ ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ... ﴾ والاستثناء هنا مخصص للحالات المؤقتة التى يصار بعدها إلى ذلك المبدأ العام. لقد وفى الإسلام لهؤلاء الذين وفوا بعهدهم فلم يمهلهم أربعة أشهر -كما أمهل كل من عداهم- ولكنه أمهلهم إلى مدتهم ذلك لأنهم لم ينقضوا المسلمين شيئا مما عاهدوهم عليه. ويعقب على الأمر بالوفاء بالعهد للموفين بعهدهم: ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

٥ ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ... ﴾ وقد أمر الله المسلمين -إذا انقضت الأشهر الأربعة أن يقتلوا كل مشرك أنّى وجدوه أو يأسروه أو يحصروه إذا تحصن منهم. إنها لم تكن حملة إبادة ولا انتقام.. إنما كانت حملة إنذار ودفع إلى الإسلام. ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ إنها حملة هداية كلما أمكن ذلك:

٦ ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ... ﴾ وهنا يأمر الله -سبحانه- رسوله ﷺ أن يجيرهم حتى يسمعوا كلام الله ويتم تبليغهم فحوى هذه الدعوة، ثم أن يحرسهم حتى يبلغوا مأمنهم. إن هذا الدين إعلام لمن لا يعلمون، وإجارة لمن يستجيرون، حتى من أعدائه الذين شهروا عليه السيف وحاربوه وعاندوه.. ولكنه يجاهد بالسيف ليحطم القوى المادية التى تحول بين الأفراد وسماع كلام الله.

معاني الكلمات:
لَمْ يَنقُصُوكُمْ: لم ينقضوا عهدكم.
كُلَّ مَرْصَدٍ: كل طريق وممر.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا
اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
(٧) كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا
عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠)
فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِن نَّكَثُوا
أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا
أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ
(١٢) أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا
بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣)

٧ ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عند الله وعند رسوله...﴾ كيف؟ إنهم لا يدينون لله بالعبودية خالصة وهم كذلك لا يعترفون برسالة الرسول ﴿إلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ولم ينقضوا ولم ينكثوا، أى فلا تقاتلوهم ما داموا مستقيمين لكم على العهد الذى بينكم وبينهم ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ والاستقامة على الوفاء بالعهود من أعمال التقوى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ثم يعود لاستنكار مبدأ التعاهد بأسبابه التاريخية والواقعية:

٩،٨ ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً...﴾ كيف وهم لا يعاونوكم إلا فى حال عجزهم عن التغلب عليكم. ولو ظهروا عليكم وغلبوكم لفعلوا بكم الأفاعيل -وإذا كانوا اليوم- وأنتم أقوياء- يرضونكم بأفواههم بالقول اللين والتظاهر بالوفاء بالعهد فإن قلوبهم تنغل عليكم بالحقد وتأبى أن تقيم على العهد فما بهم من وفاء لكم ولا ود ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

١٠ ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً...﴾ فصفة الاعتداء أصيلة فيهم. ثم يبين الله كيف يقابل المؤمنون هذه الحال الواقعة من المشركين:

١٢،١١ ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ...﴾ فلو تابوا عما مضى من الشرك والاعتداء فعندئذ يصفح الإسلام والمسلمون عن كل ما لقوا من هؤلاء المشركين المعتدين -فهم- ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ مسلمون مثلكم ولا يحل لكم قتالهم. قال ابن عباس: حرمت هذه الآية قتال أو دماء أهل الصلاة ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ فقد وجب على المسلمين قتالهم وهم ﴿أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ صناديد المشركين ﴿إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ فلا يستحقون العصمة لدمائهم وأموالهم لعلهم ينتهون عن كفرهم ونكثهم للعهد وطعنهم فى دين الإسلام.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ قال ابن عباس: نزلت فى أبى سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد، وهم الذين هموا بإخراج الرسول.

١٣ ﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ...﴾ إن تاريخ المشركين مع المسلمين كله نكث للإيمان، ونقض للعهود وأقرب ما كان من هذا نقضهم لعهدهم مع رسول الله ﷺ فى الحديبية كما أنهم هم الذين هموا بإخراج الرسول ﷺ من قبل فى مكة وبيتوا أمرهم فى النهاية على قتله قبل الهجرة. وحيث يستعرض السياق هذا الشريط من الذكريات والمواقف والأحداث يخاطبهم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ ويعقب على السؤال بما هو أشد إستجاشة للقلوب ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أن المؤمن لا يخشى إلا الله وعليه فلا يخشى أحدًا من العبيد.

معاني الكلمات:

لا يرقُبوا: لا يراعوا.

إلاًّ: رحمًا وقرابة. ذمَّةً: عهدًا.

نَكَثُوا أَيْمَانَهُم: نقضوا عهودهم.

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ
غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
(١٥) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ
أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ (١٧)
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ (١٨) ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠)

١٤، ١٦ ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم...﴾ لم يكن بد من إزالة هذه الأستار والمعاذير وإعلان المفاصلة للجميع ﴿قاتلوهم﴾ يذهب بالقتال غيظ قلوب المؤمنين الذى نالهم بسبب ما وقع من الكفار من نقض العهد ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ كما وقع من بعض أهل مكة يوم الفتح فإنهم أسلموا وحسن إسلامهم أم حسبتم أن تتركوا من غير أن تبتلوا بما يظهر به المؤمن والمنافق ولم يتبين المخلص منكم فى جهاده من غير المخلصين.

وهناك من اتخذوا من دون الله ورسوله وليجة (أى دخيلة) يطلعونها على أمور المسلمين، ويسترون عليهم وهى بينهم دخيلة، ويقرر هذه الجملة التى ختمت بها الآية وهى قوله تعالى ﴿والله خبير بما تعملون﴾

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله﴾ قال المفسرون: لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فعيروه بكفره بالله وقطيعة الرحم، وأغلظ على له القول، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا، فقال له علىُّ: ألكم محاسن؟ قال: نعم، إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة، ونسقى الحاج، ونفك العانى. فأنزل الله عز وجل ردًا على العباس (الآية).

١٧، ٢٠ ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله...﴾ هنا ينكر السياق على المشركين أن يكون لهم الحق فى أن يعمروا بيوت الله، فالأمر المستنكر منذ الابتداء، أن بيوت الله خالصة لله، فكيف يعمرها من لا يعمر التوحيد قلوبهم؟ ﴿أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون﴾ فعمارتهم لبيت الله باطلة لأنها لا تقوم على قاعدة من توحيد الله وهم فى النار بما قدموا من الكفر الواضح الصريح.

﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ وفعل ما هو من لوازم الإيمان ﴿ولم يخش إلا الله﴾ فمن كان مؤمنا موحدًا يعمل هذه الأعمال الصالحة فهو الحقيق بعمارة المساجد ﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ فكيف بالكفار الذين لم يتصفوا بشئ من تلك الصفات!! ثم أنكر عليهم التسوية بين ما كان تعمله الجاهلية من الأعمال التى صورتها صورة الخير، وإن لم ينتفعوا بها وبين إيمان المؤمنين وجهادهم فى سبيل الله ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾: هؤلاء ﴿لا يستوون عند الله﴾ فكيف يدعون أنهم أفضل عملاً ومكانة بين المؤمنين ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ﴿الذين آمنوا﴾ إلى آخره، أى: الجامعون بين الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس ﴿أعظم درجة عند الله﴾ وأحق بما لديه من الخير ﴿وأولئك هم الفائزون﴾ أى المختصون بالفوز.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ قال ابن عباس فى رواية الوالبى: قال العباس ابن عبد المطلب حين أسر يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج ونفك العانى (فأنزل الله الآية).

معاني الكلمات:
وليجة: بطانة.
حبطت أعمالهم: بطلت.
استحبوا الكفر: اختاروه.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ
تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ
فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

٢١/ ٢٢ ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان...﴾ وينتهى بهذا المعنى بتقرير فضل المؤمنين المهاجرين المجاهدين، وما ينتظرهم من رحمة ورضوان، ومن نعيم مقيم وأجر عظيم.

ثم يمضى السياق فى تجريد المشاعر والصلات فى قلوب الجماعة المؤمنة فيدعو إلى تخليصها من وشائج القربى والمصلحة واللذة.

٢٣، ٢٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء﴾ وليس المطلوب من المسلم أن ينقطع عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة ولا أن يترهبن ويزهد فى طيبات الحياة... وهذا الحكم باق إلى يوم القيامة يدل على قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين ﴿لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء﴾ نزلت فى الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفر ونهت المؤمنين أن يوالوا الآباء والإخوة فيكونوا لهم تبعا، إن أقاموا على كفرهم وأبوا أن يسلموا.

ولا يكتفى السياق بتقرير المبدأ بل يأخذ فى استعراض ألوان الوشائج والمطامع واللذائذ ليضعها فى كفة (كلها) ويضع العقيدة في الكفة الأخرى:

الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن المريحة وفى الكفة الأخرى حب الله ورسوله، وحب الجهاد في سبيله مجردًا من الصيت والذكر والظهور... ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم﴾ ألا إنها لشاقة. ألا إنها لكبيرة. ولكن هى ذاك... وإلا ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ وإلا فتعرضوا لمصير الفاسقين ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم﴾ قال الكلبى: لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامرأته: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلي ذلك ويعجبه ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده، فيقولون: ناشدناك الله أن لا تدعنا إلى غير شئ فنضيع فيرق فيجلس معهم ويدع الهجرة (فنزلت الآية).

ثم لمسة للمشاعر بالذكرى وباستعراض صفحة من الواقع الذى عاشه المسلمون من قريب:

٢٥، ٢٦ ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة...﴾ كبدر والنضير وقريضة والفتح وغيرها ﴿ويوم حنين﴾ حين قاتلوا قبيلة هوازن مذكرًا إياهم بهزيمة أصابت المؤمنين نتيجة خطأ من بعضهم وهو الاغترار بكثرة العدد إذ قال فيهم من قال: لن نغلب اليوم من قلة ثم انهزموا، ثم تراجع المسلمون فكان النصر والظفر، ﴿وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾ من الخوف والوجل ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ أى انهزمتم مولين أدباركم إلى جهة عدوكم ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ أى أنزل ما يسكنهم فيذهب خوفهم حتى وقع الاجتراء على قتال المشركين المراد من ثبت منهم فلم ينهزم ومن رجع وقاتل وهم الأنصار ﴿وأنزل جنودا لم تروها﴾ هم الملائكة ﴿وعذب الذين كفروا﴾ بما وقع عليهم من القتل والأسر وأخذ الأموال وسبى الذرية.

معاني الكلمات:

اقترفتموها: اكتسبتموها.

فتربصوا: فانتظروا.

سكينته: طمأنينة.

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ
نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ
وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن
شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ
﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى
ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ
يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ
ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ
وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ
مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

٢٧ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يشاء...﴾ فباب التوبة والمغفرة دائمًا مفتوح لمن يخطئ ثم يتوب.

٢٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ وإذا كان هناك خوف على مصالحهم الاقتصادية التى ستتعرض للضياع بمنع المشركين من الحج بإعلان الجهاد العام على المشركين كافة.. نعم! ولكنها العقيدة. وبعد ذلك فالله هو المتكفل بأمر الرزق من وراء الأسباب المعهودة المألوفة ﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء﴾ وحين يشاء يستبدل أسبابًا بأسباب، وحين يشاء يغلق بابًا ويفتح الأبواب ﴿إن الله عليم حكيم﴾ يدبر الأمر كله عن علم وعن حكمة وعن تقدير وعن حساب.

الدرس الثانى

(الأحكام النهائية في العلاقات بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب)

الآيات من ٢٩/٣٥

مدة الحفظ: (يوم واحد)

٢٩ ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...﴾ هذه الآية والآيات التالية لها فى السياق كانت تمهيدًا لغزوة تبوك، ومواجهة الروم وعمالهم من العساسنة المسيحيين العرب فهؤلاء: لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ولا يدينون دين الحق فهذه أوصافهم والشرط الذى يشترط النص للكف عن قتالهم ليس أن يسلموا.. فلا إكراه فى الدين ولكن أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وعليه فإن الوسيلة العملية لضمان إزالة العوائق المادية وعدم الإكراه على اعتناق الإسلام فى الوقت نفسه، هى كسر شوكة السلطات القائمة على غير دين الحق، حتى تستسلم، وتعلن استسلامها بقبول إعطاء الجزية فعلاً. وعندئذ تتم عملية التحرير فعلاً بضمان الحرية لكل فرد أن يختار دين الحق عن اقتناع فإن لم يقتنع دفع الجزية.

٣٠ ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله...﴾ وتبين هذه الآية ضلال عقيدة أهل الكتاب.. الضلال الذى لا يتفق معه أن يكونوا مؤمنين بالله. وعليه فالتعقيب القرآنى على قول اليهود ﴿عزير ابن الله﴾ وقول النصارى ﴿المسيح ابن الله﴾ يثبت أنهم يماثلون قول الذين كفروا من قبل: ﴿ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾ وبعد هذا البيان تختم الآية ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾.

٣١ ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا...﴾ وهؤلاء عندما أمروا أن يعبدوا الله وحده فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله -كما اتخذوا المسيح ابن مريم ربا -وأن هذا منهم شرك بالله.

كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه. أطاعهم كما تطاع الأرباب واتخذوا المسيح أيضا ربا معبودًا ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا﴾ فكيف يكونون آلهة؟ ﴿سبحانه عما يشركون﴾.

معاني الكلمات:
خفتم عيلة: فقرًا. عن يد: عن انقياد.
يعطوا الجزية: الخراج.

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ
أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ
أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ
عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ
تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

ثم يمضى السياق خطوة أخرى فى تحريض المؤمنين على القتال:

٣٢ ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم...﴾ يعلنون الحرب على دين الحق ويريدون إطفاء نور الله فى الأرض المتمثل فى هذا الدين، فهم محاربون لنور الله ﴿ويأبى الله إلاَّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ وهو الوعد الحق من الله، الدال على سنته التى لا تتبدل..

٣٣ ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق...﴾ وهذا توكيد لوعد الله الأولى.

٣٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنَّ كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ وأكل أموال الناس بالباطل كان يتمثل فى صور شتى وما يزال: منها ما يأخذونه على فتاوى تحليل الحرام وتحريم الحلال لصالح من يملكون المال أو السلطان ومنها ما يأخذه القسيس أو الكاهن مقابل الاعتراف له بالخطايا وغفرانه، ومنها الربا، كذلك ما يجمعون من أموال الناس لمحاربة دين الحق.

والسياق القرآنى يصور عذابهم فى الآخرة بما كنزوا: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ ويسكت السياق: وتنتهى الآية على هذا الإجمال والإبهام فى العذاب. ثم يأخذ في التفصيل بعد الإجمال.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنَّ كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ نزلت فى العلماء والقراء من أهل الكتاب كانوا يأخذون الرشاء من سفلتهم، وهى المآكل التى كانوا يصيبونها من عوامهم.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ اختلف فيها المفسرون فعند بعضهم أنها فى أهل الكتاب خاصة. وقال السدى: هى فى أهل القبلة.

٣٥ ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم﴾ وبعد أن تنتهى عملية الكى في الجباه فليداروا على الجنوب.. ها هى ذى تكوى.. ثم على الظهور لقد انتهى العذاب فليتبعه الترذيل والتأنيب ﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ ألا إنه لمشهد مفزع مروع أى ذوقوا وباله وسوء عاقبته. قال ابن عمر فى الآية إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما نزلت الزكاة جعلها الله طهرة للأموال، ثم قال: ما بالى لو كان عندى مثل أحد ذهبا أعلم عدده وأزكيه وأعمل فيه بطاعة الله.

الدرس الثالث
(إزالة المعوقات لجهاد الروم)
من الآية رقم (٣٦/ ٤١)
مدة الحفظ: (يوم واحد)

٣٦ ﴿إنَّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا...﴾ وبيان هذه القضية: أن الله حرم الأشهر الحرم الثلاثة المتوالية: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والشهر الرابع المفرد: رجب. فيشير هذا النص إلى أن هناك دورة زمنية ثابتة، مقسمة إلى إثنى عشر شهراً. يستدل على ثباتها بثبات عدة الأشهر، فلا تزيد في دورة وتنقص فى دورة، لا تتخلف ولا تتعرض للنقص أو الزيادة لأنها تتم وفق قانون ثابت. ﴿ذلك الدين القيم﴾ فهذا الدين مطابق للناموس الأصيل ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ أى لا تظلموا أنفسكم بإحلال حرمتها التى أرادها الله لتكون فترة أمان وواحة سلام. ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ أى جميعا ﴿كما يقاتلونكم كافة﴾ أى جميعا ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ أى ينصرهم ويثبتهم.

معاني الكلمات: ليظهره: ليعليه.

الدين القيم: الدين المستقيم دين إبراهيم عليه السلام.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ
إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

٣٧ ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر...﴾ النسئ: يحرمون شهراً ويؤخرون شهراً، وهذه كتلك فى إحلال ما حرم الله. وهذا كفر مزاولة التشريع إلى جانب كفر الاعتقاد. ﴿يضل به الذين كفروا﴾.. ويخدعون بما فيه من تلاعب وتحريف وتأويل ﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾ فهم يرون السوء حسنًا ويرون القبيح جميلا ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ الذين ستروا قلوبهم عن الهدى وعن دلائل الهدى فاستحقوا بذلك أن يتركهم الله لما هم فيه من ظلام وضلال.

٣٨/ ٤١ ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم﴾.. هذا المقطع من سياق السورة يرجح أنه نزل بعد الأمر بالنفير العام لغزو تبوك. ومعنى ﴿اثاقلتم﴾ هى ثقلة الأرض، ومطامع الأرض، وتصورات الأرض.. ثقلة الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على اللذائذ والمصالح والمتاع.. ثقلة الدعة والراحة والاستقرار ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا﴾ أى بنعيمها بدلاً من الآخرة ﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاَّ قليل﴾ حقير لا يعبأ به.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا﴾ الآية: نزلت فى الحث على غزوة تبوك. وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الطائف وغزوة حنين أمر بالجهاد لغزو الروم، وذلك فى زمان عسرة الناس وجدب البلاد وشدة الحر، حين أثمرت النخل وطاب الثمار، فعظم علي الناس غزوة الروم وأحبوا الظلال والمقام فى المساكن والمال، وشق عليهم الخروج إلى القتال، فلما علم الله تثاقل الناس (أنزل هذه الآية).

﴿إلاَّ تنفروا يعذبكم﴾ أى إن تركتم الجهاد عذبكم الله بالقهر والإذلال ﴿ويستبدل قوما غيركم﴾ ينصرونه تكون لم دولة ﴿ولا تضروه شيئا﴾ بترك امتثال أمره بالنفير، أو لا تضروا الرسول ﷺ بترك نصره والنفير معه ﴿والله على كل شيء قدير﴾ من جملة تقديراته تعذيبكم والاستبدال بكم.

﴿إلاَّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ ذلك الحين ضاقت قريش بمحمد ذرعًا، كما تضيق القوة الغاشمة دائما بكلمة الحق.. فتآمرت عليه، وقررت أن تتخلص منه، فاطلعه الله على ما تآمرت به وأوحى إليه بالخروج فخرج وحيدا إلا من صاحبه الصديق ابو بكر والسياق يرسم الرسول ﷺ وصاحبه: ﴿إذ هما في الغار﴾ والقوم على أثرهما يتعقبون، والصديق يجزع، والرسول أنزل الله سكينته على قلبه.. ثم ماذا كانت العاقبة؟ ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ وظلت كلمة الله في مكانها العالى منتصرة قوية نافدة ﴿وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ ذلك مثل على نصرة الله لرسوله ولكلمته والله قادر على أن يعيده على أيدى قوم آخرين غير الذين تثاقلوا ويتباطأون.

معاني الكلمات:

ليواطئوا: ليوافقوا. اثاقلتم: تباطأتم.

ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا
مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾
عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ
فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ
لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم
مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

٤١ ﴿انفروا خفافا وثقالا...﴾ انفروا فى كل حال، وجاهدوا بالنفوس والأموال، ولا تتلمسوا الحجج والمعاذير... ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ وأدرك المؤمنون المخلصون هذا الخير، فنفروا والعوائق فى طريقهم، والأعذار حاضرة لو أرادوا التمسك بالأعذار ففتح الله عليهم القلوب والأرضين وأعز بهم كلمة الله، وأعزهم بكلمة الله.

سبب النزول: روى بإسناده -عن حبان بن زيد الشرعبى قال: نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان واليا على حمص قبل الأفسوس إلى الجراجمة فرأيت شيخًا كبيرًا، قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار فأقبلت إليه فقلت: يا عم لقد أعذر الله إليك. قال: فرفع حاجبيه فقال يا ابن أخى استنفرنا الله خفافا وثقالا. ألا إنه من يحبه الله يبتليه، ثم يعيده فيبقيه، وإنما ابتلى الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبدإلا الله عز وجل.

الدرس الرابع
(المنافقون.. وأعراض الضعف فى الصف)
من الآية ٤٢/٩٢
مدة الحفظ: (خمسة أيام)

٤٢ ﴿لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لأتبعوك...﴾ .فكثيرون هم أولئك الذين يتهاوون فى الطريق الصاعد إلى الآفاق الكريمة ليميلوا إلى العرض التافه أو المطلب الرخيص، فما هى قلة عارضة، إنما هى النموذج المكرر ﴿وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم﴾ فهو الكذب المصاحب للضعف، وما يكذب إلا الضعفاء.

فالقوى يواجه، والضعيف يداور ﴿يهلكون أنفسهم﴾ بهذا الحلف وبهذا الكذب ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾.

٤٣ ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم...﴾ إنه لطف الله برسوله، فهو يعجل له بالعفو قبل العتاب. فلقد سارع لهم ﷺ بالإذن فى التخلف عن الجهاد بأعذار أخبروك بها، وهلا تأنيت حتى يتبين لك صدق من هو صادق منهم فى العذر الذى أبداه، وكذب من هو كاذب منهم فى ذلك.

٤٤ ﴿لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر...﴾ بل دأبهم أن يبادروا إليه من غير توقف ﴿والله عليم بالمتقين﴾ وهم هؤلاء الذين لم يستأذنوا.

٤٥ ﴿إنما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر...﴾ وهم المنافقون ﴿وارتابت قلوبهم﴾ وهو الشك ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ يتحيرون.

٤٦ ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة...﴾ أي لو كانوا صادقين لما تركوا إعداد العدة ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾ أى حبسهم الله عن الخروج معك وخذلهم، ﴿وقيل اقعدوا﴾ أى أوقع الله فى قلوبهم القعود خذلانا لهم ﴿مع القاعدين﴾ أى مع أولى الضرر من العميان والمرضى والنساء والصبيان.

٤٧ ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا...﴾ هذه تسلية للمؤمنين عن تخلف المنافقين ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ لسعوا بينكم سعيًا حثيثا بالإفساد ﴿يبغونكم الفتنة﴾ فى ذات بينكم بما يصنعونه ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ ﴿والله عليم بالظالمين﴾ وبما يحدث منه لو خرجوا معكم.

معانى الكلمات:
خفافا وثقالا : على أية حال كنتم
عرضا قريبا : مغنما سهلاً
ابعاثهم : نهوضهم
فثبطهم : فحبسهم وعوقهم.

لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ
سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ
مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ
وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ
أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ
أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ
قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ
إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

٤٨ ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل...﴾ أى لقد طلبوا الإفساد والخبال وتفريق كلمة المؤمنين وتشتيت شملهم ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ أى صرفوها من أمر إلى أمر لعل شيئا منها يؤثر فيك فيبطل عزمك على الجهاد ﴿حتى جاء الحق﴾ وهو النصر لك والتأييد ﴿وظهر أمر الله﴾ بإعزاز دينه وإعلاء شرعه وقهر أعدائه ﴿وهم كارهون﴾ كان ذلك على رغم منهم.

٤٩ ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني...﴾ ومنهم من يقول من المنافقين للرسول ﷺ ائذن لى فى التخلف عن الجهاد ﴿ولا تفتني﴾ عن ابن عباس قال: لما أراد النبى ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال لجد بن قيس: يا جدّ: ما تقول فى مجاهدة بنى الأصفر؟ فقال: يا رسول الله: إنى أمرؤ صاحب نساء ومتى أرى نساء بنى الأصفر -يعنى نساء الروم- أفتتن، فائذن لى ولا تفتنى ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ أى فى نفس الفتنة سقطوا وهى فتنة التخلف عن الجهاد، والاعتذار الباطل.

٥٠ ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة...﴾ الحسنة: الغنيمة والظفر، والمصيبة: الجراح والقتل فى سبيل الله ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا﴾ أى احتطنا لأنفسنا وأخذنا بالعزم، فلم نخرج إلى القتال كما خرج المؤمنون حتى نالهم من المصيبة ﴿ويتولوا وهم فرحون﴾ بسلامتهم وبمصيبة المؤمنين.

٥١ ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا...﴾ أي فى اللوح المحفوظ، وقد أمرنا بالقتال فنحن نتمثل أمره ﴿هو مولانا﴾ أى ناصرنا وجاعل العاقبة لنا ومظهر دينه على جميع الأديان ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ والاعتقاد بقدر الله، والتوكل الكامل على الله، لا ينفيان اتخاذ العدة بما فى الطوق. فذلك أمر الله الصريح..

٥٢ ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين...﴾ فماذا يتربص المنافقون بالمؤمنين؟ إنها الحسنى على كل حال. النصر الذى تعلو به كلمة الله، أو الشهادة فى سبيل الحق عليا الدرجات عند الله. وماذا يتربص المؤمنين بالمنافقين: إنه عذاب الله يأخذهم كما أخذ من قبلهم من المكذبين ﴿فتربصوا إنا معكم متربصون﴾ والعاقبة معروفة... والعاقبة للمؤمنين.

٥٣ , ٥٤ ﴿قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم...﴾ ..إنها صورة المنافقين فى كل آن. خوف ومداراة وقلب منحرف وضمير مدخول. ومظاهر خالية من الروح والتعبير القرآنى الدقيق ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾ فهم يأتونها مظهرًا بلا حقيقة، ويأتونها كسالى إنما يدفعون إليها دفعًا وكذلك ينفقون ما ينفقون وهم كارهون مكرهون. وما كان الله ليقبل هذه الحركات الظاهرة التي لا يصاحبها شعور دافع.

معانى الكلمات:
الحسنيين: النصر أو الشهادة.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾
وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ
أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ
فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ
لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ
فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ
ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

٥٥ ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم..﴾ ولقد كان هؤلاء المنفقون وهم كارهون ذوى مال وذوى أولاد، وذوى جاه فى قومهم وشرف. ولكن هذا كله ليس بشئ عند الله إن الأموال والأولاد قد تكون نعمة .. وقد تكون نقمة.. وكم من الناس يعذبون بأبنائهم بسبب من الأسباب. ﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ بسبب عدم الشكر لربهم الذي أعطاهم ذلك ﴿وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ المعنى: أن الله يريد أن تخرج أرواحهم حال كفرهم لعدم قبولهم لما جاءت به الأنبياء وتصميمهم على الكفر وتماديهم فى الضلالة.

٥٦/ ٥٧ ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم...﴾ إنهم جبناء. والتعبير يرسم لهذا الجبن مشهدًا ويجسمه فهم يحلفون أنهم من المسلمين، أسلموا اقتناعًا، وآمنوا اعتقادًا، ولأنهم جبناء فهم متطلعون أبدًا إلى مخبأ يحتمون به، ويأمنون فيه. حصنًا أو مغارة أو نفقا. إنهم مذعورون مطاردون.

٥٨/ ٦٠ ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا...﴾ والغمز بالقول فمنهم من يغمزك ويعيب عدالتك في توزيع الصدقات، ويدعى أنك تحابى فى قسمتها ويقولون ذلك الحساب ذواتهم وأطماعهم.

سبب النزول: عن أبى سعيد الخدرى قال: بينا رسول الله ﷺ يقسم قسمًا إذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمى وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج، فقال اعدل فينا يا رسول الله، فقال: [ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟] فنزلت: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ أى ما فرضه الله لهم وما أعطاهم رسول الله ﷺ أي لكان خيرا لهم ﴿وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾ كفانا الله: سيعطينا من فضله ويعطينا رسوله بعد هذا ما نرجوه ونؤمله ﴿إنا إلى الله راغبون﴾ فى أن يعطينا من فضله ما نرجوه ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ والفقير الذى لا شئ له، وفى الحديث قالوا: ما المسكين يا رسول الله؟ قال [الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئا] ﴿والعاملين عليها﴾ أى السعاة والجباة الذى يبعثهم الإمام لتحصيل الزكاة ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ وهم الكفار الذين كان النبى ﷺ يتألفهم ليسلموا، وكانوا يدخلون فى الإسلام بالعطاء ﴿وفي الرقاب﴾ أن يشترى مماليك ثم يعتقهم ﴿والغارمين﴾ هم الذين ركبتهم الديون ولا وفاء عندهم ﴿وفي سبيل الله﴾ هم الغزاة المرابطون يعطون من الصدقه ما ينفقون فى غزوهم ومرابطتهم وإن كانوا أغنياء ﴿وابن السبيل﴾ الذي انقطعت به الأسباب فى سفره عن بلده يعطى منها وأن كان غنيا فى بلده ﴿فريضة من الله﴾ هو حكم لازم فرضه الله على عباده ونهاهم عن مجاوزته.

٦١ ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن...﴾ إنه سوء الأدب فى حق الرسول، ويقولون عن النبى ﷺ ﴿هو أذن﴾ أي سماع لكل قول، يجوز عليه الكذب والخداع والبراعة ولا يفطن إلى غش القول وزوره، وذلك اغترارًا منهم بحلمه عنهم وصفحه عن جناياتهم ﴿قل أذن خير لكم﴾ أى نعم هو يستمع لكم ولكن نعم الأذن هو، لكونه يسمع الخير ولا يسمع الشر ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ أى يصدق بالله ويصدق المؤمنين ويستمع لهم.

معاني الكلمات:

قوم يفرقون : يخافون منكم

مدخلا : سربًا فى الأرض

والغارمين : المدينين

هو أذن : يسمع كل ما يقال له ويصدقه.

يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ
مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ
ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ
أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم
بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ
بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ
بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ
عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ
إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾

٦٢ ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم...﴾ علمًا بأنهم كانوا فى خلواتهم يطعنون على النبى ﷺ فهم يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من وراء الظهور، ثم يجبنون عن المواجهة ويضعفون عن المصارحة ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ فماذا يكون الناس؟ وما ذا تبلغ قوتهم.

٦٣ ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله...﴾ سؤال للتأنيب والتوبيخ، فإنهم ليدعون الإيمان، إنهم يخشون عباد الله فيحلفون لهم ليرضوهم. فكيف لا يخشون خالق العباد وهم يؤذون رسوله ويحاربون دينه فكأنما يحاربون الله ﴿يحادد الله ورسوله﴾ يعادى الله ورسوله ذلك العذاب هو الذل والهوان (إذا أصاب من يتكبر).

٦٦/٦٤ ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم...﴾

وقد وردت عدة روايات عن حوادث معينه فى سبب نزول الآيات: قال أبو معشر المدينى عن محمد بن كعب القرظى وغيره (قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قُرَّاءَنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء (يقصدون قرّاء القرآن) فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فجاء إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فقال: ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون (٦٥) لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾ وإن رجليه لتسفعان الحجارة، وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بسيف رسول الله ﷺ وأخرج ابن المنذر وابن حاتم وأبو الشيخ عن قتادة قال: [بينما رسول الله ﷺ فى غزوته إلى تبوك، وبين يديه أناس من المنافقين فقالوا: أيرجو هذا الرجل أن يفتح له قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك. فقال النبى ﷺ «احبسوا على هؤلاء الركب» فأتاهم فقال: «قلتم كذا؟ قلتم كذا؟ قالوا: يا نبى الله إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله فيهم ما تسمعون.

إنما كنا نخوض ونلعب... كأن هذه المسائل الكبرى التى يتصدرون لها، وهى ذات صلة وثيقة بأصل العقيدة.. كأن هذه المسائل مما يخاض فيه ويلعب. ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون﴾ ﴿لا تعتذروا﴾ فإن ذلك غير مقبول منكم ﴿قد كفرتم﴾ ﴿بعد إيمانكم﴾ ﴿إن نعف عن طائفة منكم﴾ وهم من أخلص الإيمان وترك النفاق وتاب عنه ﴿نعذب طائفة﴾ بسبب ﴿بأنهم كانوا مجرمين﴾

٦٧ ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض...﴾ من طينة واحدة، وطبيعة واحدة. ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ فهم خارجون عن الإيمان، منحرفون عن الطريق وقد وعدهم الله مصيرًا كمصير الكفار:

٦٨ ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم...﴾ وفيها كفايتهم وهى كفاء إجرامهم ﴿ولعنهم الله﴾ فهم مطرودون من رحمته ﴿ولهم عذاب مقيم﴾.

معانى الكلمات:

من يحادد الله: من يخالفه ويعاديه

ويقبضون أيديهم: لا يبسطونها فى خير

هي حسبهم: كافيتهم عقابا على كفرهم.

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ
كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

٦٩ ﴿ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولادا ﴾ والقرآن يذكر القوم بما كان من أسلافهم، ويبصرهم بأنهم يسلكون طريقهم، ويحذرهم أن يلاقوا مصيرهم. لعلم يهتدون. إنها الفتنة بالقوة، والفتنة بالأموال والأولاد، فأما الذين اتصلت قلوبهم بالقوة الكبرى فهم لا يفتنون بالقوة العارضة التى تخول لهم فى الأرض. وأما الذين انحرفت قلوبهم عن مصدر القوة والنعمة فهم يبطرون ويفجرون فى الأرض، ويتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴿ أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ﴾ وبطلت بطلانًا أساسيا ﴿ وأولئك هم الخاسرون ﴾ الذين خسروا كل شئ

ويلتفت السياق من خطابهم إلى خطاب عام كأنما يعجب من هؤلاء الذين يسيرون فى طريق الهالكين ولا يعتبرون:

٧٠ ﴿ ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم... ﴾ هؤلاء ألم يأتهم نبأ الذين ساروا في نفس الطريق؟ ﴿ قوم نوح ﴾ وقد غمرهم الطوفان وطواهم اليم فى تيار الفناء المرهوب، وعاد وقد أهلكوا بريح صرصر عاتية، ﴿ وثمود ﴾ قد أخذتهم الصيحة، ﴿ وقوم إبراهيم ﴾ وقد أهلك طاغيتهم المتكبر وأنجى إبراهيم، ﴿ وأصحاب مدين ﴾ وقد أصابتهم الرجف وخنقتهم الظلة، ﴿ والمؤتفكات ﴾ قرى قوم لوط وقد قطع الله دابرهم إلا الأقلين.. ألم يأتهم نبأ هؤلاء ﴿ أتتهم رسلهم بالبينات ﴾ فكذبوا بها فأخذهم الله بذنوبهم: ﴿ فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾؟

وفى مقابل المنافقين والكفار، يقف المؤمنون الصادقون. طبيعة غيرالطبيعة، وسلوكًا غير السلوك ومصيرًا غير المصير.

٧١/ ٧٢ ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض... ﴾ هؤلاء بعضهم من بعض عكس المنافقين والمنافقات مع وحدة طبيعتهم لا يبلغون أن يكونوا أولياء بعضهم لبعض لكنهم بعضهم من بعض وليسوا أولياء. فالولاية تحتاج إلى شجاعة وإلى نجدة وإلى تعاون وإلى تكاليف.

﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ومن هنا تقف الأمة المؤمنة صفًا واحدًا. لا تدخل بينها عوامل الفرقة ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ الصلة التى تربطهم بالله ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ الفريضة التى تربط بين الجماعة المسلمة ﴿ ويطيعون الله ورسوله ﴾ فلا يكون لهم هوى غير أمر الله وأمر رسوله ولا يكون لهم شريعة إلا شريعة الله ورسوله ﴿ أولئك سيرحمهم الله ﴾ ورحمة الله للمؤمنين تقابل لعنته للمنافقين والكفار ﴿ إنّ الله عزيزٌ حكيمٌ ﴾ قادر على إعزاز الفئة المؤمنة. حكيم فى تقدير النصر والعزة لها.

وإذا كان عذاب جهنم ينتظر المنافقين والكافرين فإن نعيم الجنة ينتظر المؤمنين: ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ﴾ للإقامة المطمئنة. ولهم فوقها ﴿ ورضوانٌ من الله أكبر ﴾ ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾.

معاني الكلمات:
وخضتم: دخلتم فى الباطل
والمؤتفكات: المنقلبات (قرى قوم لوط).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ
وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ
ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟
ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ
ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

٧٣، ٧٤ ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين...﴾ ويقرر القرآن الكريم أن هؤلاء المنافقين قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم، وهموا بأمر خيبهم الله فيه، وهو من وحى الكفر الذى صاروا إليه ﴿واغلظ عليهم﴾ الغلظ شدة القلب وخشونة الجانب وهكذا تكون معاملة المؤمنين لهذين الفريقين في الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار. ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ نزلت بسبب قول بعض المنافقين: لئن كان محمد صادقا على إخواننا الذين هم سادتنا وخيارنا لنحن شر من الحمير، فأخبر بذلك النبى ﷺ وأخذ قائل تلك الكلمة يحلف بالله ما قالها وقيل فى سبب نزولها غير ذلك ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر﴾ وهى ما تقدم بيانه ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ قيل إنهم هموا بقتل الرسول ﷺ ليلة العقبة في غزوة تبوك ﴿وما نقموا إلاَّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ وقد كان هؤلاء المنافقون فى ضيق من العيش، فلما قدم النبى ﷺ اتسعت معيشتهم وكثرت أموالهم ﴿فإن يتوبوا يك خيرا لهم﴾ خير لهم مما فعلوا في نفاقهم ﴿وإن يتولوا﴾ عن التوبة والإيمان ﴿يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا﴾ بالقتل والأسر وفى الآخرة بعذاب النار.

٧٥/ ٧٧ ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله...﴾ نزلت فى ثعلبة بن حاطب من أهل المدينة.

جاء ثعلبة بن حاطب، فقال يا رسول الله: ادع الله أن يرزقنى مالاً، فو الذى بعثك بالحق إن آتانى الله مالاً لأعطين كل ذى حق حقه. [قال ويحك يا ثعلبة: قليل تطيق شكره خير من كثير لا تطيقه] قال يا رسول الله: ادع الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ [اللهم ارزقه مالاً] قال فاتخذ غنما فنمت كما تنمو الدود. حتى ضاقت بها المدينة فتنحى بها، ثم نمت فتنحى بها، فكان لا يشهد جمعة ولا جنازة، فقال رسول الله ﷺ [ويح ثعلبة بن حاطب] ثم بعث رسول الله ﷺ رجلين يأخذان الصدقات فمرا بثعلبه فسألاه الصدقة، فقال ما هذه إلا جزية، حتى قدما المدينة، فلما رآهما رسول الله ﷺ قال قبل أن يكلمهما [ويح ثعلبه بن حاطب] وأنزل الله هذه الآيات الثلاث فى شأنه، فسمع بعض أقارب ثعلبة فأتى ثعلبة فقال: ويحك ياثعلبة أنزل فيك كذا وكذا. فقال: فقدم ثعلبة فقال يا رسول الله: هذه صدقة مالى. فقال: إن الله منعنى أن أقبل منك، فجعل يبكى ويحثى التراب على رأسه، ثم لم يقبلها أبو بكر فى عهده ثم لم يقبلها عمر ولا عثمان فهلك فى خلافة عثمان. ﴿فأعقبهم نفاقا﴾ بسبب البخل وإخلاف عهدهم مع الله مستمرًا ﴿في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾ أى يوم القيامة.

٧٨ ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم...﴾ الم يعلموا أن الله مطلع على السرائر، عالم بما يدور بينم من أحاديث، وأن الله يعلم الغيب الخافى المستور ﴿وأن الله علام الغيوب﴾ والآن يعرض السياق لونًا آخر من تصورات المنافقين للزكاة ويكشف لونا من طبيعة الغمز فيهم واللمز.

٧٩ ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات...﴾ كانوا يعيبون المسلمين إذا تطوعوا بشئ يسير من أموالهم وأخرجوه للصدقة ويقولون ما فعلوا هذا إلا رياء ﴿والذين لا يجدون إلاَّ جهدهم﴾ وهو الشئ القليل ﴿سخر الله منهم﴾ أهانهم وأذلهم وعذبهم ﴿ولهم عذاب أليم﴾.

معانى الكلمات:
واغلظ عليهم: شدد عليهم
الذين يلمزون: يعيبون جهدهم: طاقتهم.

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن
تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟
مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ
أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ
أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

٨٠ ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم..﴾ هؤلاء المنافقون الذين يلمزون المتطوعين بالصدقات على هذا النحو، قد تقرر مصيرهم،، فما عاد يتبدل: ﴿فلن يغفر الله لهم﴾ لن يجديهم استغفار فإنه وعدم الإستغفار لهم سواء ﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله﴾... ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾..

٨١/ ٨٥ ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله...﴾ هؤلاء الذين أدركتهم ثقلة الأرض، ثقلة الحرص على الراحة، والشح بالنفقه ﴿وقالوا لا تنفروا في الحر﴾ وهى قولة المسترخى الناعم الذى لا يصلح لشئ مما يصلح له الرجال ﴿قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون﴾ فكيف بهم فى حر جهنم وهى أشد حراً وأطول أمدا؟ ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون﴾ وإنه لضحك فى هذه الأرض وأيامها المعدودة، وإنه لبكاء فى أيام الآخرة الطويلة ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ فهو الجزاء من جنس العمل العادل الدقيق.

﴿فإن رجعك الله إلى طائفة منهم﴾ إنما قال: إلى طائفة لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف ﴿فاستئذنوك للخروج﴾ معك فى غزوة أخرى بعد غزوتك هذه ﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً﴾ عقوبة لهم، ولما فى استصحابهم من المفاسد ﴿إنكم رضيتم بالقعود أول مرة﴾ وهى غزوة تبوك ﴿فاقعدوا مع الخالفين﴾ وهم الذين تخلفوا عن الخروج من المرضى والنساء والصبيان ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ والنص يعلل هذا النهى في موضعه هنا ﴿إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ والجماعة المسلمة يجب ألا تبذل هذا التكريم من وقوف على القبر أو دعاء لصاحبه لمن يتخلف عن الصف ساعة الجهاد.

سبب نزول قوله تعالي: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب -رضى الله عنه-، يقول: لما توفى عبد الله بن أبى، دعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام عليه، فلما وقف قلت: أعلى عدو الله عبد الله بن أبى القائل كذا وكذا والقائل كذا أعدد ايامه، ورسول الله ﷺ يبتسم حتى إذا أكثرت قال: يا عمر، أخر عنى، إنى قد خيرت فاخترت، قد قيل لى [إستغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم] فلوا أعلم أنى إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها. ثم صلى عليه رسول الله ﷺ ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه. يقول عمر: فعجبت لى ولجرأتى على رسول الله ﷺ، فوالله ما كان إلا يسيرا، حتى نزلت هاتان الآيتان ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعد.

﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم﴾ أى لا يقام لهم وزن لأموالهم ولا لأولادهم لأن الإعجاب بها نوع من التكريم الشعورى لهم . وهم لا يستحقون سوى الاحتقار والإهمال لهم ولما يملكون.

٨٦ ﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله...﴾ فإذا أنزلت سورة تأمر بالجهاد جاء أولو الطول الذين يملكون وسائل الجهاد والبذل. جاءوا لا ليتقدموا الصفوف، ولكن ليتخاذلوا ويعتذروا ويطلبوا أن يقعدوا مع النساء دون أن يستشعروا ما فى هذه القعدة من صغار وهوان.

معاني الكلمات:
لا تنفروا: لا تخرجوا
الخالفين: المتخلفين عن الجهاد
أولوا الطول منهم: أصحاب الغنى والسعة من المنافقين.

رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم
لا يفقهون (٨٧) لكن الرسول والذين آمنوا معه
جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات
وأولئك هم المفلحون (٨٨) أعد الله لهم جنات تجري
من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (٨٩) وجاء
المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم
(٩٠) ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم (٩١)
ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد
ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع
حزنا ألا يجدوا ما ينفقون (٩٢) ۞ إنما السبيل على
الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا
مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون (٩٣)

٨٧ ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ ﴿وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ ولو كانوا يفقهون لأدركوا ما في الجهاد من قوة، وكرامة وبقاء كريم، وما في التخلف من ضعف ومهانة وفناء ذميم. إن للذل ضريبة كما أن للكرامة ضريبة. وإن ضريبة الذل لأفدح في كثير من الأحايين فهي تؤدى كاملة تؤدى في النفوس ومن الأقدار ومن السمعة.

٨٨ ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ فأولئك لهم كل خير، فيشمل منافع الدنيا والدين، وقيل: الخيرات هن النساء الحسان في الجنة.

٨٩ ﴿أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾ وأخبر عما أعد لهم من ذلك النعيم المقيم بأنه الفوز فقال ﴿ذلك الفوز العظيم﴾.

٩٠ ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم...﴾ فأما الأولون فهم ذوو الأعذار الحقيقة فلهم عذرهم إن استأذنوا في التخلف، وأما الآخرون فقعدوا بلا عذر... قعدوا كاذبين على الله ورسوله، وهؤلاء ينتظر الذين كفروا منهم عذاب أليم. أما الذين يتوبون ولا يكفرون فمسكوت عنهم لعل لهم مصيرًا غير هذا المصير.

٩١/ ٩٢ ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى...﴾ ليس على هؤلاء حرج إذا تخلفوا عن المعركة في الميدان وقلوبهم مخلصة لله ورسوله، لا يغشون ولا يخدعون.. إنما الجناح على المسيئين. وإنها لصورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد، والألم الصادق للحرمان من نعمة أدائه. وبمثل هذه الروح انتصر الإسلام، وبمثل هذه الروح عزت كلمته، فلننظر أين نحن من هؤلاء!! والمعنى: ليس على هؤلاء حرج في تخلفهم عن الخروج إلى الغزو، فإن أعذارهم قائمة.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ نزلت في البكائين وكانوا سبعة: معقل بن يسار وصخر بن خنيس وعبد الله بن كعب الأنصاري وعُلبة بن زيد الأنصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمه وعبد الله بن مغفل أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا نبي الله إن الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك، فقال ﴿لا أجد ما أحملكم عليه﴾ فتولوا وهم يبكون.

الدرس الخامس
(المتخلفون عن الخروج)
من الآية ٩٣/ ١١٠
مدة الحفظ: (خمسة أيام)

٩٣ ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء...﴾ أي طريق العقوبة والمؤاخذة ﴿على الذين يستأذنونك﴾ في التخلف عن الغزو ﴿وهم أغنياء﴾ أي يجدون ما يتجهزون به ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ مع النساء القاعدات في البيوت ﴿فهم﴾ بسبب هذا الطبع ﴿لا يعلمون﴾ ما فيه الربح لهم حتى يختاروه على ما فيه من الخسران.

معاني الكلمات:

تفيض من الدمع: تمتلئ به فتصبه.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن
نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى
اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) سَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن
تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
(٩٦) الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا
حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧) وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٨) وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ
مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ
لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٩)

٩٤ ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم...﴾ لأنهم يخجلون من الظهور بفعلتهم هذه أى يعتذر هؤلاء المنافقون إلى المؤمنين إذا رجعوا من الغزو ﴿لن نؤمن لكم﴾ أى لن نصدقكم ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾ أى لأن الله قد أعلمنا بالوحى ما هو مناف لصدق اعتذاركم ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ فيما بعد هل تقلعون عما أنتم عليه الآن من الشر أم تبقون عليه ﴿ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ وهو الله تعالى فإنه يعلم بكل شئ يقع منهم مما يكتمونه أو يتظاهرون به.

٩٥ ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم...﴾ وهذا إنباء آخر من الله سبحانه لنبيه ﷺ عما سيكون من أمر القوم عندما يعود إليهم والمؤمنون الخلص معه سالمين آمنين وقد كان المنافقون قد ظنوا أنهم لا يعودون من لقاء الروم!! ثم يوجهه ربه إلى الإعراض عنهم فعلاً لكن لا بمعنى الصفح والعفو إنما بمعنى الإهمال والاجتناب فهؤلاء هم دنس فى الدنيا وإنهم يضيعون نصيبهم فى الآخرة.

ثم يمضى السياق ينبئ عما سيقع من هؤلاء القاعدين:

٩٦ ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم...﴾ معتذرين بأنواع من المعاذير لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فلن ينفعهم رضاكم شيئا لأنهم فاسقون والله لا يرضى عن القوم الفاسقين وما دام لا يرضى عنهم فهو ساخط عليهم، ومن سخط الله عليه أهلكه وعذبه ولذا فإن رضاكم عنهم وعدمه سواء.

٩٧ ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا...﴾ ومن هنا يبدأ السياق بتصنيف الأعراب -وهم البدو- وبالتالى يعرض لقاعدة كلية عن طبيعة الأعراب. فكفرهم ونفاقهم أشد من كفر غيرهم ومن نفاق غيرهم، لأنهم أقسى قلبًا، وأغلظ طبعا، وأجفى قولاً ﴿وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله﴾ من الشرائع والأحكام لبعدهم عن مواطن الأنبياء، وديار التنزيل.

٩٨ ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما...﴾ فيعتقد أن الذى ينفقه فى سبيل الله غرامة وخسرانا ولكنه ينفقه للرياء والتقية ليستمتع بمزايا الحياة فى المجتمع المسلم ومداراة المسلمين وهم أصحاب السلطة اليوم فى الجزيرة ﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ وينتظر متى تدور الدوائر على المسلمين ويتمنى ألا يعودوا سالمين ﴿عليهم دائرة السوء﴾ والله سميع لما يقولون عليم بما يظهرون وما يكتمون.

وهناك الفريق الآخر ممن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان:-

٩٩ ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر...﴾ هذا الفريق المؤمن يبتغى بما ينفق أن يكون قربى من الله ويتطلب صلوات الرسول... أى دعواته وهو يدعو بها للمؤمنين فيبادر السياق فيقرر أنها قربى مقبولة عند الله ويبشرهم بحسن العاقبة ﴿ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته﴾ ويقبل التوبة، ويتقبل النفقه، ويغفر ما كان من ذنب ويرحم من يبتغون الرحمة.

معانى الكلمات:

وأجدر: أحق وأحرى

مغرما: غرامة

ويتربص بكم الدوائر: ينتظر بكم المصائب

عليهم دائرة السوء: الضرر والشر (دعاء عليهم).

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ
مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا
وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ
اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ
اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

١٠٠ ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان...﴾ هذه الطبقة كانت تؤلف القاعدة الصلبة للمجتمع المسلم فى الجزيرة بعد الفتح ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ وهنا تنتظرهم علامة هذا الرضا: ﴿وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا﴾ ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ وأى فوز بعد هذا وذلك عظيم؟

١٠١ ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق﴾ ويطمئن الله -سبحانه- رسوله ﷺ والمؤمنين معه من كيد هذه الفئة الخفية الماكرة الماهرة ﴿لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ كما ينذر هؤلاء الماكرين المهرة فى النفاق بأنه سبحانه لن يدعهم ﴿سنعذبهم مرتين﴾ وقيل المراد بالمرتين: المصائب فى أموالهم وأولادهم وأنفسهم وعذاب القبر ﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ إلى الدرك الأسفل من النار.

١٠٢/ ١٠٥ ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم...﴾ وقد روى أن الآيات نزلت فى جماعة خاصة معنيَّة فعلاً، ممن تخلفوا عن رسول الله فى غزوة تبوك ثم أحسوا وطأة الذنب، فاعترفوا بذنوبهم ورجوا التوبة. ﴿خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ والاعتراف بالذنب على هذا النحو، كان من شأنه أن قبل الله توبتهم وغفر لهم ثم قال لنبيه ﷺ خذ صدقة هؤلاء التائبين لأنها تطهرهم من ذنوبهم ومن أوضار الشح وتزكيهم بقبولك لها وصلّ عليهم أى ادع لهم بخير. ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾ أى رحمة وطمأنينة وهنا يأتى الاستفهام للتقرير ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ أى هم يعلمون ذلك قطعًا ويأخذ الصدقات ويقبلها وأن الله هو التواب الرحيم.

ثم أمر الله -تعالى- رسوله أن يقول لهم حاضًا لهم على العمل الصالح وقل اعملوا فيشكر الله لكم ويثنى به عليكم ﴿وستردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ وهو الله ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ ويجزيكم به الحسن بالحسن والسيء بالسيء.

ويجئ دور الفريق الآخر.

قال ابن عباس فى رواية الوالبى أخرجه ابن جرير (١١/ ١٠) والبيهقى فى (الدلائل) (٥/ ٢٧٢) نزلت فى قوم كانوا قد تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك، وقالوا: نكون فى الكن (وهى المنازل) والظلال مع النساء ورسول الله ﷺ وأصحابه فى الجهاد، والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون الرسول ﷺ هو الذى يطلقنا ويعذرنا، فأوثقوا أنفسهم بسوارى المسجد، فلما رجع رسول الله مر بهم فرآهم، فقال: (من هؤلاء؟) قالوا: هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم، فقال النبى ﷺ [وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أؤمر بإطلاقهم، رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين] فأنزل الله تعالى الآية.

١٠٦ ﴿وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾ وهؤلاء هم القسم الأخير من المتخلفين عن غزوة تبوك. وكان أمرهم موكولا إلى الله لم يعلموه ولم يعلمه الناس. وقد روى أن هذه الآية قد نزلت في الثلاثة الذين خلفوا وسنرجئ الحديث عنه حتى يجئ فى موضعه أن شاء الله تعالى.

معاني الكلمات:

سكن لهم: طمأنينة

مرجون: مؤخرون لا يقطع لهم بتوبة.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
(١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)
إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)

١٠٧/١٠٨ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ إن المراد من هؤلاء أثنا عشر رجلاً من أهل المدينة طلبوا من الرسول ﷺ أن يصلى لهم فيه فوعدهم الصلاة فيه بعد عودته من السفر وعند عودته نزل عليه الوحى بشأن مسجد الضرار فبعث من أحرقه على أهله وهدمه وتفرق أهله ونزل فيهم قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ أى لأجل الإضرار بالمسجد النبوى ومسجد قباء حتى يأتيهما أهل الحى وقوله ﴿كُفْرًا﴾ أى لأجل الكفر بالله ورسوله ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ علة ثالثة لبناء مسجد الضرار ﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أى قبل بناء مسجد الضرار. وقالوا بعد حرقه ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ﴾ وقد فند الله قولهم وأعلن كذبهم ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ وقد نهى الرسول أن يصلى لهم فيه ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ وهو مسجده ﷺ ومسجد قباء، وقد أثنى على أهل قباء بخير وأخبر بأنهم يحبون أن يتطهروا من الخبث الحسى والمعنوى.

١٠٩ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ...﴾ أى على مخافة من الله وطلب لرضاه خير أمن أسس بنيانه على شفا (أى طرف) جرف هار ﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾.

ومشهد آخر يرسمه التعبير القرآنى لآثار مسجد الضرار فى نفوس بُناته الأشرار:

١١٠ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ...﴾ لقد انهار الجرف المنهار.. انهار ببناء الضرار الذى أقيم عليه. انهار به فى نار جهنم وبئس القرار.

الدرس السادس
(الأحكام النهائية بين المجتمع المسلم وغيره)
من الآية رقم ١٢٩/١١١
مدة الحفظ: (ثلاثة أيام)

١١١ ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ فالمؤمنون هم الذين اشتري الله منهم فباعوا.... ومن رحمة الله أن جعل الصفقة ثمنًا، أليس هو - سبحانه- الذى وعد بالثمن، وعدًا قديما في كل كتبه ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ وهؤلاء المؤمنون الذين عقد الله معهم البيعة هم قوم تتمثل فيهم صفات إيمانية أصيلة.

سبب النزول: قال محمد بن كعب القرظى: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسًا، قال عبد الله بن رواحه: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: [أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، واشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم] قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: (الجنة) قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الآية.

معانى الكلمات:

مسجدا ضرارا: مضارة لأهل مسجد قباء

وإرصادا: ترقبًا وانتظارًا

على شفا جرف: على حرف بئر.

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ
ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ
وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن
يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى
سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

١١٢ ﴿التَّائبون العابدون الحامدون السَّائحون...﴾ هذه هى الجماعة المؤمنة التى عقد الله معها بيعته.
وهذه هى صفاتها ومميزاتها: توبة ترد العبد إلى الله، وحمد لله على السراء والضراء، وسياحة فى ملكوت الله مع آياته، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر يتجاوز صلاح العباد والحياة، وحفظ لحدود الله يرد عنها العادين المضيعين.
وتوضح الآيات التالية انقطاع ما بين المؤمنين الذين باعوا تلك البيعة وبين من لم يدخلوا معهم فيها -ولو كانوا أولى قربى-.

١١٣ ﴿ما كان للنبيِّ والَّذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين...﴾ ما كان لهم أن يفعلوه فمن مات على الشرك قضى الله تعالى بأنه فى النار.
سبب النزول: عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية فقال: [أى عم قل معى لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله] فقال أبو جهل وأبو أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شئ كلمهم به على ملة عبد المطلب، فقال النبى ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فنزلت ﴿ما كان للنبيِّ والَّذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾.

١١٤ ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاَّ عن موعدة وعدها إيَّاه...﴾ فلما مات أبوه على الشرك وتبين لإبراهيم أنه عدو لله لا رجاء فى هداه ﴿تبرأ منه﴾ وقطع صلته به إن إبراهيم كثير التضرع، حليم على من آذاه.

١١٥ ﴿وما كان اللَّه ليضلَّ قومًا بعد إذ هداهم...﴾ نزلت بسبب خوف الذين كانوا يستغفرون لآبائهم المشركين.
ثم يقرر الله -سبحانه- فى نهاية الآيات أنه هو الولى الناصر:

١١٦ ﴿إنَّ اللَّه له ملك السموات والأرض يحيي ويميت...﴾ له سبحانه له الخلق والملك والتصرف، فهو يضل من يشاء ويهدى من يشاء يحيى ويميت يحيى بالإيمان ويميت بالكفر.
﴿وما لكم مِّن دون اللَّه من وليٍّ ولا نصير﴾ فلو تخلى عنكم ليس لكم من يتولاكم وإذا تخلى عنكم ليس لكم من ينصركم إذا خذلكم فلذا وجبت طاعته والاتكال عليه وحرم الالتفات إلى غيره من سائر خلقه.

١١٧ ﴿لقد تاب اللَّه على النَّبيِّ والمهاجرين والأنصار الَّذين اتَّبعوه...﴾ وتوبة الله على النبى ﷺ الظاهر أنها متعلقة بما سبق أن قال الله عنه: ﴿عفا اللَّه عنك لم أذنت لهم﴾ وتوبة الله على المهاجرين والأنصار يشير النص الذى بين أيدينا إلى ملابساتها فى قوله تعالى: ﴿الَّذين اتَّبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريقٍ منهم﴾ ولقد وصف عمر -رضى الله عنه- فى شأن العسرة فقال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، فنزلنا منزلاً فأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع. وحتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده.
هذه هى العسرة التى تخلف فيها المتخلفون وكثرتهم من المنافقين.

معانى الكلمات:

السَّائحون: الغزاة المجاهدون
لأوَّاه: لكثير التأوه خوفًا وشفقة
ساعة العُسْرة: وقت الشدة
يزيغ: يميل إلى التخلف عن الجهاد.

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم
مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ
عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ
وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ
ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم
بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾
وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

١١٨ ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا...﴾ وهذه الآية تصور قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله حتى ﴿ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ فما الأرض؟ إن هى إلا بأهلها. إن هى إلا بالقيم السائدة فيها... ضاقت... فكأنما هى وعاء لهم تضيق بهم ولا تسعهم وظنوا أن لا مخرج من الله إلا بالالتجاء إليه سبحانه مفرج الكروب. ثم يجئ الفرج ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾ تاب الله عليهم من هذا الذنب الخاص، ليتوبوا توبة عامة عن كل ما مضى ولينيبوا إلى الله إنابة كاملة فى كل ما سيأتى.

١١٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله...﴾ وهنا يجئ الهتاف للذين آمنوا جميعا أن يتقوا الله ويكونوا مع الصادقين في إيمانهم مع أهل السابقة ويجئ التنديد بتخلف أهل المدينة:

١٢٠ ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ وفى التعبير تأنيب خفى لسكان المدينة من المهاجرين والأنصار وأيضا من النازلين حول المدينة من الأعراب -ما كان لهم أن يتخلفوا- وهذا عتاب ولوم شديد لمن تخلفوا عن غزوة تبوك ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ أى يطلبوا لأنفسهم الراحة دون نفس رسول الله ﷺ وهذا لا ينبغى أن يكون أبدًا.

بل واجب أن يكابدوا معه المشاق، ويجاهدوا بين يديه أهل الشقاق ﴿في سبيل الله﴾ فى طاعة الله وجهاد أعدائه ﴿ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار﴾ أى لا يدوسون مكانًا من أمكنة الكفار بأقدامهم ﴿ولا ينالون من عدو نيلا﴾ قتلاً، أو أسرًا، أو هزيمة، أو غنيمة ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ السنة المقبولة يجازيهم بها.

١٢١ ﴿ولا ينفقون نفقة...﴾ وإن كان شيئا صغيرا ﴿ولا يقطعون واديا﴾ كل منفرج بين جبال أو آكام ﴿إلا كتب لهم﴾ ﴿ليجزيهم الله﴾ به ﴿أحسن ما كانوا يعملون﴾.

١٢٢ ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة...﴾ ويتركوا المدينة خالية، بل ينفر ﴿من كل فرقة منهم طائفة﴾ من تلك الفرقة، ويبقى من عداهم ﴿ليتفقهوا في الدين﴾ ليتفقه القاعدون ويقفوا لطلب العلم ويعلموا الغزاة إذا رجعوا إليهم من الغزو (ويحتمل أن المراد: ليتفقه الذين خرجوا مع النبى ﷺ ويتعلموا منه من القرآن وأحكام الدين فى الجهاد والحرب والتعامل وغيره، فيعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم) والتجارب تجزم بأن الذين لا يندمجون فى الحركة بهذا الدين لا يفقهونه، مهما تفرغوا لدراسته فى الكتب -دراسة باردة... إن فقه هذا الدين لا ينبثق إلا فى أرض الحركة، ولا يؤخذ عن فقيه قاعد حيث تجب الحركة.. فقد وجد الدين أولاً ثم وجد الفقه.. الحركة بهذا الدين هى التى أنشأت ذلك الفقه، والحركة بهذا الدين هى التى حققت نموه..

معانى الكلمات:

ولا يرغبوا بأنفسهم: لا يترفعوا بها

مخمصة: مجاعة ما

لينفروا كافة: ليخرجوا إلى الجهاد جميعًا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (١٢٣)
وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
(١٢٤) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا
إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (١٢٥) أَوَلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ
سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ
ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ
(١٢٧) لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ (١٢٩)

سُورَةُ يُونُس

١٢٣ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ...﴾ وهذه الآية تضع خطة الحركة الجهادية ومداها كذلك، وندرك من ذلك أن هذا هو الأمر الأخير، الذى يجعل (الانطلاق) بهذا الدين هو الأصل الذى ينبثق منه مبدأ الجهاد، وليس هو مجرد (الدفاع)... فقتال كل الكفار واضح صريح، ومن يتحرج من ذلك ينسى أن هذا الجهاد.. هو فى سبيل الله.. ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ أى بلا هوادة ولا تميع ولا تراجع.. حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله الله، والغلظة ليست مطلقة من كل قيد وأدب أي يحاربونهم فى حدود الآداب العامة لهذا الدين.

١٢٤ ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ...﴾ وتوضح هذه الآيات طريقة المنافقين فى تلقى آيات الله ﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ وهو سؤال مريب ويحمل رائحة التهوين والتشكيك.. لذلك يجئ الجواب الحاسم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ والصنف الآخر.

١٢٥ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ وكان الجزاء العدل أنهم ماتوا كافرين.

١٢٦ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ...﴾ وهنا يسأل مستنكرًا حال هؤلاء المنافقين الذين لا يعظهم الابتلاء ولا يردهم الامتحان. وما زال المنافقون يفتنون ولا يتوبون (والمعنى أن الفتنة كانت تكون بكشف سترهم، أو بنصر المسلمين بدونهم، أو بغيرهما من الصور. وكانت دائمة الوقوع كثيرة التكرار فى عهد الرسول ﷺ.

١٢٧ ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ...﴾ وهذه صورة حية أو مشهد متحرك ترسمه هذه الآية ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أى نظر بعض المنافقين إلى البعض الآخر قائلين ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ من المؤمنين لننصرف عن المقام الذى ينزل فيه الوحى، فإنه لا صبر لنا على استماعه ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ عن ذلك المجلس إلى منازلهم ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ أى صرفها عن الخير وما فيه الرشد لهم والهداية ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أى لا يفهمون ما يسمعون.

١٢٨/١٢٩ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ وتختم السورة بآيتين ورد أنهما مكيتان وورد أنهما مدنيتان -آيتان تتحدثان عن الصلة بين الرسول ﷺ وقومه، وعن حرصه عليهم ورحمته بهم.

والآية الثانية توجيه له أن يعتمد على ربه وحده حين يتولى عنه من يتولى فهو وليه وناصره وكافيه ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

إن ختام سورة القتال والجهاد: الارتكان إلى الله وحده، والاعتماد عليه وحده، واستمداد القوة من الله وحده ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

معاني الكلمات:

غِلْظَةً: شدة

عَزِيزٌ عَلَيْهِ: صعب وشاق عليه

مَا عَنِتُّمْ: مشقتكم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب الحكيم (١) أكان للناس عجبا
أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا
أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا
لساحر مبين (٢) إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض
في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع
إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا
تذكرون (٣) إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه
يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب
أليم بما كانوا يكفرون (٤) هو الذي جعل الشمس
ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات
لقوم يعلمون (٥) إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق
الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون (٦)

سورة يونس
الدرس الأول
(هذا الكتاب الحكيم)
من الآية (١) إلى الآية (٢٥)
مدة الحفظ: (ثلاثة أيام)

١ ﴿الر...﴾ من هذه الحروف وأمثالها تتألف آيات الكتاب الحكيم.. الحكيم الذي يخاطب البشر بما يناسب طبائع البشر... والحكيم الذي ينبه الغافلين إلى تدبر آيات الله في صفحة الكون وتضاعيفه ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾.

٢ ﴿أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم...﴾ سؤال استنكاري إنهم يسألون كيف يتم الاتصال بين بشر وبين الله؟ ﴿أن أنذر الناس﴾ للناس جميعا. فكل الناس في حاجة إلى التبليغ والبيان والتحذير: ﴿قال الكافرون إن هذا لساحر مبين﴾ ساحر لأن ما ينطق به معجز، ولقد كان يختلط عندهم الوحي بالسحر لاختلاط الدين بالوثنيات.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس﴾ قال ابن عباس: لما بعث الله تعالى محمدا ﷺ رسولا أنكرت عليه الكفار، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٣ ﴿إن ربكم الله...﴾ فهو يستحق سبحانه الربوبية والعبادة فهو خالق السماوات والأرض. خلقها في تقدير وحكمة في ﴿ستة أيام﴾ والأيام الستة غيب من غيب الله والاستواء على العرش كناية عن مقام السيطرة العلوية ﴿يدبر الأمر﴾ ويقدر أوائله وأواخره ﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾ فالأمر كله له، والحكم كله إليه ولا أحد يشفع إلا حيث يأذن له بالشفاعة ﴿ذلكم الله ربكم﴾... الخليق بالربوبية ﴿فاعبدوه﴾ فهو الذي يستحق الديونة له دون سواه ﴿أفلا تذكرون﴾؟

٤ ﴿إليه مرجعكم جميعا...﴾ إليه وحده لا للشركاء والشفعاء، ﴿وعد الله حقا﴾ أي إرجاعه إياكم إليه وعد منه صادق وذلك يوم إعادة حشر البشر جميعا. إنه يبدأ الخلق من التراب ثم يعيده إلى الحياة ليجزي الذين آمنوا بالعدل والذين كفروا لهم شراب من الماء الحار ﴿وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾.

٥ ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء..﴾ ضياء من ذات الشمس والقمر نورا من غير الذات أي من استفادته من ضوء الشمس ﴿وقدره منازل﴾ أي قدر مسيره في منازل وهي المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ وما تزال المواقيت والمواعيد تضبط بالشمس والقمر لكافة الناس ﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾ فهل هذا كله عبث؟ ﴿يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ فهذه المشاهد تحتاج إلى العلم لإدراك التدبير الكامن وراء المشاهد والمناظر.

٦ ﴿إن في اختلاف الليل والنهار...﴾ أي بالطول والقصر والضياء والظلام ﴿وما خلق الله في السموات والأرض﴾ من أفلاك وكواكب ورياح وأمطار وما خلقه في الأرض من إنسان وحيوان وبر وبحر وأنهار وأشجار وجبال ووهاد لعلامات ﴿لقوم يتقون﴾.

معاني الكلمات:

قدم صدق: سابقة فضل
حميم: ماء بالغ غاية الحرارة
وقدره منازل: صير القمر ذا منازل يسير فيها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن
تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ
ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ
ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ
مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟
لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ
خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

٨، ٧ ﴿إنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لقاءنا...﴾ أن الذين لا يتدبرون ولا يتفكرون لن يسلكوا طريق الكمال البشرى... هؤلاء غافلون عن آيات الله الكونيه التى توقظ القلب وترفع الحس وتحفز إلى التطلع والكمال. هؤلاء مأواهم النار وبئس المأوى وبئس المصير.

٩، ١٠ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ وفى الضفة الأخرى هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم إلى الصالحات بسبب هذا الإيمان الذى يصل ما بينهم وبين الله ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾ فما همومهم فى هذه الجنة وما هى شواغلهم؟

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾ وإذا فرغوا من المأكل والمشرب قالوا: الحمد لله رب العالمين.

١١ ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ...﴾ وهذا السياق يواجه تحديهم لرسول الله ﷺ وطلبهم تعجيل العذاب الذى يتوعدهم به. وقد شاءت حكمته -تعالى- أن يؤجلهم فقد علم أن كثرتهم ستدخل فى هذا الدين.. وكان ذلك في فتح مكة ويقول الله لهم إنه -سبحانه- لو استجاب لهم فى استعجالهم كله لقضى عليهم وعجل بأجلهم!

ولكنه يستبقيهم لِما أجّلهم له ثم يحذرهم من هذا الإمهال أن يغفلوا عما وراءه.

١٢ ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا...﴾ وهنا يعرض صورة بشرية عندما يمسه الضر فيتذكر.. حتى إذا ارتفع الضر ومر واستجاب الله له وكشف ما به من ضر مَرّ كأن لم يكن مرض ولا دعا واستجيب له واستمر فى كفره وظلمه وغيّه ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ زين لهم الإعراض عن الدعاء، والغفلة عن الشكر، والاشتغال بالشهوات.

١٣ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ...﴾ هؤلاء لقد انتهى بهم الإسراف وتجاوز الحد والظلم -وهو الشرك- إلى الهلاك.. وهذه مصارعهم فى مساكن عاد وثمود وقرى قوم لوط. جاءتهم رسلهم بالبينات كما جاءكم رسولكم ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لأنهم لم يسلكوا طريق الإيمان ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ فى كل زمان ومكان إن لم يؤمنوا ويستقيموا.

١٤ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ...﴾ بعد إهلاك من قبلكم لننظر كيف تعملون فإن كان عملكم خيرًا جزيناكم به، وأن كان سوءًا جزيناكم به وتلك سنتنا فى عبادنا.

معانى الكلمات:

يَعْمَهُونَ: يعمون عن الرشد

دَعَانَا لِجَنْبِه: استغاث بنا

جَعَلْنَاكُمْ خَلائِف: استخلفنا كم.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ
أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ
لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ
ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

١٥ ﴿وإذا تُتلى عليهم آياتُنا بينات...﴾ وهنا يتحول السياق من خطابهم إلى عرض نماذج من أعمالهم بعد استخلافهم، فعندما تتلى عليهم آيات الله يطلبوا طلبًا عجيبًا يصدر عن عبث وهزل، وعن جهل كذلك بوظيفة القرآن وجدية تنزيله ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله﴾ ويجئ الرد عليهم ﴿قل ما يكون لي أن أبدّله﴾ لأن كل تبديل فيه معصيته وراءها عذاب لأن الرسول ما هو إلا مبلغ ﴿إن أتّبع إلاّ ما يوحىٰ إليّ﴾ إنه وحى من الله وتبليغه لكم من أمر الله كذلك.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وإذا تُتْلَىٰ عليهم آياتنا بيّنات قال الّذين لا يرجون لقاءنا﴾ قال مجاهد: نزلت فى مشركى مكة. قال مقاتل: وهم خمسة نفر: عبد الله بن أبى أمية المخزومى والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبى قيس العامرى والعاص بن عامر قالوا للنبى ﷺ إئت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى وقال الكلبى: نزلت فى المستهزئين: قالوا: يا محمد إئت بقرآن غيرهذا فيه ما نسألك.

١٦ ﴿قُل لَّوْ شاء اللّهُ...﴾ ولو شاء الله الا أتلوه عليكم ما تلوته.. فالأمر كله لله وقل لهم إنك لبثت فيهم عمرًا كاملاً قبل الرسالة. أربعين سنه فلم تحدثهم بشئ من هذا القرآن لأنك لم تكن تملكه ﴿أفلا تعقلون﴾

١٧ ﴿فمن أظلم ممّن افترىٰ على الله...﴾ وما كان لى هذا الإفتراء ايضا أو أن أقول: إنه أوحى إلىّ إلا الحق فليس هناك ما هو أشد ظلمًا ممن يفترى على الله أو من يكذب بآياته ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾.

١٨ ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم...﴾ أى من الأصنام ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ وهم فى ذلك كاذبون مفترون فلذا أمر الله أن يرد عليهم ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ إذ لو كان هناك من يشفع عنده لعلمهم وأخبر عنهم ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

١٩ ﴿وما كان النّاسُ إلاّ أمّة واحدة فاختلفوا...﴾ أمة واحدة على دين التوحيد دين الفطرة ثم حدث أن أحدثت لهم شياطين الجن والإنس البدع والأهواء والشرك فاختلفوا فمنهم من ثبت على الإيمان والتوحيد ومنهم من كفر بالشرك والضلال.

﴿ولولا كلمة سبقت من ربّك﴾ وهى أنه لا يعجل العذاب للأمم والأفراد بكفرهم وإنما يؤخرهم إلى آجالهم ليجزيهم في دار الجزاء بعذاب النار يوم القيامة.

٢٠ ﴿ويقولون لولا أُنزل عليه آيةٌ من ربّه...﴾ أى هلا أنزل على محمد آية خارقة من ربه لنعلم ونستدل بها على أنه رسول الله وقد يريدون بالآية عذابًا فلذا أمر الله رسوله أن يرد عليهم بقوله ﴿إنّما الغيب لله﴾ فهو وحده يعلم متى يأتيكم العذاب وعليه ﴿فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين﴾ ولم تطل مدة الانتظار ونزل بهم العذاب ببدر فهلك رؤساؤهم وأكابر المستهزئين.

معاني الكلمات:

ولا أدراكُم به: لا أعلمكم الله به بواسطتى

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ
ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ
وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟
ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ
نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ
أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ
بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ
يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

٢١ ﴿وإذا أذقنا النّاس رحمةً مّن بعد ضرّاء...﴾ ويعود الحديث عن بعض طبائع البشر حين يذوقون الرحمة بعد الضر. أى أذقناهم طعم الرحمة التى هى المطر بعد الجفاف والغنى بعد الفاقة والصحة بعد المرض وهى الضراء التى مستهم فترة من الزمن. يفاجئونك بالمكر بآيات الله وهو استهزاؤهم بها والتكذيب بها وبمن أنزلت عليه. وقوله تعالى ﴿قُلِ اللَّه أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ فسوف يريكم عاقبة مكره بكم وهى إذلالكم وخزيكم فى الدنيا وعذابكم فى الآخرة إن متم على كفركم وقوله ﴿إنَّ رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ تقرير لما أعلمهم به من مكر الله تعالى بهم.

والله أقدر على التدبير وإبطال ما يمكرون.

٢٢ ﴿هُو الَّذي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ...﴾ وهذا مشهد حى يسيركم فى البر كما خلق لكم من الظهر الإبل والخيل والحمير، وفى البحر بما سخر لكم من الفلك تجرى فى البحر بأمره حتى إذا كنتم فى البحر وجرين بهم السفن أى بالمشركين بريح طيبة مناسبة لسير السفن وفرحوا بها على عادة ركاب البحر، جاءتها أى السفن ريح عاصف أى شديدة الهبوب تضطرب لها السفن ويخاف ركابها الغرق، وجاءهم أى الكفار الراكبين عليها الموج من كل مكان من جهات البحر والموج هو ارتفاع ماء البحر وتموجه وظنوا أى أيقنوا أو كادوا أنهم أحيط بهم أى هلكوا ﴿دعوا اللَّه مخلصين له الدين﴾ أى الدعاء يارب يارب نجنا ويعدونه قائلين ﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾ أى الهلكة ﴿لنكونن من الشاكرين﴾.

٢٣ ﴿فلمّا أنجاهم إذا هم يبغون...﴾ يفاجئونك بعدما أنجاهم الله ببغيهم في الأرض بغير الحق شركًا وكفرًا وظلمًا وفسادًا فعادوا لما كانوا وإنهم لكاذبون ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس إِنَّمَا بَغْيكُمْ علَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أى عوائده عائدة على أنفسكم إذ هى التى تتأثم وتتخبث فى الدنيا وتفسد وتصبح أهلاً لعذاب الله يوم القيامة ﴿مَّتَاع الْحَيَاة الدُّنْيَا﴾ شقاء كان أو سعادة ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ لا إلى غيرنا وذلك بعد الموت يوم القيامة ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خير وشر ونجزيكم به الجزاء العادل فى دار الجزاء.

٢٤ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ هذا هو الماء النازل من السماء، وهذا هو النبات، وها هى الأرض كأنها عروس مجلوة تتزين لعرس.. وفى وسط هذا الخصب وفى نشوة هذا الفرح يأتيها أمر الله، وهذه هى الدنيا لا أمن فيها ولا اطمئنان ولا ثبات فيها ولا استقرار ولا يملك الناس من أمرها شيئا إلا بمقدار.. هذه هى.

٢٥ ﴿واللَّهُ يدْعُو إلىٰ دار السّلام...﴾ ودار السلام هى التى يدعو إليها الله، ويهدى من يشاء إلى الصراط المؤدى إليها حينما تتفتح بصيرته، وتتطلع إلى دار السلام.

معانى الكلمات:

ضرّاء مسّتهم: نائبة أصابتهم

حصيدًا: كالنبات المحصود بالمناجل.

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾
هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ
ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ
ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ
فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

الدرس الثانى

(مواجهة الفطرة البشرية بدلائل توحيد الله وصدق الرسول)

من الآية ٢٦/٧٠

مدة الحفظ: (أربعة أيام)

٢٦ ﴿ لِلَّذين أحْسنُوا الْحُسْنىٰ وزيادةٌ... ﴾ يبين الله الجزاءللمهتدين ولغير المهتدين فالذين أحسنوا ناجون من كربات يوم الحشر ومن أهوال الموقف قبل أن يفصل فى أمر الخلق ﴿ولا يرْهقُ وجُوههُمْ قترٌ ولا ذلّةٌ﴾ والقتر: الغبار والسواد، والذلة: الانكسار والمهانة أو الإهانة فالنجاة من هذا كله غنيمة ﴿ أُولَئِك﴾ أصحاب هذه المنزلة العالية البعيدة الآفاق ﴿أصْحابُ الْجنّة﴾ ﴿هُمْ فيها خالدُونَ﴾.

٢٧ ﴿ والّذين كسبُوا السّيّئات... ﴾ فكانت هذه السيئات هى ربحهم الذى خرجوا به من صفقة الحياة! هؤلاء ينالهم عدل الله ﴿ جزاءُ سيّئة بمثْلها﴾ أى يجازى سيئة واحدة بسيئة واحدة لا يزاد عليها ﴿ وترْهقُهُمْ ذلّةٌ﴾ يغشاهم هوان وخزى ﴿ما لهُم مّن اللّه منْ عاصم﴾ يعصمهم ويمنعهم من المصير المحتوم. نفاذًا لسنة الله الكونية فيمن يحيد عن الطريق.

ثم يرسم السياق صورة حسية للظلام النفسى والكدرة التى تغشى وجه المكروب المأخوذ المرعوب.

﴿ كأنّما أُغْشيتْ وُجُوهُهُمْ قطعًا مّن اللّيْل مُظْلمًا﴾ وهكذا يغشى الجو كله ظلام فى ظلام ﴿أُولَئِك﴾ المبعدون في هذا الظلام ﴿أصْحابُ النّار هُمْ فيها خالدُون﴾ ولكن أين الشركاء والشفعاء؟

بعد ذلك تأتى قصة الشفعاء والشركاء فى مشهدين من مشاهد يوم القيامة.

٢٨ ﴿ويوْم نحْشُرُهُمْ جميعًا... ﴾ يحشر العابد والمعبود لسؤالهم ﴿ثم نقول للّذين أشْركُوا﴾ تقريعا لهم على رؤوس الأشهاد مع حضور معبوداتهم ﴿مكانكُمْ﴾ أى قفوا في موضعكم ﴿أنتُم وشُركاؤُكُم﴾ أنتم والذين اتخذتموهم آلهة مع الله ﴿فزيّلْنا بينهُمْ﴾ أى فرقنا المعبودين عن عابديهم ﴿وقال شُركاؤُهُم مّا كُنتُمْ إيّانا تعْبُدُون﴾ أى لم نأمركم بعبادتنا وإنما عبدتم هواكم وضلالكم، وشياطينكم الذين أغووكم. فهم يطلبون البراءة من إثم اتباعهم ويجعلون الله وحده شهيدًا.

٢٩ ﴿ فكفىٰ بالله شهيدًا... ﴾ أى إن الله يشهد أننا ما كنا أمرناكم بعبادتنا ونحن لم نكن نشعر أنكم تعبدوننا ولا طلبنا ذلك منكم.

٣٠ ﴿هُنالك تبْلُو كُلُّ نفْسٍ مّا أسْلفتْ... ﴾ يتكشف الموقف عن رب واحد حتى يرجع إليه الجميع ﴿وردُّوا إلى الله موْلاهُمُ الْحقّ﴾ ﴿وضلّ عنْهُم مّا كانُوا يفْترُون﴾.

٣١ ﴿ قُلْ من يرْزُقُكُم مّن السّماء والأرْض... ﴾ والرزق من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات والمعادن ﴿أمّن يمْلكُ السّمْع والأبْصار﴾ يهبها القدرة على أداء وظائفها أو يحرمها ويصحها أو يمرضها ﴿ومن يُخْرجُ الْحيّ من الْميّت ويُخْرجُ الْميّت من الْحيّ﴾ وإن وقفة أمام الحبة والنواة تخرج منها النبتة والنخلة وأمام البيضة والبويضة يخرج منها الفرخ والإنسان، لجديرة بالتأمل والارتعاش ﴿ومن يُدبّرُ الأمْر﴾ أى يقدره ﴿فسيقُولُون اللّهُ﴾ ﴿ أفلا تتّقُون﴾ أى تعلمون ذلك.

٣٢ ﴿فذلكُمُ اللّهُ ربُّكُمُ... ﴾ أى هذا هو الرب الحقيقى ﴿الْحقُّ فماذا بعْد الْحقّ إلاّ الضّلالُ﴾ ثبوت ربوبية الرب سبحانه ﴿فأنّىٰ تُصْرفُون﴾ أى كيف تستجيزون العدول عن الحق الظاهر وتقعون فى الضلال.

٣٣ ﴿ كذلك حقّتْ كلمتُ ربّك... ﴾ لا لأنه يمنعهم من الإيمان، ولكن لأنهم يحيدون عن الطريق الموصل إلى الإيمان.

معاني الكلمات:

ولا يرْهقُ وُجُوههُمْ: لا يغشى وجوههم ولا يعلوها

أُغْشيتْ وُجُوهُهُمْ: كسيت وألبست

فزيّلْنا بيْنهُمْ: فرقنا بينهم.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ
إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ
مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾
بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ
أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٤، ٣٥ ﴿قُل هل من شُركائكم من يبدأُ الخلق ثُمّ يُعيده..﴾ وهنا نجد عودة إلى مظاهر قدرة الله وهل للشركاء فيها نصيب؟ هم مُسلّمون بأن الله هو الذى يبدأ الخلق غيرمُسلّمين بإعادته، ولا بالبعث والنشور والحساب والجزاء ﴿قُلِ اللَّهُ يبدأ الخلق ثُمّ يُعيدهُ﴾ وإنه لعجيب أن يصرفوا عن إدراك هذه الحقيقة ولديهم مقدماتها ﴿فأنّى تؤفكون﴾ فتوجهون بعيداً عن الحق ﴿قُلْ هل من شركائكم مَن يهدي إلى الحقّ﴾.. فينزل كتابا، ويرسل رسولاً ﴿قُلِ اللَّهُ يهدي للحقّ﴾ وهى الآيات فى المخلوقات، وإرساله للرسل، وإنزاله للكتب ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقُّ أن يُتّبع﴾ وهو الله سبحانه أحق أن يتبع أم الأحق بأن يتبع ويقتدى به من لا يهتدى بنفسه إلا أن يهديه غيره ﴿فما لكُم كيف تحكُمُون﴾ فى شأن هذه الحجة، وكيف تحكمون باتخاذ هؤلاء شركاء لله. فماذا وقع لكم وما الذى أصابكم؟

٣٦ ﴿وما يتّبعُ أكثرُهُم إلاّ ظنّا...﴾ فهم يظنون أن لله شركاء. وهكذا يعيشون فى مجموعة من الظنون لا تحقق لهم من الحق شيئا ﴿إنّ اللّه عليمٌ بما يفعلون﴾.

٣٧ ﴿وما كان هذا القُرآن أن يُفترى من دُون اللـه...﴾ لا يمكن أن يكون مفترى من دون اللـه... لأن قدرة واحدة هى التى تملك الإتْيَان به هى قدرة الله ﴿ولكن تصْديق الّذي بين يديه﴾ من الكتب التى سبق بها الرسل ﴿وتفصيل الكتاب﴾ الواحد الذى جاء به الرسل جميعا.

٣٨ ﴿أم يقُولُون افتراهُ...﴾ فليفتروا، كما افترى (محمد): ﴿قُلْ فأتُوا بسُورة مثْله﴾ وقد ثبت هذا التحدى، وثبتَ العجز عنه، وما يزال ثابتا حتى الآن ولن يزال ﴿فإن لَمْ تفعلُوا ولن تفعلُوا﴾ (البقرة ٢٤) ونعود إلى السياق.

٣٩ ﴿بلْ كذّبوا بمَا لَمْ يُحيطُوا بعلمه...﴾ شأنهم فى هذا شأن المكذبين من قبلهم فليتأمل المتأمل كيف كان مصير الأولين ليعرف حقيقة مصير الآخرين: ﴿ولمّا يأتهم تأويلُهُ كذلك كذَبَ الّذين من قبلهم﴾ من الأمم عندما جاءتهم الرسل بحجج الله وبراهينه ﴿فانظُر كيف كان عاقبةُ الظّالمين﴾ من الأمم السالفة من سوء العاقبة.

٤٠ ﴿ومنْهُم مَن يُؤْمنُ به...﴾ فى نفسه ويعلم أنه صدق ولكنه كذب به ﴿ومنْهُم مَن لاَ يُؤْمنُ به﴾ ولا يصدقه فى نفسه ﴿وربّك أعلَم بالمُفْسدين﴾ فيجازيهم بأعمالهم.

٤١ ﴿وإن كذّبوك فقُل لي عملي ولكُم عملُكُم...﴾ أى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم فقد أبلغت إليكم وليس علىّ غير ذلك ﴿أنتُم بريئُون ممّا أعمَلُ وأنا بريءٌ ممّا تعملون﴾ وهى لمسة لوجدانهم، باعتزالهم، وتركهم لمصيرهم منفردين. بعد بيان ذلك المصير المخيف.

٤٢ ﴿ومنهُم مَن يستمعُون إليك...﴾ إلى النبى ﷺ ﴿أفأنت تُسمع الصم ولو كانُوا لا يعقلُون﴾ هم يستمعون ولا يعقلون ما سمعوا، وينظرون لا يميزون ما نظروا. إن هؤلاء لكثير فى كل زمان وفى كل مكان والرسول ﷺ لا يملك لهم شيئا.

معانى الكلمات:

فأنّى تؤفكُون : فكيف تصرفون عن طريق الرشد؟

يأتهمْ تأويلُهُ : يتبين لهم عاقبته.

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ
ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

٤٣ ﴿ومنهم من ينظر إليك...﴾ وكيف تهدى العمى الذين جمعوا بينه وبين عمى البصيرة فلقد انسد عليهم باب الهدى -والمقصود من هذا الكلام تسلية رسول الله ﷺ مما يجده في نفسه من ضيق بهذا التكذيب لما معه من الحق.

٤٤ ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا...﴾ هم الذين ظلموا أنفسهم بذلك، ولم يظلمهم الله شيئًا من الأشياء، بل خلقهم وجعل لهم من المشاعر ما يدركون به أكمل الإدارك.

٤٥ ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة...﴾ بعد ذلك يلمس وجدانهم لمسة خاطفة بمشهد من مشاهد القيامة: وننظر هنا فإذا المحشرون مأخوذون بالمفاجأة، شاعرون أن رحلتهم الدنيوية كانت قصيرة قصيرة، حتى كأنها ساعة من نهار قضوها فى التعارف، ثم أسدل الستار هو تشبيه لهذه الحياة الدنيا، وللناس الذين دخلوا ثم خرجوا، كأن لم يفعلوا شيئا سوى اللقاء والتعارف؟

﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ لأنهم لم يستعدوا لهذا اللقاء بشئ يلقون به ربهم.

٤٦ ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم...﴾ وهذا حديث مع الرسول فى شأن المكذبين والمقصود هو إظهار الدين في حياته ﷺ بقتلهم أو أسرهم ﴿أو نتوفينك﴾ أى تموت قبل ذلك ﴿فإلينا مرجعهم﴾ فعند ذلك نعذبهم فى الآخرة ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ أى علي ما فعلوه بعدك فالله شهد عليه.

٤٧ ﴿ولكل أمة رسول...﴾ إن دور الرسول هو البلاغ، أما وراء ذلك فكله لله ﴿فإذا جاء رسولهم﴾ وبلغهم ما أرسله الله به ﴿قضي بينهم﴾ أى بين الأمة ورسولها ﴿بالقسط﴾ أى بالعدل، فنجا الرسول، وهلك المكذبون له.

٤٨ ﴿ويقولون متى هذا الوعد...﴾ وقد كانوا يسألون فى تحد واستعجال.. فجاءهم الجواب.

٤٩ ﴿قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا...﴾ فالأمر إذن لله يحقق وعيده في الوقت الذى يشاؤه ﴿لكل أمة أجل﴾ يحل بهم ما يريده الله -سبحانه- عند حلوله ﴿إذا جاء أجلهم فلا يستئخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ لا يستأخرون عن ذلك الميعاد ولا يستقدمون عليه ساعة.

٥٠ ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابه...﴾ وهنا بعدما كانوا يسألون باستهزاء وتحدى فهم الآن مهددون. ومن حق المجرم أن يخاف من العذاب بسبب إجرامه، فكيف يستعجله؟

٥١ ﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به...﴾ وبينما هم فى مفاجأة السؤال.. تفجؤهم هذه الآية بوقوعه فعلاً؟ ﴿آلآن﴾ آمنتم به ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ تكذيبا منكم واستهزاء.

٥٢ ﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد...﴾ أى العذاب الدائم الذى لا ينقطع ﴿هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون﴾ فى الحياة من الكفر والمعاصى.

٥٣ ﴿ويستنبئونك أحق هو...﴾ أحق ما تعدنا به من العذاب؟

معانى الكلمات:

آلآن: الآن تؤمنون بوقوع عذابه؟

ويستنبئونك: يتسخبرونك مستهزئين عن العذاب.

إي وربي: نعم وربى.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ (٥٤) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ
مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
(٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ (٥٨) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ
فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ
تَفْتَرُونَ (٥٩) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ (٦٠) وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١)

٥٤ ﴿ولو أنَّ لكُلِّ نفسٍ ظلمتْ ما في الأرضِ لافتدتْ بهِ﴾ أى ولو أن لكل كافر يوم القيامة ما فى الأرض من كل شئ من الأشياء التى تشتمل عليها من الأموال النفيسة والذخائر لود أن يجعله فدية لنفسه من العذاب ﴿وأسرُّوا النَّدامة لمَّا رأوُا العذاب﴾ أخفوها لما قد شاهدوه فى ذلك الموطن مما سلب عقولهم فأسروا الندامة لئلا يشمت بهم المؤمنون ﴿وقُضيَ بيْنهُم بالْقسْطِ﴾ بين المؤمنين وبين الكافرين أو بين الرؤساء والأتباع.

٥٥ ﴿ألا إنَّ للَّهِ ما فِي السَّمواتِ والأرْضِ...﴾ وهنا للرد على التشكيك أو التكذيب فهو -سبحانه- قادر على إنجاز ما يعدهم به ﴿ألا إنَّ وعْد اللَّه حقٌّ﴾ أى كائن لا محالة ﴿ولَكنَّ أكْثرهُمْ لا يعْلمُون﴾ أى أكثر الكفار لا يعلمون ما فيه صلاحهم وما فيه فسادهم فيستعدوا للقاء الله!!

٥٦ ﴿هُو يُحْيِي ويُميتُ...﴾ يملك الحياة والموت ويملك الرجعة والحساب ﴿وإليْه تُرْجعُون﴾.

٥٧ ﴿يا أيُّها النَّاسُ قدْ جاءتْكُم موْعظةٌ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ هذا نداء جامع للبشرية جميعا، قد جاءتكم الموعظة لنحيى قلوبكم، وتشفى صدروكم من الخرافة التى تملؤها ﴿ورحْمةٌ لِّلْمؤْمنِين﴾ رحمة من الضلال والعذاب.

٥٨ ﴿قُلْ بِفضْلِ اللَّهِ وبِرحْمتِه...﴾ فبذلك فليفرحوا بما آتاهم الله فى القرآن فهذا هو الذى يستحق الفرح لا المال ولا أعراض هذه الحياة. إن ذلك هو الفرح العلوى.

٥٩ ﴿قُلْ أرأيْتُم مَّا أنزلَ اللَّهُ لكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ وهنا يتعرض السياق للجاهلية وهى تزاول حياتها العملية، لقد كانوا يزعمون أن هذا الذى يزاولونه من التحريم والتحليل إنما أذن لهم به الله. أو كانوا يقولون: شريعة الله ﴿فجعلْتُم مِّنْهُ حرامًا وحلالاً﴾ ويجئ الرد علي هذا الزعم ﴿قُلْ آللَّهُ أذِن لكُمْ أمْ على اللَّه تفْترُون﴾.

٦٠ ﴿وما ظنُّ الَّذين يفْترُون على اللَّه الْكذِب...﴾ ثم يسألهم ماذا تظنون بربكم يوم القيامة وأنتم تفترون عليه، فما ظنهم ياترى؟ ﴿إنَّ اللَّه لذُو فضْلٍ على النَّاسِ ولكنَّ أكْثرهُم لا يشْكُرُون﴾ لا يشكرون على هذا الرزق أو ذاك.. فإذا هم يحيدون عن منهج الله وشرعه.

٦١ ﴿وما تكُونُ في شأْنٍ وما تتْلُو منْهُ مِن قُرْآنٍ...﴾ أن أى أمر تعرض له أو ما تقرأه فى تلك الحال من القرآن ﴿ولا تعْملُون مِنْ عملٍ﴾ والخطاب يوجه للرسول وللأمة. إن الذرة التائهة فى الفضاء ليست متروكة بلا رعاية ولا معونة ولا ولاية ﴿إلاَّ كُنَّا عليْكُمْ شُهُودًا﴾ نراكم ونسمعكم وكل ذلك للرد على من يزعم أن الله غير عالم بالجزئيات.

معاني الكلمات:

وأسرُّوا النَّدامة: أخفوا الغم والحسرة

تكُونُ في شأْنٍ: فى أمر هام

تُفيضُون فيهِ: تشرعون وتخوضون فيه.

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
(٦٢) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٦٤) وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ
ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٦٥) أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٦) هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧) قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ
سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ (٧٠)

٦٢ ﴿ ألا إنّ أولياء اللّه لا خوفٌ عليهم... ﴾ وأولياء الله هم خلص المؤمنين فهؤلاء لا يخافون عند البعث والحشر ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ أى على ما فاتهم وما خلفوه وكيف يخاف أولياء الله أو يحزنون والله معهم هكذا فى كل شأن وفى كل عمل وفى كل حركة أو سكون؟

٦٣ ﴿ الّذين آمنوا وكانوا يتّقون... ﴾ وهم أولياء الله المؤمنون به الأتقياء المراقبون له فى السر والعلن فهؤلاء لا يخافون كما يخاف غيرهم.

٦٤ ﴿ لهم البشرى في الحياة الدّنيا... ﴾ لهم البشري من الله ما داموا فى الحياة ومنها ما يتفضل به - سبحانه- من إجابة دعائهم وما يشاهدونه عند حضور آجالهم تتنزل الملائكة عليهم قائلين لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة ﴿ لا تبديل لكلمات اللّه ﴾ لا تغيير لأقواله على العموم.

٦٥ ﴿ ولا يحزنك قولهم... ﴾ ويخاطب الرسول ﷺ بما يطمئنه تجاه المكذبين والمفترين فالله معه وهو السميع العليم الذى يسمع قولهم ويعلم كيدهم.

٦٦ ﴿ ألا إنّ للّه من في السّموات ومن في الأرض... ﴾ ففى ملك يده كل من فى السموات والأرض من إنس وجن وملائكة ومن عصاة وتقاة ﴿ وما يتّبع الّذين يدعون من دون اللّه شركاء إن يتّبعون إلاّ الظّنّ ﴾ أى إنهم وإن سموا معبوداتهم شركاء الله، فليست شركاء له على الحقيقة. فهؤلاء الشركاء الموهومون ليسوا فى حقيقتهم شركاء لله في شئ.

٦٧ ﴿ هو الّذي جعل لكم اللّيل لتسكنوا فيه... ﴾ ثم لفتة إلى بعض مجالات القدرة فى المشاهد الكونية التى يغفل عنها الناس بالتكرار ﴿ إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ يسمعون فيتدبرون ما يسمعون.

وختام هذا الدرس جولة مع هذا النوع من الشرك والافتراء بالحجة في الدنيا وتنتهى بالعذاب فى الآخرة على طريقة القرآن الكريم.

٦٨ ﴿ قالوا اتّخذ اللّه ولدا سبحانه... ﴾ تنزه عما نسبوه إليه من هذا الباطل البين وبين أنه غنى عن ذلك ﴿ سبحانه هو الغنيّ ﴾ الغنى بكل معانى الغنى... فكل شئ ملكه ولا حاجة به -سبحانه- لأن يملك شيئا بمساعدة الولد فالولد إذن عبث...

٦٩ ﴿ قل إنّ الّذين يفترون على اللّه الكذب لا يفلحون.. ﴾ لا يفوزون بجنة الله والنجاة من عذاب النار.

٧٠ ﴿ متاعٌ في الدّنيا ثمّ إلينا مرجعهم... ﴾ مجرد متاع واطٍ.. وهو متاع قصير الأمد.. وهو متاع مقطوع لأنه لا يتصل بالمتاع اللائق بالبشرية في الدار الآخرة إنما يعقبه العذاب الشديد ثمرة للانحراف عن سنن الله الكونية المؤدية إلى المتاع العالى اللائق ببنى الإنسان.

معاني الكلمات:

يخرصون : يكذبون.

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم
مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟
أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟
إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ
أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾
فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ
وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ
﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ
ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ
ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

الدرس الثالث

(عاقبة المكذبين)

من الآية ٧١/١٠٣

٧١ ﴿واتل عليهم نبأ نوح ...﴾ أى ما جرى لنوح مع قومه الذين كفروا بما جاء به كما فعله كفار قريش ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي﴾ شق عليكم مكثى بين أظهركم وقيامى بالوعظ ﴿بآيات الله﴾ التكوينية والتنزيلية ﴿فعلى الله توكلت﴾ ﴿فأجمعوا أمركم﴾ اعزموا عليه ﴿وشركاءكم﴾ أى ادعوهم لاتخاذ قراركم أو لنصرتكم ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾ أى ظاهراً مكشوفًا ﴿ثم اقضوا إلي﴾ أى ذلك الأمر الذى تريدونه بى ﴿ولا تنظرون﴾ لا تمهلونى، بل عجلوا أمركم واصنعوا ما بدا لكم.

وهذا الكلام من نوح عليه السلام لوثوقه بنصر ربه، وعدم مبالاته بما يتوعده به قومه.

٧٢ ﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر...﴾ فإن أعرضتم عنى وابتعدتم فأنتم وشأنكم فما كنت أسألكم أجراً ﴿إن أجري إلا على الله﴾ ولن يزحزحنى هذا عن عقيدتى ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ فماذا كان؟

٧٣ ﴿فكذبوه...﴾ أى استمروا على تكذيبه ﴿فنجيناه ومن معه﴾ من المؤمنين الذين تابعوه فى الدين. هكذا باختصار. نجاته هو ومن معه من المؤمنين، وإغراق المكذبين على قوتهم وكثرتهم. ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ وليتعظ من يتعظ بعاقبة المؤمنين الناجين. هذه سنة الله فى الأرض وهذا وعد الله لأوليائه فيها.

٧٤ ﴿ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم...﴾.. هؤلاء الرسل جاءوا قومهم بالبينات ويحتمل أنهم بعد مجئ الآيات ظلوا يكذبون كما كانوا قبلها يكذبون. ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾.. حسب سنة الله القديمة.. إن الله يغلق هذه القلوب ليمنعها إبتداءً من الإهتداء.

٧٥ ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون...﴾ ويبدأ قصة موسى من مرحلة التكذيب والتحدى ﴿فاستكبروا﴾ بعدما جاء لهم بالآيات التسع المذكورة فى سورة الأعراف والاستكبار كان هو تلقى فرعون وملئه لآيات الله.

٧٦ ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا...﴾ بهذا التحديد ﴿من عندنا﴾ ليصور شناعة الجريمة فيما قالوه عن هذا الحق الصادر من عند الله ﴿قالوا إن هذا لسحر مبين﴾ بهذا التوكيد المتبجح الذى لا يستند مع هذا إلى دليل وهكذا كان المكذبون فى جميع العصور... وهكذا كان مشركو مكة!!

٧٧ ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم...﴾ لا تقولوا على الحق هذا سحر، وهو أبعد شئ من السحر ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ فلا يظفرون بمطلوب، ولا يفوزون بخير.

٧٨ ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا...﴾ إذن هو الخوف من تحطيم معتقداتهم الموروثة، وهو الخوف على السلطان فى الأرض ﴿وتكون لكما الكبرياء﴾ أى الملك وعللوا عدم قبولهم دعوة موسى بأمرين: التمسك بالتقليد للآباء والحرص على الرياسة.

معاني الكلمات:

كبر عليكم : عظم عليكم

فأجمعوا أمركم : اعزموا وصمموا

ولا تنظرون : لا تمهلونى.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْمُجْرِمُونَ (٨٢) فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ
خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ (٨٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ
ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا
بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٨٦) وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨٧) وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ
وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٨٨)

٧٩ ﴿وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم...﴾ قال هكذا لما رأى الآيات التى جاء بها موسى، من اليد البيضاء، والعصا، لأنه اعتقد أنهما من السحر.

٨٠ ﴿فلما جاء السحرة...﴾ قال لهم موسى اطرحوا على الأرض ما معكم من حبالكم وعصيكم فيكون قضاؤه عليهم محقًا لسحرهم فيظهر عجزهم لكل القوم الحاضرين.

٨١ ﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر...﴾ وهنا تتجلى ثقة المؤمن الواثق بربه، المطمئن إلى ربه لا يرضى أن ينجح السحر وهو عمل غير صالح ﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾

٨٢ ﴿ويحق الله الحق بكلماته...﴾ أى يوجده ويبثته ويمكن له بكلماته التى أنزلها فى كتبه على أنبيائه لاشتمالها على الحجج والبراهين. ﴿ولو كره المجرمون﴾ من آل فرعون وغيرهم، فإن كراهتهم لا تعطل مشيئة الله، ولا تقف دون آياته.. وقد كان، وبطل السحر وعلا الحق.

٨٣ ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه...﴾ ويرفع الستار على موسى ومن آمن معه وهم قليل من شباب القوم لا من شيوخهم! وهذه إحدى عبر القصة المقصودة وهؤلاء الفتية الصغار يخشون من فتنة القوم وردهم عن اتباع موسى.

وهنا لابد من إيمان يرجح المخاوف، ويطمئن القلوب ويثبتها على الحق الذى تنحاز إليه:

٨٤ ﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله...﴾ فتوكلوا على الله وهذا دلالة الإيمان وقد استجاب المؤمنون لهتاف الإيمان على لسان نبيهم.

٨٥ ﴿فقالوا على الله توكلنا...﴾ ومن ثم توجهوا إلى الله بهذا الدعاء ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ أى لا تسلطهم علينا فيعذبونا حتى يفتنونا عن ديننا.

٨٦ ﴿ونجنا برحمتك...﴾ وهذا دليل على وجوب التوجه بالاتكال والاعتماد على الله... والمؤمن لا يتمنى البلاء، ولكن يثبت عند اللقاء.

٨٧ ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه...﴾ أمرهم الله تبارك وتعالى أن يجعلوا بيوتهم قبلة أى متقابلة ليعرفوا من يدخل عليهم ومن يخرج منهم وليصلوا كالمساجد حيث منعوا من المساجد إما بتخريبها وإما بمنعهم منها ظلما وعدوانا وبشر المؤمنين بحسن العاقبة بكرامة الدنيا وسعادة الآخرة بدخول دار السلام.

٨٨ ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة...﴾ وهنا يتجه موسى إلى ربه وقد يئس من فرعون وملئه أن يكون فيهم خير، وأن تكون قد بقيت فيهم بقية، وأن يرجى لهم صلاح اتجه يدعو على قومه لما رفضوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين ظلما وعلوا وتكبرا. ويطلب لوقف هذا الإضلال أن يطمس على هذه الأموال بتدميرها والذهاب بها. ودعاؤه بأن يشد الله على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم. فهو دعاء من يئس من صلاح هذه القلوب ومن أن يكون لها توبة أو إنابة..

معانى الكلمات:

تبوءا لقومكما : اتخذا واجعلا لهم

اطمس على أموالهم : أهلكها واذهبها.

واشدد على قلوبهم : اطبع عليها.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩) ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ
الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ (٩٢)
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ
فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣) فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ
الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ
(٩٥) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
(٩٦) وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)

٨٩ ﴿قال قدْ أُجيبت دَّعوتُكما...﴾ أى كتبت لهما الإجابه وقضى الأمر ﴿فاستقيما﴾ فى طريقكما ﴿ولا تتَّبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون﴾ فيخبطوا على غير علم، ولا يعرفون إن كانوا يسيرون فى الطريق الهادى أم هم ضلوا السبيل.

٩٠ ﴿وجاوزْنا ببني إسرائيلَ البحر...﴾ وهذا المشهد هو مشهد التنفيذ، جاوزنا بهم البحر بقيادتنا وهدايتنا ورعايتنا ﴿فاتبعهمْ فرعونُ وجُنودُهُ﴾ لا اهتداء وإيمانا ولا دفاعا مشروعًا ولكن ﴿بغْيًا وعدْوًا﴾ وتجاوزا للحد وطغيانا.

ثم يأتى مشهد الغرق: ﴿حتىٰ إذا أدْركَهُ الْغرقُ﴾ وعاين الموت ولم يعد يملك نجاة ﴿قال آمنتُ أنَّهُ لا إله إلاَّ الَّذي آمنتْ به بنُو إسْرائيل وأنَا من الْمُسْلمينَ﴾ لقد سقطت عن فرعون الباغىَ العادى المتجبر الطاغى... كل أرديته... ولقد تضاءل وتصاغر واستخذى. فهو لا يكتفى بأن يعلن إيمانه.. بل يزيد فى استسلام: ﴿وأنا من الْمُسلمين﴾ !!!

٩١ ﴿آلآن وقدْ عصيْت قبْلُ وكُنت من الْمُفْسدين...﴾ آلآن حيث لا اختيار ولا فرار؟ آلان وقد سبق العصيان والاستكبار؟ آلآن؟!

٩٢ ﴿فالْيوْم نُنجّيك ببدنك...﴾ لا تأكله الأسماك، ولا يذهب منكرًا مع التيار لا يُعرف للناس. ذلك ليدرك من وراءك من الجماهير كيف كان مصيرك: ﴿لتكُون لمنْ خلْفك آيةً﴾ يتعظون بها ويعتبرون ﴿وإنَّ كثيراً مّن النَّاس عنْ آياتنا لغافلُون﴾ لا يوجهون إليها قلوبهم وعقولهم ولا يتدبرونها فى الآفاق وفى أنفسهم.

٩٣ ﴿ولقدْ بوَّأْنا بني إسْرائيل مُبوَّأ صدْق...﴾ وهنا يسدل السَتار على المشهدَ النهائى فى المأساة. مأساة البغى والفساد والتحدى والعصيان. ﴿مُبوَّأ﴾ مكان الإقامة الأمين. وإضافة إلى الصدق ﴿مُبوَّأ صدْق﴾ تزيده أمانا وثباتًا واستقرارًا. أسكناهم وأنزلناهم فى المنزل المحمود وهو أرض بيت المقدس ﴿فما اخْتلفُوا﴾ فى أمر دينهم ﴿حتىٰ جاءهُمُ الْعلْمُ﴾ بقراءتهم التوارة. وعلمهم بأحكامها. أن ربك سيجازى المحق بعمله بالحق والمبطل بما يستحق.

٩٤ ﴿فإن كُنت في شكّ ممَّا أنزلْنا إليْك...﴾. والسؤال هنا للرسول إن كان يشك فيما أنزل إليه فهو ﷺ لم يكن يشك.

والذين يقرأون الكتاب هنا هم أحبار اليهود ورهبان النصارى فإنهم يعرفونك وأنك النبى الخاتم. وقال ﷺ هنا [لا أشك ولا أسأل] ثم يقسم تعالى لرسوله بأنه قد جاءه الحق من ربه وهو الحديث الثابت بالوحى الحق وينهاه أن يكون من الممترين أى الشاكّين فى صحة الإسلام، وينهاه أيضا أن يكون من الذين كذبوا بوحى الله وشرعه ورسوله المعبر عنها بالآيات.

٩٥ ﴿ولا تكُوننَّ من الَّذين كذَّبُوا بآيات الله...﴾ وهذا التعريض يترك الفرصة لمن يريد منهم أن يرجع ليرجع وفى هذا إيحاء للآخرين ألا يترددوا وألا يكونوا من ﴿الْمُمْترين﴾.

٩٦ ﴿إنَّ الَّذين حقَّتْ عليْهم كلمتُ ربّك لا يُؤْمنُون...﴾ فلا ينفعهم الإيمان حينئذ لأنه لم يجئ عن اختيار.

٩٧ ﴿ولوْ جاءتْهُمْ كُلُّ آية حتَّىٰ يروا الْعذاب الأليم...﴾ وهى الآيات التكوينية والتنزيلية فإن ذلك لا ينفعهم ﴿حتَّىٰ يروُا الْعذاب الأليم﴾ فيقع منهم الإيمان عند معاينتهم للعذاب كما فعل فرعون ولكن ذلك لا يفيدهم ولا ينجيهم.

معانى الكلمات:

بغْيًا وعدْوًا: ظلما واعتداء

بوَّأْنا: أنزلنا وأسكنا

الْمُمْترين: الشاكّين المتزلزلين.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَٰنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ
ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ (٩٨) وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ
جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠) قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١)
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّى
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
(١٠٣) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠٦)

٩٨ ﴿فلولا كانت قرية آمنت...﴾ وهنا تتفتح نافذة مضيئة بآخر شعاع من أشعة الأمل فى النجاة -والمدلول أنه أيضا لم تقع... لأن القرى لم تؤمن- إنما آمنت منها القلة- إلا قوم يونس كان عذاب مخز يتهددهم. فلما آمنوا فى اللحظة الأخيرة قبل وقوعه كشف عنهم العذاب.

٩٩ ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا...﴾ مجتمعين على الإيمان لا يتفرقون فيه وهنا ترد القاعدة الكلية فى الكفر والإيمان. فلو شاء ربك لأجبر الناس جميعا وقهرهم عليه.

ولكن حكمة الله اقتضت خلقة هذا الكائن البشرى باستعداد للخير وللشر وللهدى والضلال، ومنحته القدرة على اختيار هذا الطريق أو ذاك. ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ وهو سؤال للإنكار فإن هذا الإكراه لا يكون.

١٠٠ ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله...﴾ وفق سنته الماضية التى بيناها. فلا شئ يتم وقوعه إلا بقدر خاص به ﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ فالذين عطلوا عقولهم عن التدبر، يجعل الرجس عليهم.

١٠١ ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض...﴾ لأنهم من قبل لم يلقوا بالاً إليها ولم يتدبروها.. وماذا تجدى الآيات والنذر إذا استغلقت القلوب وتجمدت العقول، وتعطلت أجهزة الاستقبال والتلقى فى الفطرة.

١٠٢ ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم...﴾ أى إنهم ما ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلفوا من قبلهم من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم دعتهم رسلهم وبلغتهم دعوة ربهم إليهم بالإيمان والتوحيد والطاعة فأعرضوا فأخذهم الله إنه قوى شديد العقاب.

١٠٣ ﴿ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا...﴾ إنها الكلمة التى كتبها الله على نفسه. أن تبقى البذرة المؤمنة وتنبت وتنجو بعد كل إيذاء وكل خطر وبعد كل تكذيب وكل تعذيب فليطمئن المؤمنون.

الدرس الرابع

(جولات حول العقيدة)

من الآية ١٠٤/١٠٩

١٠٤ ﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني...﴾ أن كنتم فى شك من أن دينى الذى أدعوكم إليه هو الحق، فإن هذا لا يحولنى عن يقينى، ولا يجعلنى أعبد آلهتكم التي تعبدونها من دون الله، ولكن أعبد الله الذى يملك آجالكم وأعماركم وهو تذكير لهم بقهر الله فوقهم وانتهاء آجالهم إليه. ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ فأنا عند الأمر لا أتعداه.

١٠٥ ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفا...﴾ أمره بالاستقامة فى الدين والثبات فيه وعدم التزلزل عنه بحال من الأحوال، وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء ﴿حنيفا﴾ مائلا عن كل دين من الأديان إلى دين الإسلام.

١٠٦ ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك...﴾ فميزان الله لا يحابى وعدله لا يلين ومن كان لا ينفع ولا يضر فدعاؤه ضائع لا يفعله عاقل ﴿فإن فعلت﴾ فإن دعوت ﴿فإنك إذا من الظالمين﴾ لأنفسهم.

معانى الكلمات:

عذاب الخزي: الذل والهوان

أقم وجهك للدين: اصرف ذاتك كلها للدين الحنيف

حنيفا: مائلا عن الأديان الباطلة كلها.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

١٠٧ ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو...﴾ **فالضر نتيجة لازمة لسنة الله الجارية حين يتعرض الإنسان لأسبابه، والخير كذلك. هذه خلاصة العقيدة كلها، مما تضمنته السورة، يكلف الرسول ﷺ أن يعلنها للناس.**

١٠٨ ﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم...﴾ **ولكل أن يختار لنفسه فهذا هو الحق قد جاءهم من ربهم** ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ **أى منفعة اهتدائه مختصة به** ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ **وضرر كفره مقصور عليه لا يتعداه وليس لله حاجة فى شئ من ذلك** ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ **أى بحفيظ يحفظ أموركم.**

١٠٩ ﴿واتبع ما يوحى إليك...﴾ **يتتبع ما أوحاه إليه من الأوامر والنواهى، ثم أمره بالصبر على أذى الكفار وما يلاقيه من مشاق التبليغ** ﴿واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ **أى يحكم الله بينه وبينهم فى الدنيا بالنصر له عليهم، وفى الآخرة بعذابهم بالنار أى فلا ينبغى أن تستعجل ذلك فإنه آت لاريب فيه.**

سورة هود
الدرس الأول
(عرض الحقائق الأساسية)
من الآية (١) إلى الآية (٢٤)
مدة الحفظ: ٢ أيام

١/ ٤ ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت...﴾ **«ألف، لام، راء» مبتدأ، خبره** ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ **أحكمت آياته فجاءت قوية البناء، دقيقة الدلالة، ثم فصلت فهى مقسمة وفق أغراضها مبوبه وفق موضوعاتها.** ﴿من لدن حكيم خبير﴾ **أحكمها حكيم، وفصلها خبير عالم بواقع الأمور** ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ **والأمر هنا بأن تكون العبادة له وحده** ﴿إنني لكم منه نذير﴾ **يخوفهم من عذاب الله لمن عصاه** ﴿وبشير﴾ **يبشرهم بالجنة والرضوان لمن أطاعه** ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾: **فهى العودة إلى الله من الشرك والمعصية** ﴿يمتعكم متاعا حسنا﴾ **من سعة الرزق ورغد العيش** ﴿إلى أجل مسمى﴾ **إلى وقت مقدر عند الله، وهو الموت** ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ **فى الطاعة والعمل جزاء فضله** ﴿وإن تولوا﴾ **أى تتولوا وتعرضوا عن العبادة والاستغفار والتوبة** ﴿فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ **وهو يوم القيامة** ﴿إلى الله مرجعكم﴾ **رجوعكم إليه بالموت، ثم البعث، ثم الجزاء، لا إلى غيره** ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ **ومن جملة ذلك عذابكم على عدم الامتثال** ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ **ينحرفون ويطأطئون رؤوسهم** ﴿ليستخفوا منه﴾ **أى ليستخفوا من الله بسئ أعمالهم** ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ **أى حين يأوون إلى فراشهم ويتدثرون بأغطيتهم يعلم الله ما فى قلوبهم.** ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ **فلا فائدة لهم من الاستخفاء، فالظاهر والباطن عند الله سواء** ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ **هى الضمائر التى تشتمل عليها الصدور.**

معانى الكلمات:

بوكيل: **بحفيظ**

أحكمت آياته: **نظمت نظمًا محكمًا**

يثنون صدورهم: **يطوونها على الكفر**

ليستخفوا منه: **من الله تعالى جهلاً منهم**

يستغشون ثيابهم: **يتغطون بها.**

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ
عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ
إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

٦ ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها...﴾ من الغذاء اللائق بالحيوان على اختلاف أنواعه ﴿ويعلم مستقرها﴾ أى محل استقرارها فى الأرض حيث تأوي ﴿ومستودعها﴾ موضعها الذى تموت فيه ﴿كل في كتاب مبين﴾ وهو اللوح المحفوظ: أى مثبت فيه.

٧ ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام...﴾. وخلق السموات والأرض يساق هنا للربط بين النظام الذى يقوم عليه الكون والنظام الذي تقوم عليه حياة الناس ﴿وكان عرشه على الماء﴾ أى كان عرشه قبل خلق السموات والأرض على الماء ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ فيما أمر به ونهى عنه، فيجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته ﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ وما أغربها، وما أكذبها فى هذا البيان.

٨ ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة...﴾ أى: إلى حين تنقضى أمة معدودة من الناس ﴿ليقولن ما يحبسه﴾ وهذه مقولة المنافقين: أى شئ يمنعه من النزول؟ استعجالاً له على جهة الإستهزاء والتكذيب يتساءلون: ما يحبسه؟ وما يؤخره؟ ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم﴾ أى ليس محبوسًا عنهم، بل واقع بهم لا محالة ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾ أى أحاط بهم العذاب الذى كانوا يستعجلون استهزاء منهم.

٩ ﴿ولئن أذقنا الإنسان...﴾ أى هذه طبيعة البشر فيوضح السياق جولة في نفس هذه المخلوق الإنسانى الذى لا يثبت ولا يستقيم إلا بالإيمان. إن طبيعة البشر اليأس بعد سلب النعمة ﴿رحمة﴾ النعمة ﴿ثم نزعناها منه﴾ أى سلبناه إياها ﴿إنه ليئوس﴾ أى آيس من الرحمة، شديد القنوط من عودها وأمثالها ﴿كفور﴾ والكفور: عظيم الكفران: ينسى النعم التى يتمتع بها سابقا فلا يعود يشكرها بعد زوالها.

١٠ ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني﴾ فهو غير شاكر لله ولا ممتن عليه، على إزالة تلك الحالة السيئة ﴿إنه لفرح فخور﴾ أى كثير الفرح.

١١ ﴿إلا الذين صبروا...﴾ فإنهم ثابتون في الحالين في مقام الشكر ﴿أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ وذلك بما صبروا على الضراء وبما شكروا فى السراء.

١٢ ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك...﴾ أى: فلعلك يا محمد ﷺ لعظم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب، تارك بعض ما أنزله الله عليك وأمرك بتبليغه مما يشق عليهم سماعه أو العمل به، كسب آلهتهم، وأمرهم بالإيمان بالله وحده ﴿وضائق به صدرك﴾ مخافة ﴿أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز﴾ أى مال مكنوز ينتفع به ﴿أو جاء معه ملك﴾ يصدقه ويبين لنا صحة رسالته ﴿إنما أنت نذير﴾ فواجبك كله أن تنذرهم فأد واجبك: ﴿والله على كل شيء وكيل﴾.. فهو الموكل بهم، يصرفهم كيف يشاء وفق سنته ويحاسبهم بعد ذلك على ما يكسبون.

معاني الكلمات:

ومستودعها: موضوع استيداعها فى الأرحام — ليبلوكم: ليختبركم

أمة معدودة: طائفة من الأيام القليلة. أو أمة معدودة من الناس

ضراء مسته: نكبة أصابته.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ
وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ
مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

١٣ ﴿أم يقولون افتراه...﴾ وهذه قولة أخرى يقولونها. وقد قالوها مرارًا ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ هاتوا مثله فى البلاغة وحسن النظم، وجزالة اللفظ، وفخامة المعانى... ولقد سبق أن تحداهم بسورة واحدة فى سورة يونس فما التحدى بعد ذلك بعشر سور؟ فالتحدى عمومًا بنوع هذا القرآن لا بمقداره وعندئذ يستوي الكل والبعض والسورة ولا يلزم ترتيب ﴿وادعوا من استطعتم﴾ ادعوا شركاءكم ونصحاءكم وبلغاءكم وشعراءكم وجنكم وإنسكم ﴿إن كنتم صادقين﴾.

١٤ ﴿فإن لم يستجيبوا لكم...﴾ ولم يقدروا لأنهم عاجزون ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ فهو وحده القادر على أن ينزله ﴿وأن لا إله إلا هو﴾.. فلا بد أن يكون هناك إله واحد هو القادرعلى تنزيل هذا القرآن ويعقب على هذا: بسؤال: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ ولكنهم ظلوا بعدها يكابرون!!

١٥ ﴿من كان يريد الحياة الدنيا...﴾ وهذا السؤال كان بسبب خوفهم على ما يتمتعون به فى هذه الحياة الدنيا.. لهذا يعقب السياق بما يناسب حالهم ويصور لهم عاقبة أمرهم ﴿نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ ويعقب على مآلهم بعد ذلك:

١٦ ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ فهذا مآلهم.. النار.. لأنه لم يقدم للآخرة شيئا ولم يحسب لها حسابًا فكل عمل الدنيا يلقاه في الدنيا، ولكنه باطل فى الآخرة ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ لأنه لم يعمل لوجه صحيح يوجب الجزاء.

١٧ ﴿أفمن كان على بينة من ربه...﴾ وهنا يلتفت السياق إلى موقف المشركين وليعقد بينهم وبين المؤمنين موازنة فى صورة حسية مشهودة تصور الفارق البعيد بين الفريقين فى طبيعتها.. والمعنى: أفمن كان على بينة.. فى اتباع النبى ﷺ والإيمان بالله كغيره ممن يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ وهو القرآن، وقيل: الشاهد المعجزات أو الإنجيل ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ والشاهد الآخر هو كتاب موسى ﴿إماما ورحمة﴾ الإمام: هو الذى يؤتم به فى الدين ﴿أولئك﴾ أى من كان على البينة وعلم شهادة الشاهدين المذكورين ﴿يؤمنون به﴾ أى يصدقون النبى ﷺ أو بالقرآن ﴿ومن يكفر به من الأحزاب﴾ من أهل مكة، من أهل الأديان كلها ﴿فالنار موعده﴾ أى هو من أهل النار لا محالة ﴿فلا تك في مرية منه﴾ أى لاتكن فى شك من القرآن، أو من الموعد ﴿إنه الحق من ربك﴾ فلا مدخل للشك فيه ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ مع ظهور الدلائل الموجبة له، ولكنهم يعاندون.

١٨ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا...﴾ بقولهم لأصنامهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وقولهم: الملائكة بنات الله ونحو ذلك ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ فيحاسبهم على أعمالهم ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ كذبوا على من؟ «على ربهم» لا على أحد غيره. إن جو الفضيحة هو الذى يرتسم فى هذا المشهد، تعقبها اللعنة المناسبة لشناعة الجريمة ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ الظالمون هم المشركون وهم الذين يفترون الكذب ليصدوا عن سبيل الله.

١٩ ﴿الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا...﴾ فلا يريدون الاستقامة ولا الخطة المستقيمة. فهم يبغونها عوجا أى يصفونها بالاعوجاج تنفيرا للناس.

معانى الكلمات:

لا يبخسون: لا ينقصون شيئا

وحبط: بطل فى الآخرة

مرية منه: شك فى تنزيله من عند الله.

أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ
وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا
مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ
الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً
مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾

٢٠ ﴿أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض...﴾ أى ما كانوا يفوتون الله في الدنيا إن أراد عقوبتهم ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾ يدفعون عنهم ما يريده الله سبحانه من عقوبتهم ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ لأجل افترائهم على الله ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ أى أفرطوا فى إعراضهم عن الحق وبغضهم له ﴿وما كانوا يبصرون﴾.

٢١ ﴿أولئك الذين خسروا أنفسهم.﴾ وهى أفدح خسارة. فماذا يربح الإنسان لو كسب العالم وخسر نفسه. ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ غاب عنهم فلم يهتد إليهم ولم يجتمع عليهم.

٢٢ ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ الذين لا تعدل خسارتهم خسارة وقد أضاعوا أنفسهم دنيا وأخرى.

٢٣ ﴿إن الذين امنوا وعملوا الصالحات...﴾ وهؤلاء أهل الإيمان والعمل الصالح الذين وصفهم الله ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ أى أنابوا إليه وخشعوا ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾.

٢٤ ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا﴾ فكأنما هو محروم من تلك الجوارح والحواس -والفريق الثانى كالبصير يرى، وكالسميع يسمع فيهديه بصره وسمعه ﴿هل يستويان مثلا﴾ سؤال لا يحتاج إلى إجابة لأنها إجابة مقررة. ﴿أفلا تذكرون﴾.. فالقضية فى وضعها هذا لا تحتاج إلى أكثر من التذكر فهى بديهية لا تقتضى التفكير...

الدرس الثانى
(نوح والطوفان)
من الآية ٢٥ إلى الآية ٤٩
مدة الحفظ: ٣ أيام

٢٥ ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه...﴾ قائلا: ﴿إني لكم نذير مبين﴾ منذر من قبل الله تعالى، معى بينة على أنى رسول.

٢٦ ﴿أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ وهو يوم القيامة فما بال ما في هذا اليوم!

٢٧ ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه...﴾ اجابوه بهذا الجواب الذى يقتضى طعنهم فى نبوته من ثلاث جهات:

الجهة الأولى: قولهم ﴿ما نراك إلا بشرا مثلنا﴾ فى البشرية.

الجهة الثانية قولهم: ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ أى الفقراء ﴿بادي الرأي﴾ لم يتحققوا من كونك نبيا.

الجهة الثالثة: من مطاعنهم قولهم: ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ حتى تتميزوا به علينا وتستحقون ما تدعونه ﴿بل نظنكم كاذبين﴾.

٢٨ ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي...﴾ أى أخبرونى إن كنت على برهان من ربى فى النبوة يدل على صحتها ﴿وآتاني رحمة من عنده﴾ هى النبوة ﴿فعميت﴾ خفيت ﴿أنلزمكموها﴾ أيمكننا أن نضطركم وندخل الإيمان فى قلوبكم رغما عنكم ﴿وأنتم لها كارهون﴾ غير متدبرين فيها، فإن ذلك لا يقدر عليه إلا الله.

معانى الكلمات:

معجزين: فائتين من عذاب الله بالهرب لا جرم: لا محالة أو حقًا
وأخبتوا إلى ربهم: اطمأنوا إلى وعده
بادي الرأي: ظاهره دون تعمق وتثبت.

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ
قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ
أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ
جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ
نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ
هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ
قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ
فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾

٢٩ ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً...﴾ لا يطلب مالاً حتى يكون بذلك محلاً للتهمة ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ فهذا لا يكون منى، لقد آمنوا وأمرهم بعد ذلك إلى الله لا إلىّ ﴿إنهم ملاقوا ربهم﴾ فهو يجازيهم ﴿ولكني أراكم قوما تجهلون﴾ ومن جهلهم استرذالهم للفقراء، وسؤالهم له أن يطردهم.

٣٠ ﴿ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم...﴾... فهناك الله. رب الفقراء والأغنياء رب الضعفاء والأقوياء ﴿أفلا تذكرون﴾.

٣١ ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله...﴾. فأدعى الثراء أو القدرة على الإثراء. ﴿ولا أعلم الغيب﴾. فأدعى قدرة ليست للبشر أوصلة بالله غير صلة الرسالة... ﴿ولا أقول إني ملك﴾... فادعى صفة أعلى من صفة الإنسانية فى ظنكم لأرتفع فى أعينكم، وأفضل بذاتى عليكم.. ﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا﴾ إرضاء لكبريائكم أو مسايرة لتقديركم الأرض. ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾ فليس لى إلا ظاهرهم ﴿إني إذا لمن الظالمين﴾... إن ادعيت أي دعوى من هذه الدعاوى.

٣٢ ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا...﴾ وهنا ينتقلون من الجدال إلى التحدى. أى يا نوح قد دفعتنا بكل حجة ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب الذى تخوفنا منه، وتخاف علينا.

٣٣ ﴿قال إنما يأتيكم به الله﴾ عجله لكم أو أخره ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين عما أراده الله بكم بهرب أو مدافعة.

٣٤ ﴿ولا ينفعكم نصحي﴾ الذى أبذله لكم ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ وأيضا لا أدرى ما الله يريده بكم ﴿هو ربكم﴾ فإليه الإغواء، وإليه الهداية ﴿وإليه ترجعون﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

٣٥ ﴿أم يقولون افتراه...﴾ فالافتراء إجرام، ومستبعد ﴿إن افتريته فعلي إجرامي﴾ وأنا برئ من هذه التهمة.

ثم يمضى السياق فى قصة نوح يعرض مشهدًا ثانيا مشهد نوح يتلقى وحى ربه وأمره:

٣٦ ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من...﴾ وهذا بعد دعوة دامت قرابة ألف سنة إلا خمسين عامًا أى فلن يؤمن بعد اليوم أحد من قومك وعليه فلا تبتئس أى لا تستكن ولا تحزن بسبب ما كانوا يفعلون من الشر والفساد والكفر والمعاصى فإنى منجيك ومن معك من المؤمنين. ومهلكهم بالغرق.

٣٧ ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا...﴾ أى وأمرناه أن يصنع الفلك أى السفينة تحت بصرنا وبتوجيهنا وتعليمنا إذ لم يكن يعرف السفن ولا كيفية صنعتها. وقوله ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ أى لا تسألنى لهم صرف العذاب ولا تشفع لهم فى تخفيفه عليهم، لأنا قضينا بإهلاكهم بالطوفان فهم لا محالة مغرقون.

معانى الكلمات:

تزدري أعينكم: تستحقرهم وتستهين بهم

فلا تبتئس: فلا تحزن

يغويكم: يضلكم

بأعيننا: بحفظنا.

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا
مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا
فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ
تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ
الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ
أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ
بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

٣٩،٣٨ ﴿ ويصنع الفلك... ﴾ وأخذ يصنع السفينة ﴿ وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ﴾ فأما نوح فهو واثق عارف وهو يخبرهم في اعتزاز وثقه وطمأنينة واستعلاء ﴿ قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴾ لأنكم لا تعرفون ما ينتظركم من مصير ﴿ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ يوم ينكشف المستور عن المحذور!

٤٠ ﴿ حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور... ﴾: هو التنور وجه الأرض وفورانه علامة بدء الطوفان ﴿ قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ﴾ من كل ما يملك نوح أن يستصحب من الأحياء ﴿ وأهلك ﴾ أمره أن يحمل معه أهله وهم امرأته وبنوه ونساؤهم ﴿ إلا من سبق عليه القول ﴾ أى ما تقدم الحكم عليه بأنه من المغرقين ﴿ ومن آمن ﴾ ووصفهم سبحانه ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾ قيل: ثمانون إنسانا: منهم ثلاثة من بنيه، وهم سام، وحام، ويافث، وزوجاتهم.

٤١ ﴿ وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها... ﴾ أى جريانها فى الطوفان ورسوها بعده ﴿ إن ربي لغفور ﴾ للذنوب ﴿ رحيم ﴾ ومن رحمته إنجاء هذه الطائفة تفضلا منه لبقاء أجناس الحيوان التى حملها معه وبقاء النسل البشرى بعد الطوفان.

٤٢، ٤٣ ﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال... ﴾ وهذا هو مشهد الطوفان، وفيه شدة الأهوال وقوة الريح وعظم الطوفان الذى غشى الأرض وأن الله سلّم السفينة ومن فيها ﴿ ونادى نوح ابنه ﴾ وقد أبصر نوح أحد أبنائه ﴿ وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴾ ولكن البنوة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة ﴿ قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ﴾ ويرسل نوح النداء الأخير ﴿ قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ﴾ وفى لحظة تتغير صفحة المشهد. فها هو ذا الموج الغامر يبتلع كل شئ: ﴿ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾ وتهدأ العاصفة، ويخيم السكون، ويقضى الأمر، ويتمشى الاستقرار كذلك فى الألفاظ وفى إيقاعها في النفس، والأذن.

٤٤ ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي... ﴾ فماذا كان ﴿ وغيض الماء ﴾ أى نقص حتى جف ﴿ وقضي الأمر ﴾ أهلك الله قوم نوح على تمام وإحكام ﴿ واستوت على الجودي ﴾ أى استقرت السفينة على الجبل المعروف بالجودي، وهو جبل بقرب الموصل ﴿ وقيل بعدا ﴾ هلاكًا ﴿ للقوم الظالمين ﴾ أى بعدًا لهم من الحياة فقد ذهبوا، وبعدًا لهم فقد لعنوا، وبعدًا لهم من الذاكرة فقد انتهوا، وما عادوا يستحقون ذكرًا ولا ذكرى!

٤٥ ﴿ ونادى نوح ربه ﴾ أي دعاه سائلاً ﴿ رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ﴾ وهذا كان منه حال الإركاب فى الفلك، وامتناع ولده كنعان من الركوب أى رب إن ولدى كنعان من زوجتى ومن جملة أولادى، وقد وعدتنى أن تنجيني وأهلى ومن معى من المؤمنين ﴿ وإن وعدك الحق ﴾ أي الذى لا خلف فيه أبدًا، ﴿ وأنت أحكم الحاكمين ﴾ أعلمهم وأعدلهم، وهذا ابنى قد استعصى عنى ولم يركب معى وسيهلك مع الهالكين إن لم ترحمه يارب العالمين.

معانى الكلمات:

يخزيه: يذله — سآوي: سألتجئ.

وفار التنور: نبع الماء وجاش بشدة

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٤٦)
قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا
تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ
وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) تِلْكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١)
وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟
مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣)

٤٦، ٤٨ ﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك...﴾ لأنه لم يكن من الذين آمنوا وتابعوك، فالقرابة قرابة الدين لا قرابة النسب، فلا رابطة بعد ذلك ولا وشيجة ﴿إنه عمل غير صالح﴾ وذلك للمبالغة فى ذمه. وكان الرد يحمل رائحة التأنيب والتهديد: ﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾ فسؤالك هذا عمل غير صالح يصدرعنك ﴿إني أعظك﴾ أى أنهاك وأخوفك ﴿أن تكون من الجاهلين﴾ فتسألنى ما ليس لك به علم.

ويرتجف نوح ارتجافة العبد المؤمن يخشى أن يكون قد زل في حق ربه ﴿قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم﴾ مالا علم لى بصحته وجوازه ﴿وإلاّ تغفر لي﴾ ذنب ما دعوت به على غير علم منى ﴿وترحمني﴾ برحمتك، فتقبل توبتى ﴿أكن من الخاسرين﴾ فى أعمال فلا أربح فيها. وأدركت رحمة الله نوحًا: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منّا وبركات عليك﴾ أى بأمن منا وتحيات وبركات عليك وعلى أمم ممن معك أي من ذرية من معك، وكانت خاتمة المطاف: النجاة والبشرى له ولمن يؤمن من ذريته والوعيد والتهديد لمن يريد منهم متاع الحياة الدنيا.

٤٩ ﴿تلك من أنباء الغيب...﴾ قصة نوح وأخباره ﴿ما كنت﴾ يا محمد ﴿تعلمها أنت ولا قومك﴾ من قبل الوحى ﴿فاصبر﴾ على ما تلاقيه من كفار زمانك ﴿إنّ العاقبة﴾ المحمودة في الدنيا والآخره ﴿للمتقين﴾ لله، المؤمنين بما جاءت به الرسل.

الدرس الثالث

(عاد وثمود)

من الآية ٥٠ إلى الآية ٦٨

مدة الحفظ: (يومان)

٥٠/ ٥٢ ﴿وإلى عاد أخاهم هودا...﴾ وكان هود من عاد. فهو أخوهم ﴿قال يا قوم﴾ بهذا التودد والتذكير بالأواصر التي تجمعهم: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ قولة واحدة جاء بها كل رسول وكانوا قد انحرفوا عن عبادة الله الواحد فلا تعبدوا معه غيره ﴿إن أنتم إلاّ مفترون﴾ أى ما أنتم فى عبادة غير الله من الأصنام والأوثان إلا كاذبون: ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجرا﴾ على ما أبلغه إليكم، وأنصحكم به ﴿إنْ أجري إلاّ على الّذي فطرني﴾ أى على الذى خلقنى فهو الذى يثيبنى على ذلك. ﴿أفلا تعقلون﴾ ﴿ويا قوم استغفروا ربّكم ثم توبوا إليه﴾ وهنا يوجههم إلى الاستغفار والتوبة فتكون نتيجتهما: ﴿يرسل السّماء عليكم مدرارا﴾ فالاستغفار والتوبة يجلبان رزق السماء، وبركات الأرض ﴿ويزدكم قوّة إلى قوتكم﴾ خصبًا إلى خصبكم، أو عزًا إلى عزكم: ﴿ولا تتولوا مجرمين﴾ أى لا تعرضوا عما أدعوكم إليه والإجرام هو ارتكاب جريمة التولى والتكذيب. تلك كانت دعوة هود -ويبدوا أنها لم تكن مصحوبة بمعجزة خارقة. ربما لأن الطوفان كان قريبا منهم وكان فى ذاكرة القوم وعلى لسانهم.

٥٣ ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببيّنة...﴾ أى بحجة واضحة نعمل عليها ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك﴾ التى نعبدها من دون الله ﴿وما نحن لك بمؤمنين﴾ أى مستجيبين لك ومصدقين.

معانى الكلمات:

فطرني: خلقنى

مدرارا: غزيرًا متتابعًا.

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِى
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمۚ مَّا
مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ
(٥٦) فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ
(٥٧) وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا۟
فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْۗ أَلَا
بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
(٦١) قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن
نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢)

٥٤ / ٥٨ ﴿إن نَّقولُ إلاَّ اعتراكَ بعضُ آلهتنا بسوءٍ...﴾ أي: بجنون، ﴿قال إنّي أُشْهِدُ اللَّهَ واشْهدوا﴾ أنتم ﴿أنّي بريءٌ ممّا تُشركون﴾ وأعلن أننى أتنزه عن عبادتها ﴿من دونه﴾ أى: من إشراككم من دون الله من غير أن ينزل به سلطانا ﴿فكيدوني جميعا﴾ أنتم وآلهتكم ﴿ثمّ لا تنظرون﴾ أى: لا تمهلونى، بل عاجلونى واصنعوا ما بدا لكم من الإضرار بى ﴿إني توكّلتُ على الله ربي وربّكم﴾ مهما أنكرتم وكذبتم فالله الواحد هو ربي وربكم ﴿ما من دابّة إلاّ هو آخذ بناصيتها﴾ فهو القوة والاستقامة والتقييم.

وفى هذه الكلمات القوية الحاسمة تدرك سر ذلك الاستعلاء وسر ذلك التحدى: ﴿فإن تولّوا فقد أبلغتُكم مّا أرسلتُ به إليكم﴾ فأديت واجبى لله... ﴿ويستخلف ربي قوما غيركم﴾ يليقون بتلقى دعوته ﴿ولا تضرونه شيئا﴾.. فما بالكم به من قوة، ﴿إنّ ربّي على كلّ شيء حفيظ﴾.. يحفظ دينه وأولياءه وسنته من الأذى والضياع.

﴿ولمّا جاء أمرنا﴾ أى عذابنا الذى هو إهلاك عاد ﴿نجّينا هودا والّذين آمنوا معه برحمة منّا﴾ لأنه لا ينجو أحد إلا برحمة الله ﴿ونجّيناهم مّن عذاب غليظ﴾ أى شديد،

٥٩ ﴿وتلك عادٌ جحدوا بآيات ربّهم...﴾ والآن وقد هلكت عاد، يشار إلى مصرعها إشارة البعد ويسجل عليها ما اقترفت، هم جحدوا آيات الله، وهم عصوا رسلاً فما أضخم الذنب وما أشنع الجريمة ﴿واتّبعوا أمر كلّ جبّار عنيد﴾ أمر كل متسلط عليهم معاند لا يسلم بحق... وهكذا يتبين أن القضية بين هود وعاد كانت قضية ربوبية الله وحده لهم الدينونة لله وحده من دون العباد. وتبين أن دعوة التوحيد تصر أول ما تصر على التحرر من الدينونة لغير الله. لقد هلكت عاد لأنهم اتبعوا أمر كل جبار عنيد.. هلكوا مشيعين باللعنة فى الدنيا والآخرة.

٦٠ ﴿وأُتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة...﴾ ويسجل ما أصابهم فى إعلان عام: ﴿ألا إنّ عادا كفروا ربّهم﴾ ثم يدعو عليهم بالطرد والبعد البعيد: ﴿ألا بُعدا لعاد قوم هود﴾ بهذا التحديد والإيضاح والتوكيد.

٦١، ٦٢ ﴿وإلي ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله...﴾ إنه المنهج وذكرهم بنشأتهم من الأرض واستخلفهم بجنسهم واستخلفهم بأشخاصهم بعد الذاهبين من قبلهم ﴿فاستغفروه ثمّ توبوا إليه﴾.. واطمئنوا إلي استجابته وقبوله: ﴿إنّ ربّي قريب مّجيب﴾ ولكن قلوب القوم كانت قد بلغت من الفساد والاستغلاق والانطماس درجة لا يستشعر معها جمال تلك الصورة ولا جلالها وإذا بهم يفاجأون حتى ليظنوا بأخيهم صالح الظنون: ﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا﴾ أى كنا نرجو أن تكون سيدًا مطاعًا ننتفع برأيك قبل هذا الذى أظهرته: ﴿أتنهانا أن نّعبد ما يعبد آباؤنا﴾ فانكروا عليه هذا النهى ﴿وإنّنا لفي شكّ ممّا تدعونا إليه مريب﴾ من عبادة الله وحده، وترك عبادة الأوثان - موقع الريب.

معانى الكلمات:

اعتراك : أصابك

لا تنظرون : لا تمهلونى

آخذ بناصيتها : مالكها وقادرعليها

بُعدا لعاد : هلاكًا وسحقًا لهم.

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) فَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ
(٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا
لِّثَمُودَ (٦٨) وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟
سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا
رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ
فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ (٧١)

٦٣ . ٦٨ ﴿قال يا قوم أرأيتم...﴾ أى فكروا فى قولى وأخبرونى ﴿إن كنت على بينة من ربي﴾ أى حجة ظاهرة وبرهان صحيح ﴿وآتاني منه رحمة﴾ أى نبوة ﴿فمن ينصرني من الله﴾ يمنعنى من عذاب الله ﴿إن عصيته﴾ فى تبليغ الرسالة وراقبتكم وفترت عما يجب علىّ من البلاغ لكم بترك عبادة الطواغيت.

﴿فما تزيدونني﴾ بتثبيطكم إياى ﴿غير تخسير﴾ بأن تجلعونى خاسرًا بإبطال عملى وهى خسارة بعد خسارة. ولا شئ إلا التخسير والتثقيل والتشديد.

﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ معجزة ظاهرة، لأنه أخرجها لهم من جبل على حسب اقتراحهم ﴿فذروها تأكل في أرض الله﴾ وإلا فسيعاجلكم العذاب -تأكل من المراعى التى تأكلها الحيوانات ولا تضيقوا عليها في المراعى- ﴿فيأخذكم عذاب قريب﴾ أى قريب من عقرها، وذلك ثلاثة أيام ﴿فعقروها﴾ أى قتلوها بضربها بسيف ونحوه ﴿فقال﴾ لهم صالح ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ أى تمتعوا بالعيش في منازلكم ثلاثة أيام: فإن العقاب نازل عليكم بعدها ﴿فلما جاء أمرنا﴾ بوقوع العذاب ﴿نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ﴾ وهو هلاك قومه بالصيحة والخزى: الذلة و المهانة ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ صيحة جبريل، وقيل صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ أى ساقطين على وجوههم موتى قد لصقوا بالتراب كالطير إذا جثمت. ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أى كأنهم لم يقيموا فى بلادهم، أو ديارهم ولم يستعمروا فيها.

وانطواء الصفحة من الواقع ومن الذكرى: ﴿ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود﴾

الدرس الرابع

(إبراهيم ولوط)

من الآية ٦٩ إلى الآية ٨٣

مدة الحفظ: (يوم)

٦٩ ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ ولا يفصح السياق عن هذه البشرى إلا فى موعدها المناسب بحضور امرأة إبراهيم والرسل ﴿قالوا سلاما قال سلام﴾ وعلى عادة البدو فى إكرام الأضياف راح يحضر لهم الطعام، وقد ظنهم ضيوفا: ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ أى سمين مشوى، ولكن الملائكة لا يأكلون طعام أهل الأرض.

٧٠ ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه...﴾... أى لا تمتد إلى الطعام ﴿نكرهم وأوجس منهم خيفة﴾. فالذى لا يأكل الطعام يريب ويشعر بأنه ينوى خيانة أو غدرًا بحسب تقاليد أهل البدو... وأهل الريف عندما يتحرجون من خيانة الطعام... ﴿قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ وإبراهيم يدرك ما وراء إرسال الملائكة إلى قوم لوط، ولكن حدث فى هذه اللحظة ما غير مجرى الحديث:

٧١ ﴿وامرأته قائمة فضحكت...﴾ وربما كان ضحكها ابتهاجا بهلاك القوم الملوثين: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ وكانت عقيما لم تلد.

معاني الكلمات:

أرأيتم: أخبرونى

جاثمين: هامدين ميتين

وأوجس منهم خيفة: أحس فى قلبه منهم خوفًا — بعجل حنيذ: مشوى.

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ
قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

٧٢/ ٧٦ ﴿قالتْ يا ويْلتىٰ أألدُ وأنا عجوزٌ وهذا بعْلي شيْخًا...﴾ قيل عجوز: شيخة قد طعنت فى السن وهذا زوجى إبراهيم شيخا وقيل قد كان ابن مائة وعشرين سنة، وهذه المبشرة هى سارة إمرأة إبراهيم. وقد كان ولد لإبراهيم - من هاجر أمته- إسماعيل فتمنت سارة أن يكون له ابن، وأيست منه لكبر سنها، فبشرها الله به على لسان ملائكته. ﴿قالُوا أتعْجبين منْ أمْر اللّه﴾ وهو لايستحيل عليه شئ، ﴿وبركاتُهُ﴾ البركات: هى النمو والزياده ﴿أهْل البيْت﴾ يا أهل بيت النبوة وانت يا زوجة النبى منهم. ﴿إنّهُ حميدٌ﴾ أى يفعل موجبات حمده من عباده ﴿مّجيدٌ﴾ ذو المجد والرفعة.

﴿فلمّا ذهب عنْ إبْراهيم الرّوْعُ﴾ الخيفة التى أوجسها فى نفسه ﴿وجاءتْهُ الْبُشْرىٰ﴾ أى بالولد ﴿يُجادلُنا في قوْم لُوطٍ﴾ أى يجادل رسلنا، وقيل: إن المعنى أخذ يجادلنا، قيل: إنه لما سمع قولهم ﴿إنّا مُنزلُون علىٰ أهْل هذه الْقرْية رجْزًا مّن السّماء بما كانُوا يفْسُقُون﴾ قال: أرأيتم أتهلكونهم؟ قالوا لا. قال: فأربعون؟ قالوا لا. قال: فعشرون: قالوا لا. ثم قال فعشرة، فخمسة؟ قالوا لا قال: فواحد؟ قالوا: لا ﴿قال إنّ فيها لُوطًا قالُوا نحْنُ أعْلمُ بمن فيها لنُنجّينّهُ وأهْلهُ﴾ أى: يجادلنا فى شأنهم وأمرهم لعله أن يجد وجها لتأخير العذاب عنهم ﴿إنّ إبْراهيم لحليمٌ أوّاهٌ مُّنيبٌ﴾ وأيضا الذى يحتمل أسباب الغضب فيصبر ولا يثور أى ليس بعجول فى الأمور والأوّاه: الذى يتضرع فى الدعاء.

والمنيب: الذى يعود سريعا إلى ربه. وجاء الرد بأن أمر الله فيهم قد قضى ولم يعد للجدال مجال: ﴿يا إبراهيم أعْرضْ عنْ هذا إنّهُ قدْ جاء أمْرُ ربّك﴾ أعرض عن هذا الجدال فى أمر قد فرغ منه، وحق به القضاء فقد جاء بعذابه الذى قدره عليهم وسبق به قضاؤه ﴿وإنّهُمْ آتيهمْ عذابٌ غيْرُ مرْدُودٍ﴾ أى لا يرده دعاء ولا جدال، بل

٧٧/ ٨١ ﴿ولمّا جاءتْ رُسُلُنا لُوطًا سيء بهمْ وضاق بهمْ ذرْعًا...﴾ فلما خرج الملائكة من عند إبراهيم وجاءوا إلى لوط ﴿سيء بهمْ﴾ أى ساءه مجيؤهم ﴿وضاق بهمْ ذرْعًا﴾ ضاق صدره لما رأى الملائكة فى تلك الصورة، خوفا عليهم من قومه وهو يدرك الفضيحة التى ستناله ﴿وقال هذا يوْمٌ عصيبٌ﴾ وبدأ اليوم العصيب ﴿وجاءهُ قوْمُهُ يُهْرعُون إليْه﴾ أى يسرعون إليه فى حالة تشبه الحمى. ﴿ومن قبْلُ كانُوا يعْمَلُون السّيّئات﴾ فحاول لوط أن يوقظ فيهم الفطرة السليمة ﴿قال يا قوْم هؤُلاء بناتي هُنّ أطْهرُ لكُمْ﴾ قيل المراد: تزوجهن، وقيل أراد بقوله ﴿هؤُلاء بناتي﴾ النساء جملة، وقيل: إنما كان هذا القول منه على طريق المدافعة إلى أن ينصرف الضيوف ولم يرد الحقيقة. ﴿هُنّ أطْهرُ لكُمْ﴾ بكل معان الطهر ﴿فاتّقُوا اللّه﴾ قالها يلمس في نفوسهم من هذا الجانب.. ﴿ولا تُخْزُون في ضيْفي﴾ قالها كذلك يلمس نخوتهم وتقاليد البدو في إكرام الضيف إطلاقا. ﴿أليْس منكُمْ رجُلٌ رّشيدٌ﴾ وظلت القوة المريضة الشاذة فى إندفاعها المحموم ﴿قالُوا لقدْ علمْت ما لنا في بناتك منْ حقّ﴾ فلو أردنا بناتك لتزوجناهن فهذا حقنا ﴿وإنّك لتعْلمُ ما نُريدُ﴾ ﴿قال لوْ أنّ لي بكُمْ قُوّةً أوْ آوي إلىٰ رُكْنٍ شديدٍ﴾ وغاب عن لوط فى كربته وشدته أنه يأوى إلى ركن شديد. ركن الله الذى لا يتخلى عن أوليائه ﴿قالُوا يا لُوطُ إنّا رُسُلُ ربّك لن يصلُوا إليْك﴾ ... وأنبأوه نبأهم ﴿فأسْر بأهْلك بقطْعٍ مّن اللّيْل﴾ والسرى: سير الليل والقطع من الليل: بعضه ﴿ولا يلْتفتْ منكُمْ أحدٌ﴾ أى لا ينظر إلى ما وراءه ﴿إلاّ امْرأتك﴾ أى لكن إمرأتك ستخالف هذا وتلتفت فـ﴿إنّهُ مُصيبُها ما أصابهُمْ﴾ من العذاب ﴿إنّ موْعدهُمُ الصُّبْحُ﴾ جعل الصبح ميقاتًا لهلاكهم.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ
وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ
وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ
أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥)
بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ (٨٦) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن
نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ
إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)

٨٢، ٨٣ ﴿فلمّا جاء أمرنا...﴾ بوقوع العذاب ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ قيل: أمر الله تعالى جبريل فرفعها بجناحه ثم قلبها بهم ﴿وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل﴾ والسجيل: الطين المتحجر بطبخ أو غيره. ﴿منضود﴾ بعضه فوق بعض ﴿مسوّمة عند ربّك﴾ هذه الحجارة مسومة كما تسوم الماشية فكأنما هذه الحجارة مرباة ومطلقة لتنمو وتتكاثر! لوقت الحاجة ﴿وما هي من الظّالمين ببعيد﴾ فهى قريبة وتحت الطلب. وعند الحاجة تطلب فتصيب!... وعند ربك للظالمين كثير.

الدرس الخامس
(شعيب وقومه أهل مدين)
من الآية ٨٤ إلى الآية ٩٩
مدة الحفظ: يومان

٨٤/ ٨٨ ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا...﴾ وسموا مدين باسم أبيهم وهو مدين بن إبراهيم، وقد كان شعيب عليه السلام يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ إنها الدينونة لله وحده قاعدة العقيدة الأولى. ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير﴾ والقضية هنا هى قضية الأمانة والعدالة -بعد قضية العقيدة والدينونة ﴿إني أراكم بخير﴾ فقد رزقكم الله رزقًا حسنًا. فلستم فى حاجة إلى هذه الدناءة لتزيدوا غنى ولن يفقركم أو يضركم أن لا تنقصوا المكيال والميزان.. ﴿وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾... إما فى الآخرة عند الله وإما فى هذه الأرض. ومرة أخرى يكرر شعيب نصحه فى صورة إيجابية بعد صورة النهى السلبية: ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾. لأنه أقرب للسماحة والوفاء ﴿ولا تبخسوا النّاس أشياءهم﴾. وبخس الناس (ظلم) ويشيع مشاعر الألم والحقد ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ والعثو: هو الإفساد. فلا تفسدوا متعمدين الإفساد ﴿بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ فما عند الله أبقى وأفضل. والخير الباقى لهم عند الله إن آمنوا وهى فرع من الإيمان ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ فبذلك يخلى بينهم وبين الله الذى دعاهم إليه ويبين لهم أنه لا يملك لهم شيئا ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ ويقفهم وجها لوجه أمام العاقبة بلا وسيط ولا حفيظ: ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ وهو رد كله تهكم وسخرية ﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ من الأخذ والعطاء. والزيادة والنقص، فهى أموالنا لا حرج علينا فى التصرف فيها ﴿إنك لأنت الحليم الرّشيد﴾ وانكروا عليه الأمر والنهى منه لهم بما يخالف الحلم والرشد فى اعتقادهم. ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي﴾ والمعنى: أرأيتم إن كنت على حجة واضحة فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه ﴿ورزقني منه رزقا حسنا﴾ كان عليه السلام كثير المال وقيل: أراد بالرزق النبوة وقيل: الحكمة. أأترك أمركم ونهيكم لمجرد رفضكم له وامتناعكم عن قبوله؟ ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ أى ليس من شأنى أن أنهاكم عن الشئ ثم أفعله دونكم ﴿إن أريد إلاّ الإصلاح﴾ ما أريد بالأمر والنهى إلا الإصلاح لكم ﴿ما استطعت﴾ ما تمكنت منه طاقتى ﴿وما توفيقي إلاّ بالله﴾ أى بتأييد الله ﴿عليه توكّلت﴾ في جميع أمورى ﴿وإليه أنيب﴾.

معانى الكلمات:
سجّيل: طين طبخ بالنار كالفخار
مسوّمة: معلمة للعذاب
بقيّت الله: ما أبقاه لكم من الحلال
بيّنة: هداية وبصيرة.

وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ
قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم
بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ
سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ
كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدۡ
أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾

٨٩ , ٩٠ ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي...﴾ أى لا تحملنكم عداوتى على تكذيبى، فيكون جزاؤكم إصابة العذاب إياكم كما أصاب من كان قبلكم ﴿أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ فاخشوا مثل أيامهم إن عصيتم الله كما عصوه. ثم يفتح لهم باب المغفرة والتوبة ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود﴾ عظيم الرحمة للتائبين.

٩١ ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول...﴾ تأتينا بما لا عهد لنا به من الأخبار بالأمور الغيبية، كالبعث والنشور، ولا نفقه ذلك، أى لا نفهمه كما نفهم الأمور الحاضرة المشاهدة ﴿وإنا لنراك فينا ضعيفا﴾ أى لا قوة لك تقدر بها على أن تمنع نفسك منا ونتمكن بها من مخالفتنا ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ رهط الرجل: عشيرته ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ بل تركنا رجمك لعزة رهطك علينا ﴿لرجمناك﴾ لقتلناك بالرمى بالحجارة.

٩٢ ﴿قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله...﴾ أجماعة من البشر أعز عليكم من الله ؟ ﴿واتخذتموه﴾ المعنى: واتخذتم الله عز وجل، بسبب عدم اعتدادكم بنبيه الذى أرسله الله إليكم ﴿وراءكم ظهريا﴾ أى منبوذًا وراء الظهر لا تبالون به.

٩٣ ﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم...﴾ لما رأى اصرارهم على الكفر وتصميمهم على دين أبائهم، وعدم تأثير الموعظة فيهم، توعدهم بأن يعملوا على غاية تمكنهم ونهاية استطاعتهم، وأخبرهم أنه عامل على حسب ما يمكنه. ﴿سوف تعلمون﴾ أى عاقبة ما أنتم فيه من عبادة غير الله والإضرار بعباده ﴿من يأتيه عذاب يخزيه﴾ العذاب المخزى الذل والفضيحة والعار الذى يلحق المستكبرين والمتعالين على الناس بغير الحق ﴿ومن هو كاذب﴾ ستعلمون من هو المعذب ومن هو الكاذب منى ومنكم ﴿وارتقبوا إني معكم رقيب﴾ أى انتظروا إنى معكم منتظر لما يقضى به الله بيننا.

٩٤ ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه...﴾ وهنا يسدل الستار... ليرفع هناك على مصرع القوم ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ أى ميتين.

٩٥ ﴿كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود...﴾ وطويت صفحة أخرى من الصفحات السود، حق فيها الوعيد على من كذبوا بالوعيد.

٩٦ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين...﴾ السلطان: المعجزات. وقيل: الآيات التسع.

٩٧ ﴿إلى فرعون وملئه...﴾ الملأ: أشراف القوم، وسائر القوم أتباع لهم فى الإصدار والإيراد ﴿فاتبعوا أمر فرعون وما﴾ ويجوز أن يراد بفرعون شأنه وطريقته ﴿أمر فرعون برشيد﴾ أى ليس فيه رشد قط، بل هو غى وضلال.

معاني الكلمات:

لا يجرمنكم: لا يكسبنكم

رهطك: جماعتك

جاثمين: هامدين ميتين

لم يغنوا: لم يقيموا فيها طويلاً فى رغد.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ
ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ
ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ
مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى
ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

٩٨ ﴿ يقدُمُ قومهُ يومَ القيامة . . . ﴾ يصير متقدمًا سابقا لهم إلى عذاب النار، كما أنه أمرهم في الدنيا بالكفر فاتبعوه ﴿ فأوردهم النّار ﴾ يتبعونه حتي يوصلهم النار ويدخل بهم فيها ﴿ وبئس الوِرد المورود ﴾ لأن الوارد إلى الماء إنما يرده ليطفئ حر العطش، والنار على ضد ذلك.

٩٩ ﴿ وأتبِعوا . . . ﴾ أى أتبَعَ الله فرعون وملأه بعد هلاكهم ﴿ في هذه ﴾ الدنيا ﴿ لعنةً ﴾ أى طردًا وإبعادًا ﴿ ويوم القيامة ﴾ أى: وأتبعوا لعنة يوم القيامة يلعنهم أهل المحشر ﴿ بئس الرِفد المرفود ﴾ أى: بئس العطاء والإعانه ما أعطوهم إياه.

الدرس الثانى: الخاتمة والتعليقات من الآية (١٠٠) إلى الآية (١٢٣)

١٠٠ ﴿ ذلك من أنباء القرىٰ نقصُّه عليك . . . ﴾ أى: ما قصه الله سبحانه في هذه السورة من أخبار الأمم السالفة ﴿ منها ﴾ أى: من القرى ﴿ قائمٌ ﴾ على عروشه ومبانيه، ومنها ﴿ وحصيد ﴾ أى خراب ليس له أثر.

١٠١ ﴿ وما ظلمْناهم . . . ﴾ بما فعلنا بهم من العذاب ﴿ ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ بالكفر والمعاصى التى هي سبب الهلاك لأنفسهم ﴿ فما أغنت عنهم آلهتهم ﴾ أى فما دفعت عنهم العذاب ﴿ لَمَّا جاء أمر ربك ﴾ أى لما جاء عذابه ﴿ وما زادوهم غير تتبيب ﴾ أى ما زادتهم الأصنام التى يعبدونها إلا هلاكًا وخسرانًا.

١٠٢ ﴿ وكذلك أخذُ ربك إذا أخذ القُرىٰ وهي ظالمةٌ . . . ﴾ ظالمة: مشركة حين تدين لغير الله بالربوبيه وظالمة لنفسها بالشرك والفساد فى الأرض والإعراض عن دعوة التوحيد ﴿ إنَّ أخْذه أليم شديدٌ ﴾ بعد الإمهال والمتاع والابتلاء وبعد الإعذار بالرسل والبينات.

١٠٣ ﴿ إنّ في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة . . . ﴾ ثم يأخذ فى وصف ذلك اليوم ﴿ ذَلك يومٌ مَجْموعٌ لَهُ النَّاسُ ﴾ الكل يحضر والكل ينتظر ما سوف يكون.

١٠٤ ﴿ وما نؤخّرهُ إلاَّ لأجل مَعْدُود . . . ﴾ معلوم بالعدد، قد عين الله سبحانه وقوع الجزاء بعده.

١٠٥ ﴿ يومْ يأت لا تكلَّم نفسٌ . . . ﴾ أى لا تتكلم بحجة ولا شفاعة ﴿ إلاَّ بإذْنه ﴾ لها فى التكلم بذلك فإن الأمر يومئذ لله وحده ﴿ فمنهم شقيٌ وسعيدٌ ﴾ أى ينقسم الناس إلى فريقين: أصحاب النار وأصحاب الجنة.

١٠٦ ﴿ فأمَّا الَّذين شقوا . . . ﴾ من الكفار والعصاة، أى كتبت لهم الشقاوة لكفرهم وفساد أعمالهم ﴿ لهمْ فيها زفيرٌ وشهيقٌ ﴾ الزفير: إخراج النفس بصوت شديد من شدة ألم صدورهم. والشهيق: أخذ النفس.

١٠٧ ﴿ خالدين فيها ما دامت السّموات والأرضُ . . . ﴾ لا انقطاع لذلك ولا انتهاء له ﴿ إلاَّ ما شاء ربك ﴾ من تأخير قوم عن ذلك. وقيل إلا العصاة من المؤمنين فيخرجون منها ويبقى الكفار ﴿ إنَّ ربّك فعّالٌ لما يُريد ﴾ يصنع فى الدنيا والآخرة ما يشاء.

١٠٨ ﴿ وأمَّا الَّذين سُعدوا . . . ﴾ كتبت لهم السعادة بإيمانهم وصلاح أعمالهم ﴿ إلاَّ ما شاء ربّك ﴾ من تأخرهم فى قبورهم، وفي المحشر قبل دخول الجنة ﴿ عطاء غير مجْذوذ ﴾ ممتد إلى غير نهاية، لا ينقطع.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ
ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ
﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ
فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

١٠٩ ﴿فلا تكُ في مرية ممّا يعبد هؤلاء...﴾ لا تكن فى شك من بطلان ما يعبد هؤلاء ﴿ما يعبدون إلاّ كما يعبد آباؤهم﴾ بل تقليد لآبائهم فقط ﴿من قبل وإنّا لموفوهم نصيبهم﴾ من العذاب كما وفينا آباءهم لا ينقص من ذلك شئ. وقيل: المراد نصيبهم من الخير والشر.

١١٠ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب...﴾ أى التوراة ﴿فاختلف فيه﴾ أى فى شأنه وتفاصيل أحكامه، وتفرقت كلمتهم ﴿ولولا كلمة سبقت من ربّك لقضي بينهم﴾ لولا أن الله قد حكم بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لما علم فى ذلك من الصلاح لقضى بينهم أى بين قومك، أو بين قوم موسى فأثيب المحق وعذب المبطل.

١١١ ﴿وإنّ كلاًّ لمّا ليوفّينّهم ربك أعمالهم...﴾ أى ليس لأحد من هؤلاء المتخلفين إلا سيجازيه الله بعمله ويوفيه جزاءه.

١١٢ ﴿فاستقم كما أمرت...﴾ أى كما أمرك الله، فيدخل فى ذلك جميع ما أمر به، وجميع مانهاه عنه ﴿ومن تاب معك﴾ أى وليستقم من تاب معك ﴿ولا تطغوا﴾ الطغيان مجاوزة الحد. ﴿إنّه بما تعملون بصير﴾ يجازيكم على حسب ما تستحقون.

١١٣ ﴿ولا تركنوا إلى الّذين ظلموا﴾ والركون المنهى عنه هو الرضى بما عليه الظلمة، فأما مداخلتهم لرفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة في الركون ﴿فتمسّكم النّار﴾ بسبب الركون إليهم ﴿وما لكم من دون الله من أولياء﴾ والمعنى: أنها تمسكم النار حال عدم وجود من ينصركم وينقذكم منها، ﴿ثمّ لا تنصرون﴾ من جهة الله سبحانه.

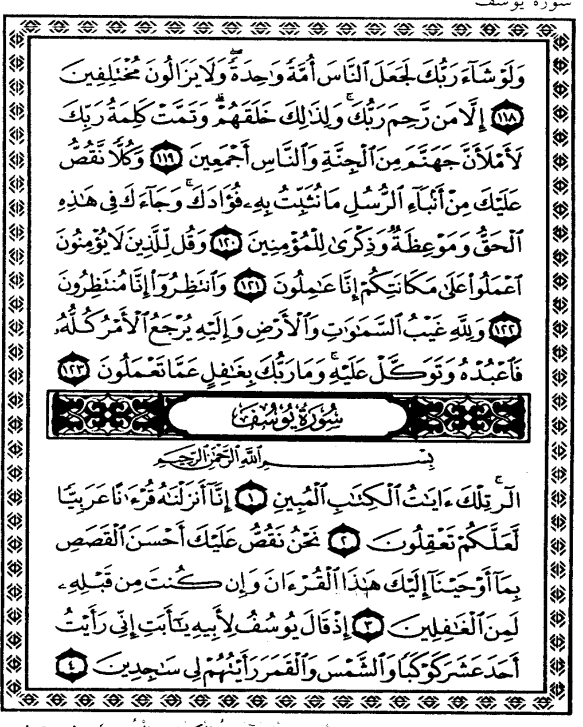
١١٤ ﴿وأقم الصّلاة طرفي النّهار ...﴾ وهما: الفجر والعصر، وقيل: الصبح والمغرب ﴿وزلفا من اللّيل﴾ أى ساعة بعد ساعة فى صلاة الليل. أو المراد صلاة العشاء ﴿إنّ الحسنات﴾ ومن جملتها بل عمادها الصلاة ﴿يذهبن السّيئات﴾ على العموم ﴿ذلك ذكرى للذّاكرين﴾ أى موعظة للمتعظين.

سبب نزول قول تعالى: ﴿وأقم الصّلاة طرفي النّهار وزلفا من اللّيل إنّ الحسنات يذهبن السّيئات﴾ عن ابن مسعود، أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وأقم الصّلاة طرفي النّهار وزلفا من اللّيل﴾ إلى آخر الآية، فقال الرجل: ألى هذه؟ قال: (لمن عمل بها من أمتى).

١١٥ ﴿واصبر...﴾ على ما أمرت به من الاستقامة، وعدم الطغيان ﴿فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أى يوفيهم أجورهم ولايضيع منها شيئا.

١١٦ ﴿فلولا...﴾ أى فهلا ﴿كان من القرون﴾ من الأمم التى عذبت ﴿من قبلكم أولوا بقيّة﴾ من الرأى والعقل والدين ﴿ينهون﴾ قومهم ﴿عن الفساد في الأرض إلاّ قليلا﴾ أى لكن قليلا ﴿ممّن أنجينا منهم﴾ كانوا ينهون عن الفساد فى الأرض فأنجيناهم ﴿واتبع الّذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ آثروا ذلك على الاشتغال بأعمال الآخرة، واستغرقوا أعمارهم فى الشهوات ﴿وكانوا مجرمين﴾ أى اتبعوا شهواتهم، وكانوا بذلك الاتباع مجرمين.

١١٧ ﴿وما كان ربّك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون...﴾ ينصف بعضهم بعضا، فلا يهلكهم بمجرد الشك وحده حتى ينضم إليهم الفساد فى الأرض.



وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
(١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) وَكُلًّا نَقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ
الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ
(١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)

١١٨ ﴿لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة...﴾ على دين الإسلام دون سائر الأديان ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ أو لا يزالون مختلفين في الحق بسبب اتباع الهوى والبغي.

١١٩ ﴿إلا من رحم ربك...﴾ بالهداية إلى الدين.

﴿ولذلك خلقهم﴾ أو ولرحمته خلقهم ﴿وتمت كلمة ربك﴾ ثبتت كما قدره في أزله ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ أي من يستحقها من الطائفتين.

١٢٠ ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك...﴾ بزيادة يقينه ووفور طمأنينته ﴿وجاءك في هذه﴾ أي جاءك في هذه السورة البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدأ والمعاد ﴿وموعظة﴾ يتعظ بها الواقف عليها من المؤمنين ﴿وذكرى﴾ يتذكر بها من تفكر منهم.

١٢١ ﴿وقل للذين لا يؤمنون...﴾ بهذا الحق ولا يتعظون ولا يتذكرون ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ على تمكنكم وحالكم وجهتكم.

١٢٢ ﴿وانتظروا إنا منتظرون...﴾ انتظروا عاقبة أمرنا، فإنا منتظرون عاقبة أمركم.

١٢٣ ﴿ولله غيب السموات والأرض...﴾ أي علم جميع ما هو غائب عن العباد فيهما، لا يشاركه فيه غيره ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ أي يوم القيامة، فيجازي كلا بعمله ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ فإنه كافيك كل ما تكره ومعطيك كل ما تحب ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ بل عالم بجميع ذلك ومجاز عليه: إن خيرا فخير وان شرًا فشر.

سورة يوسف

الدرس الأول: الرؤية والمؤامرة
من الآية (١) إلى الآية (٢٠)
مدة الحفظ يومان.

٣/١ ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين...﴾ هذا الكتاب المبين نزله الله كتابا عربيا مؤلفًا من هذه الأحرف العربية المعروفة... ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون﴾ والعقل هنا مدعو لتدبر هذه الظاهرة ودلالتها القاهرة.. ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ لأنها تتضمن من العبر والمواعظ والحكم ما لم يكن في غيرها، وفيها ذكر الأنبياء، والصالحين، والملائكة، وسير الملوك، والمماليك والتجار، والرجال، والنساء وحيلهن، ومكرهن.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ عن سعد ابن أبي وقاص في قوله عز وجل ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ قال: أنزل القرآن على رسول ﷺ فتلاه علينا زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت، فأنزل الله تعالى ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ إلى قوله: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ الآية، فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها﴾ «الزمر ٢٣» قال: كل ذلك تؤمرون بالقرآن.

٤ ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت...﴾ يوسف الصبي يقص رؤياه على أبيه ﴿أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ لهذا أحس يعقوب بحسه وبصيرته أن وراء هذه الرؤيا شأنا عظيما لهذا الغلام. لم يفصح هو عنه.. ولهذا نصحه بألا يقص رؤياه.

معاني الكلمات:

مكانتكم: غاية تمكنكم من أمركم.

قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ
إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥) وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ
ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ (٨) ٱقْتُلُوا۟
يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ
بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ (٩) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ
وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ
فَـٰعِلِينَ (١٠) قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَـٰصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَـٰفِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ (١٣) قَالُوا۟ لَئِنْ
أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ (١٤)

٦،٥ ﴿قَالَ يا بُنيَّ لا تقْصُصْ رُءْياك على إخْوتك...﴾ لأنه علم تأويلها وخاف أن يقصها على إخوته فيفهموا تأويلها ويحصل منهم الحسد له ﴿فيكيدوا لك كيْدا﴾ أى خشية أن يدبروا لك تدبيرًا خفيا لا تفهمه ﴿إنَّ الشَّيطان للإنسان عدوٌّ مُبينٌ﴾ ومن ثم فهو يوغر صدور الناس بعضهم على بعضهم، واستطرد قائلا ﴿وكذلك يجتبيك ربُّك ويعلّمك من تأويل الأحاديث﴾ أى تأويل الرؤيا ﴿ويتمّ نعْمته عليْك﴾ فيجمع لك النبوة والملك ﴿كما أتمّها على أبويْك من قبْل﴾ انجاه الله من النار، ويجئ التعقيب ﴿إنَّ ربَّك عليم حكيم﴾.

٧/ ١٠ ﴿لقدْ كانَ في يوسُف وإخْوته آياتٌ للسَّائلين...﴾ آيات دالة على نبوة محمد ﷺ للسائلين من اليهود. فإنه روى أن سأله اليهود عن قصة يوسف وهو بمكة ولم يكن فى مكة من أهل الكتاب ولا من يعرف خبر الأنبياء فأنزل سورة يوسف جملة واحدة ﴿إذْ قالوا ليُوسف وأخُوه أحبُ إلى أبينا منَّا﴾ هو بنيامين، وخصوه بكونه أخاه مع إنهم جميعا إخوته، (لأنه أخوه من أمه وأبيه، أما سائرهم فهم إخوته من أبيه لا من أمه . ﴿ونحن عصبةٌ﴾ جماعة. والعصبه ما بين الواحد إلى العشرة. ﴿إنَّ أبانا لفي ضلال مُبين﴾ لأنه يؤثر غلامًا وصبيًا صغيرين على مجموعة من الرجال النافعين... ثم يغلى الحقد ويدخل الشيطان ﴿اقْتلوا يُوسُف أو اطْرحوه أرْضا﴾... لماذا؟ ﴿يخلُ لكُم وجهُ أبيكُم﴾. فلا يحجبه يوسف وهم يريدون قلبه، ﴿وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ فى أمور دينكم وطاعة أبيكم أو صالحين فى أمور دنياكم لذهاب ما كان يشغلكم عن ذلك، وهو الحسد ليوسف. ﴿قال قائلٌ منْهم﴾ قيل: هو يهودا ﴿لا تقْتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجُبّ﴾ أى لا تصلوا فى عداوتكم له وبغضه إلى قتله. ولكن ألقوه ﴿في غيابة الجبّ﴾ أسفله ﴿يلْتقطْه بعضُ السَّيَّارة﴾ أى المارة من المسافرين ﴿إن كُنتم فاعلين﴾ أى إن كنتم عازمين على ما تقولون. كأنه يشككهم ليثبطهم عن الفعل.

١١/ ١٢ ﴿قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يُوسُف...﴾ سؤال فى عتب وفيه استنكار، ﴿وإنَّا له لناصحُون﴾ قلوبنا صافية لايخالطها سوء -وكاد المريب أن يقول خذونى- ﴿أرسلْهُ معنا غدا يرتع ويلعبْ وإنَّا له لحافظُون﴾ زيادة فى التوكيد وردًا على العتاب الاستنكارى الأول جعل يعقوب ينفى -بطريق غير مباشر أنه لا يأمنهم عليه.

١٣/ ١٤ ﴿قال إني ليحْزُنُني أن تذْهبُوا به...﴾ **أننى لا أطيق فراقة** ﴿وأخاف أنْ يأكُلهُ الذئْبُ وأنتُم عنْهُ غافلُون﴾ ولا بد وجدوا فيها عذرًا يبحثون عنه واختاروا أسلوبًا من الأساليب المؤثرة لنفى هذا الخاطر عنه. ﴿قالُوا لئنْ أكله الذّئْبُ ونحنُ عُصْبةٌ إنَّا إذًا لَّخاسرُون﴾ فلا نصلح لشئ أبدا. وهكذا استسلم الوالد الحريص لهذا التوكيد ولذلك الإحراج.

معانى الكلمات:
تأوِيل الأحاديث: تعبير الرؤيا وتفسيرها
اطْرحوه أرْضًا: ألقوه
غيابة الْجُبّ: ما غاب واظلم من قعر البئر
يرتع: يتسع في أكل ما لذ وطاب
وأجمعوا: عزموا وصمموا.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا
أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ
بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا
وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) وَقَالَ
الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ
أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ
أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)

١٥ ﴿فلمّا ذهبوا به...﴾ من عند يعقوب ﴿وأجمعوا﴾ عزموا أمرهم ﴿أن يجعلوه في غيابت الجب﴾ حيث يغيب عنهم. فهاهم أولاء ينفذون المؤامرة النكراء ﴿وأوحينا إليه لتنبئنّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾ وفى هذه اللحظة يلقى الله سبحانه فى روعه أنه ناج وأنه سيعيش حتى يواجه إخوته بهذا الموقف الشنيع وهم لا يشعرون أنه يوسف الذى تركوه في غياهب الجب وهو صغير.

١٦/ ١٧ ﴿وجاءوا أباهم عشاء يبكون...﴾ أى متباكين ترويجا لكذبهم ﴿قالوا يا أبانا إنّا ذهبنا نستبق﴾ أى نتسابق في العدو: ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ أى عند ثيابنا ليحرسها ﴿فأكله الذئب﴾ ويحسون أنها مكشوفة فيقولون ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين﴾ لأنك تشك فينا ولا تطمئن لما نقول.

١٨ ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب...﴾ قال لهم: متى كان هذا الذئب حكيما يأكل يوسف ولا يخرق القميص ﴿قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا﴾ أى: زينت وسهلت أمرًا شنيعا صنعتموه بأخيكم ﴿فصبر جميل﴾ هو الذى لا شكوى معه ﴿والله المستعان﴾ أى: أطلب منه العون ﴿على ما تصفون﴾ أى: على إظهار حال ما تصفون من الكذب.

١٩ ﴿وجاءت سيّارة...﴾ رفقة مارة تسير من الشام إلى مصر ﴿فأرسلوا واردهم﴾ أى من يرد لهم الماء ﴿فأدلى دلوه﴾ ليملأه ﴿قال يا بشرى هذا غلام﴾ والسياق يتحدث عن مصير يوسف ﴿وأسروه بضاعة﴾ أى اعتبروه بضاعة وعزموا على بيعه رقيقا (أى عبدًا).

٢٠ ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة...﴾ وكانوا يتعاملون مع القليل من الدراهم بالعد وفي الكثير بالوزن ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ لأنهم يريدون التخلص من تهمة استرقاقه وبيعه...

الدرس الثانى
(المحنة الثانية)
(كيد النساء)
من الآية (٢١) إلى الآية (٣٤)
مدة الحفظ: يومان.

٢١, ٢٢ ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه...﴾ والمثوى مكان المبيت والإقامة والمقصود إكرامه ويكشف الرجل لامرأته عما يتوسمه فى الغلام من خير وما يتطلع إليه فيه من أمل: ﴿عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾.. ولعلهما لم يكن لهما أولاد وهنا يقف السياق لينبه إلى أن هذا التدبير من الله.. وبه وبمثله قدر ليوسف التمكين فى الأرض: ﴿وكذلك مكّنّا ليوسف في الأرض ولنعلّمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره﴾ ولقد نفذ أمر الله ليوسف وها هم إخوته لا يملكون من أمرهم شيئًا ﴿ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون﴾ أمره هو الذى يكون. ﴿ولنعلّمه من تأويل الأحاديث﴾ وقد تحقق حين بلغ أشده: ﴿ولمّا بلغ أشدّه آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾ وذلك جزاؤه، جزاء إحسانه فى الاعتقاد، وإحسانه فى السلوك ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾.

معاني الكلمات:

وأجمعوا: عزموا وصمموا

نستبق: نتسابق

واردهم: من يتقدم ليستقى لهم.

فأدلى دلوه: أرسلها فى البئر ليملأها ماء

بضاعة: متاعًا للتجارة

وأسروه: أخفوه

وشروه: باعوه.

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ
وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤ وَٱسۡتَبَقَا
ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ
قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ٢٥ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ
أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ
هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ
٢٩ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠

٢٣ ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه... ﴾ ومن هنا تبدأ المحنة الثانية فى حياته، وهى أشد وأعمق من المحنة الأولى والآن نشهد ذلك المشهد العاصف الخطير المثير. وروادته بمعنى: الإرادة والطلب برفق ولين. وقد يخص بمحاولة الوقاع ﴿ التي هو في بيتها ﴾ هى امرأة العزيز، واسمها -فيما قيل- زليخا.

﴿ وقالت هيت لك ﴾ ولا بد كانت هناك إغراءات شتى خفيفة لطيفة قبل هذه المفاجأة الغليظة العنيفة: ﴿ قال معاذ الله ﴾ أعيذ نفسى بالله أن أفعل... ﴿ إنه ربي أحسن مثواي ﴾ وأكرمنى ونجانى من الجب وجعل هذه الدار مثواى الطيب الآمن... ﴿ إنه لا يفلح الظالمون ﴾ فيرتكبون ما تدعيننى اللحظة إليه. والنص هنا واضح وقاطع فى أن رد يوسف المباشر على المراودة السافرة كان هو التأبى المصحوب بتذكر نعمة الله.

٢٤ ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه... ﴾ لقد حصر جميع المفسرين القدامى والمحدثين نظرهم فى تلك الواقعة الأخيرة. فمنهم من سار وراء الإسرائيليات ورووا أساطير كثيرة يصورون فيها يوسف هائج الغريزة مندفعا شبقا.. وأما جمهور المفسرين فساروا على أنها همت به هم الفعل، وهم بها هم النفس، ثم تجلى له برهان ربه فترك... ويقول صاحب الظلال يرحمه الله الأستاذ سيد قطب (أما الذى خطر لى وأنا أراجع النصوص هنا أن قوله تعالى: ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾.. فذكر طرفى الموقف بين الاعتصام فى أوله والاعتصام فى نهايته، مع الإلمام بلحظة الضعف بينهما ليكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف جميعا. نعم إنه بشر مختار.

﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ فأراه الله برهانا منه وليصرف عنه خيانة العزيز فى أهل بيته ﴿ والفحشاء ﴾ الزنى ﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾ ممن استخلصه الله للرسالة فعصمه من الوقوع فى المعصية.

٢٥/ ٢٩ ﴿ واستبقا الباب... ﴾ أى تسابقا إليه ﴿ وألفيا سيدها لدا الباب ﴾.. فتجد الجواب حاضرًا ﴿ قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا ﴾ ولكنها تعشق وتخشى عليه فتثير العقاب المأمون ﴿ إلا أن يسجن أو عذاب أليم ﴾ ويجهر يوسف بالحقيقة فى وجه الاتهام الباطل. ﴿ قال هي راودتني عن نفسي ﴾ وهنا يذكر السياق أن أحد أهلها حسم بشهادته فى هذا النزاع ﴿ وشهد شاهد من أهلها ﴾ ﴿ إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ﴾ أى من أمامه ﴿ وإن كان قميصه قد من دبر ﴾ أى من ورائه ﴿ فكذبت ﴾ فى دعواها عليه ﴿ وهو من الصادقين ﴾ فى دعواه عليها ﴿ فلما رأى ﴾ أى العزيز ﴿ قميصه ﴾ أى قميص يوسف ﴿ قد من دبر ﴾... تبين له حسب الشهادة المبنية على المنطق أنها هى التي راودته.. وهى التى دبرت الإتهام ﴿ قال إنه من كيدكن ﴾ يا معشر النساء ﴿ إن كيدكن عظيم ﴾ والكيد: المكر والحيلة.
﴿ يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾ والمعنى أن يا يوسف أهمل هذا الأمر ولا تعره اهتماما وهذا هوالمهم محافظة على الظواهر!! ويعظ المرأة بالاستغفار!!

٣٠ ﴿ وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ﴾ ولأول مرة يكشف أن هذه المرأة هى امرأة عزيز مصر -أى كبير وزرائها- ﴿ قد شغفها حبا ﴾ فهى مفتونة به... ﴿ إنا لنراها في ضلال مبين ﴾ وهى السيدة الكبيرة زوجة السيد الكبير، تفتتن بفتاها العبرانى المشترى.

معانى الكلمات: هيت لك: أقبل
وهم بها: أى بدفعها عنه
وقدت قميصه: قطعته
وألفيا سيدها: وجدا زوجها

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ
كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن
نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا
مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ
إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
(٣٣) فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥) وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ
إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ
رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ (٣٧)

٣١/ ٣٤ ﴿فلمّا سمعت بمكرهن...﴾ أى لما سمعت امرأة العزيز بغيبتهن إياها ﴿أرسلت إليهن﴾ أى: تدعوهن إليها لينظرن إلى يوسف حتى يقعن فيما وقعت فيه ﴿وأعتدت لهن متكأ﴾ أى هيأت لهن أنها أقامت لهن مأدبة فى قصرها. وندرك من ذلك أنهن كن من نساء الطبقة الراقية!! ﴿اخرج عليهن﴾ ﴿فلمّا رأينه أكبرنه﴾ أعظمنه ودهشن وراعهن حسنه حتى اضطربت أيديهن، فوقع القطع عليها وهن فى شغل عن ذلك ﴿وقلن حاش لله﴾ وهى كلمه تنزيه تقال فى هذا الموضع.. ﴿ما هذا بشرا إن هذا إلاّ ملك كريم﴾ ورأت المرأة أنها انتصرت على نساء طبقتها فقالت قولة المرأة المنتصرة ﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ ثم تظهر سيطرتها عليه أمامهن في تبجح المرأة من ذلك الوسط: ﴿ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ وإذا بيوسف يناجي ربه: ﴿قال رب السجن أحب إليّ ممّا يدعونني إليه﴾ فهن جميعا كن مشتركات فى الدعوة.. ويدعو الله: ﴿وإلاّ تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾ هى دعوة الإنسان العارف ببشريته. الذى لا يتغير بعصمته: ﴿فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾ وهذا الصرف قد يكون بإدخال اليأس في نفوسهم من استجابته لهن أو بزيادة انصرافه عن الإغراء.. أو بهما جميعا ﴿إنه هو السميع العليم﴾ الذى يسمع ويعلم الدعاء... وهكذا اجتاز يوسف محنته الثانية بلطف الله ورعايته، وانتهت بهذه النجاة.. الحلقة الثانية من قصته المثيرة.

الدرس الثالث

(المسجون البرئ)

من الآية (٣٥) إلى الآية (٥٣)

مدة الحفظ: يومان.

٣٥ ﴿ثمّ بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ وهكذا جو القصور، وجو الحكم المطلق، وجو الأوساط الأرستقراطية، وجو الجاهلية، فبعدما رأوا الآيات الناطقة ببراءة يوسف، بدا لهم أن يسجنوه وهنا لا بد أن تحفظ سمعة (البيوتات)! يسجن فتي برئ، كل جريمته أنه لم يستجب.

٣٦, ٣٧ ﴿ودخل معه السجن فتيان...﴾ سنعرف بعد أنهما من خدم الملك الخواص ﴿قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا﴾ أى: رأيت نفسى فى المنام أعصر العنب لأضع منه خمرا ﴿وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنّا نراك من المحسنين﴾ ويكسب يوسف ثقتهما منذ اللحظة الأولى بقدرته على تأويل رؤياهما، كما يكسب ثقتهما كذلك لدينه ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلاّ نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما﴾ لا يأتيهما إلى السجن طعام إلا أخبرهما بماهيته قبل أن يأتيهما، ومعنى ترزقانه: يجرى عليهما من جهة الملك أو غيره ﴿إلاّ نبأتكما بتأويله﴾ بينت لكما ماهيته وكيفيته قبل أن يأتيكما ﴿ذلكما﴾ أى: التأويل ﴿ممّا علّمني ربي﴾ بما أوحاه إلى وألهمنى إياه لا من قبيل الكهانة والتنجيم ﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله﴾ ملة ملك مصر وغيره.

معاني الكلمات:

قطّعن أيديهن: خدشنها بالسكاكين

أصب إليهن: أميل إلى إجابتهن.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ
ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ
﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ
أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ
مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى
ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ
﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

٣٨/ ٤٢ ﴿واتَّبعتُ ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نُشرك بالله من شيء...﴾ فهى ملة التوحيد الخالص ﴿ذلك من فضل الله علينا﴾ ولطفه بنا بما جعله لنا من النبوة المتضمنة للعصمة عن معاصيه ﴿و﴾ من فضل الله ﴿على النَّاس﴾ كافة ببعثة الأنبياء إليهم وهدايتهم إلى ربهم وتبين طرائق الحق لهم ﴿ولكنَّ أكثَر النَّاسِ لا يشكُرون﴾ الله سبحانه على نعمه ﴿يا صاحبي السِّجن أأرباب متفرِّقون خيرٌ أم اللهُ الواحدُ القهَّار﴾ المراد: يا صاحبى في السجن: هل الأرباب المتفرقون فى ذواتهم، المختلفون فى صفاتهم، المتنافون فى عددهم، خير لكما؟ أم الله المعبود بحق... وقيل: إنه كان بين أيديهما أصنام يعبدونها عندما خاطبهما بهذا الخطاب. ﴿ما تعبُدون من دونه إلاَّ أسماء سمَّيتموها﴾ أى إلا مسميات أسماء سميتموها ﴿أنتم وآباؤكم﴾ من تلقاء أنفسكم ﴿مَّا أنزل اللهُ بها من سلطان﴾ أى من حجة تدل على صحتها ﴿إنِ الحُكْمُ إلاَّ للَّه﴾ أي لا يحكم فى الخلق إلا الله ﴿ذلك﴾ أى تخصيصه بالعبادة ﴿الدّين القَيِّم﴾ أى المستقيم الثابت ﴿ولكنَّ أكثر النَّاس لا يعلمون﴾ أن ذلك هو دينه القويم، وصراطه المستقيم ﴿السجن أمَّا أحدُكما﴾ هو الساقى ﴿فيسقي ربَّه خمرًا﴾ فكأنه قال: أما أنت أيها الساقى فستعود إلى ما كنت عليه، ويدعو بك الملك ويطلقك من الحبس ﴿وأمَّا الآخر﴾ وهو الخباز ﴿فيصلب فتأكلُ الطَّير من رَّأسه﴾ تعبيرا لما رآه من أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه ﴿قُضي الأمرُ الَّذي فيه تستفتيان﴾ وهو ما رأياه وقصاه عليه.

وانتهى فهو كائن كما قضاه الله.. وأحب يوسف أن يبلغ أمره إلى الملك ليفحص عن الأمر: ﴿وقال للَّذي ظنَّ أنَّه ناجٍ مِّنهما اذكُرني عند ربِّك﴾ اذكر حالى ووضعى عند سيدك وحاكمك. أى: يصف ما شاهده منه من جودة التعبير والاطلاع على شئ من علم الغيب لينتبه إليه الملك ويعرف ما وقع عليه من ظلم ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾.. ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ وقد شاء ربه أن يعلمه كيف يقطع الأسباب كلها ويستمسك بسببه وحده. والبضع: ما بين الثلاث إلى التسع.

٤٣ ﴿وقال الملكُ...﴾ هو الملك الأكبر الذى كان العزيز وزيرًا له ﴿إنِّي أرىٰ﴾ أى رأيت فى المنام ﴿سبع بقرات سمان﴾ فى أثرهن ﴿سبع عجافٌ﴾ أى مهازيل وقد أقبلت العجاف على السمان فأكلتهن ﴿وسبع سنبلات خضر﴾ قد انعقد حبها ﴿وأُخر يابسات﴾ كان قد رأى أن السبع السنبلات اليابسات قد أدركت الخضر والتوت عليها حتى غلبتها ﴿يا أيُّها الملأُ﴾ خطاب للأشراف من قومه ﴿أفْتوني في رءياي﴾ أى: أخبروني بحكم هذه الرؤيا ﴿إن كنتم للرءيا تعبرون﴾ أى: تفسرونها.

معاني الكلمات:
الدّين القيِّم: المستقيم
عجافٌ: مهازيل جدًا
أضغاثُ أحلام: أباطيلها.

قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ
فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ
سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى
بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ
ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

٤٤ ﴿قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين...﴾ أضغاث أحلام أى أخلاط أحلام مضطربة.

٤٥ ﴿وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمّة...﴾ أى تذكر الساقى يوسف وما شاهده منه من العلم بتعبير الرؤيا ﴿بعد أمّة﴾ بعد حين، وهى مجموع السنين التي قضاها يوسف فى السجن ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾ أى أخبركم به بسؤالى عنه من له علم بتأويله، وهو يوسف ﴿فأرسلون﴾ طلب أن يرسله إلى يوسف ليقص عليه الرؤيا فيعود بتأويلها إلى الملك.

٤٦ ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا...﴾ عن رؤيا الملك ﴿لعلّي أرجع إلى النّاس﴾ أي إلي الملك ومن عنده من الملأ ﴿لعلّهم يعلمون﴾ تأويل هذه الرؤيا، ويعلمون فضلك ومعرفتك لفن التفسير.

٤٧ ﴿قال تزرعون سبع سنين دأبا...﴾ أى متوالية متتابعة، فعبر يوسف عليه السلام السبع البقرات السمان بسبع سنين فيها خصب، والعجاف بسبع سنين فيها جدب ﴿فما حصدتم فذروه في سنبله﴾ أى ما حصدتم فى كل سنة من السنين المخصبة فاتركوا ذلك المحصود فى سنبله، ولا تفصلوه عنها لئلا يأكلها السوس.

٤٨ ﴿ثم يأتي من بعد ذلك...﴾ أي من بعد السبع السنين المخصبة ﴿سبع شداد﴾ أى من سنين مجدبة يصعب أمرها على الناس ﴿يأكلن ما قدّمتم لهنّ﴾ من تلك الحبوب المتروكة فى سنابلها ﴿إلاّ قليلا ممّا تحصنون﴾ تحبسون من الحب، وتصونونه من التهامها.

٤٩ ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يغاث النّاس وفيه يعصرون﴾ .. أى ثم تنقضى هذه السنوات العجاف المجدبة ويعقبه عام رخاء وتنمو كرومهم فيعصرونها خمراً وسمسمهم وخسهم وزيتونهم فيعصرونه زيتًا.

٥٠ ﴿وقال الملك ائتوني به...﴾

وهنا ينتقل السياق إلى المشهد التالى: ويرفع الستار مرة أخرى على مجلس الملك... ويرد يوسف على رسول الملك وهو الذى طال عليه السجن لا يستعجل الخروج ﴿فلمّا جاءه الرّسول قال ارجع إلى ربك فاسألْه ما بال النّسوة اللاّتي قطّعن أيديهن إنّ ربّي بكيدهن عليم﴾ .. فهو واثق من نفسه، واثق من براءته مطمئن إلى أن الحق لا يخفى طويلاً، ولا يخذل طويلاً.

٥١ ﴿قال ما خطبكنّ إذ راودتنّ يوسف عن نفسه...﴾ وفى مثل هذه المواجهة بالاتهام فى حضرة الملك، يبدو أنه لم يكن هنالك مجال للإنكار ﴿قلن حاش للّه ما علمنا عليه من سوء﴾ فقد كان أمر يوسف اذن من النصاعة والوضوح بحيث لا يقوم فيه جدال.

وهنا تتقدم المرأة المحبة ليوسف لتقول كل شئ بصراحه: ﴿قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنّه لمن الصّادقين﴾ وزادت... ويبدو أن عقيدة يوسف قد أخذت طريقها إلى قلبها فآمنت.

٥٢ ﴿ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب وأنّ اللّه لا يهدي كيد الخائنين﴾ شهادة كاملة بنظافة وبراءة وصدق يوسف.

ولا تبالى المرأة مما يلم بها هى

معاني الكلمات:

وادّكر بعد أمّة: تذكر دأبا: دائبين

يغاث النّاس: يمطرون فتخصب أراضيهم

ما خطبكنّ؟: ما شأنكن وأمركن؟

حصحص الحق: ظهر وانكشف.

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ
ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ
أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا
كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ
﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ
فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

٥٣ ﴿وما أُبرِّئُ نفسي...﴾ من كلام يوسف ﴿إنَّ النَّفس لأمَّارة بالسُّوء﴾ وذلك لميلها إلى الشهوات وتأثيرها بالطبع، وصعوبة قهرها ﴿إلاَّ ما رحِم ربِّي﴾ فعصمها عن الوقوع فى المعصية.

الدرس الرابع:
(الدعوة الملكية)
من الآية (٥٤) إلى الآية (٧٩)
مدة الحفظ: ٣ أيام.

٥٤/ ٥٧ ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي...﴾ ليجعله بمكان المستشار .. ﴿فلمَّا كلَّمهُ قال إنَّك اليوم لدينا مكينٌ أمينٌ﴾ أنه لم يسجد شكرًا للملك كما يفعل رجال الحاشية المتخلفين! كلا إنما طالب بما يعتقد أنه قادر على أن ينهض به من أعباء ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليم﴾ إن الأزمة القادمة فى حاجة إلى الخبرة وحسن التصرف.. ﴿وكذلك مكَّنَّا ليُوسُف في الأرض﴾ جعلنا له مكانة هى قدرته ونفوذ أمره ونهيه، حتى صار الملك يصدر عن رأيه ﴿يتبوأُ منها حيثُ يشاءُ﴾ كما يتصرف الرجل فى منزله ﴿نُصيبُ برحمتنا من نَّشاءُ﴾ من العباد فنرحمه فى الدنيا بالإحسان إليه والإنعام عليه ﴿ولا نُضيعُ أجر المُحسنين﴾ كما صنع بيوسف لما صبر على بلاء الله، وعف عند الفتنة لوجه الله مراقبة له.. ودارت عجلة الزمن وطوى السياق دوراتها... كأن هذه كلها أمور مقررة بقوله: ﴿إنِّي حفيظٌ عليمٌ﴾ وكذلك لم يبرز السياق لا الملك ولا أحدًا من رجاله بعد ذلك فى السورة كلها كأن الأمر كله قد صار ليوسف، أما فعل الجدب فقد أبرزه السياق فى مشهد أخوة يوسف.

٥٨/ ٦٢ ﴿وجاء إخوةُ يُوسُف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون...﴾ فهم لم يتغيروا كثيرًا أما يوسف فإن خيالهم لا يتصور قط أنه هو ذاك! وتدرك من السياق أنه أنزلهم منزلاً طيبًا، ثم أخذ فى إعداد الدرس الأول: ﴿ولمَّا جهَّزهم بجهازهم قال ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم﴾ فنفهم من ذلك أنه تركهم يأنسوا إليه واستدرجهم حتى ذكروا له من هم على وجه التفصيل. ثم قال لا خوف على أخيكم سيلقى منى الإكرام المعهود ﴿ألا ترون أنّي أوفي الكيل وأنا خير المنزلين﴾... فاظهروا له أن الأمر ليس ميسورًا: ﴿قالوا سنُراودُ عنهُ أباهُ وإنَّا لفاعلون﴾... ولفظ نراود يصور الجهد الذى يعلمون أنهم باذلوه.. أما يوسف فقد أمر غلمانه أن يدسوا البضاعة التى حضر بها إخوته ليستبدلوا بها القمح، لعلهم يعرفون حين يرجعون أنها بضاعتهم التى جاءوا بها: ﴿وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ ﴿لعلهم يرجعون﴾.

٦٣ ﴿فلمَّا رجعوا إلى أبيهم...﴾ وندع يوسف فى مصر لنشهد يعقوب وبنيه فى أرض كنعان ﴿قالوا يا أبانا منع منَّا الكيل﴾ أى: منع الكيل فى المستقبل، ثم ذكروا له ما أمرهم به يوسف، فقالوا ﴿فأرسل معنا أخانا﴾ بنيامين ﴿نكتل﴾ بسبب إرساله معنا ما نريده من الطعام. أى إن أرسلته اكتلنا، وإلا منعنا الكيل ﴿وإنَّا له﴾ أى لأخيهم بنيامين ﴿لحافظون﴾ من أن يصيبه سوء أو مكروه.

معاني الكلمات:
جهَّزهم بجهازهم: أعطاهم ما هم فى حاجة إليه

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن
قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟
مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا
مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ
أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ
أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ
﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ
مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا
لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا
دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ
لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ
إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

٦٤/ ٦٨ ﴿قال هل آمنكم عليه إلاَّ كما أمنتكم على أخيه من قبل...﴾ فخلونى من وعودكم وخلونى من حفظكم ﴿فالله خير حافظًا وهو أرحم الرَّاحمين﴾ وبعد أن استقروا من المشوار، واستراحوا من السفر، فتحوا أوعيتهم ليخرجوا ما فيها من غلال فإذا هم يجدون فيها بضاعتهم ولم يجدوا غلالاً.

إن يوسف لم يعطهم قمحًا، إنما وضع لهم بضاعتهم فى رحالهم واعتبروا ذلك دليلاً على أنهم غير باغين فيما يطلبون من استصحاب أخيهم ولا ظالمين ﴿ولمَّا فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم﴾.. ثم أخذوا يخرجونه بالتلويح له بمصلحة أهلهم الحيوية فى الحصول على الطعام.

﴿ونمير أهلنا﴾ والميرة.. الزاد ﴿ونحفظ أخانا﴾ ويؤكدون حفظهم لأخيهم ﴿ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾ واستسلم الرجل على كره ﴿قال لن أرسله معكم حتَّى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلاَّ أن يحاط بكم﴾ إلا ذا غلبتم على أمركم غلبًا لا حيلة لكم فيه فأقسموا: ﴿فلمَّا آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل﴾ زيادة فى التوكيد والتذكير وبعد هذا الموثق جعل الرجل يوصيهم بما خطر له فى رحلتهم القادمة ومعهم الصغير العزيز: ﴿وقال يا بنيَّ لا تدخلوا من باب واحد﴾ خاف عليهم أبوهم. وقيل خوفا من أن تصيبهم العين ﴿وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ فذلك أحرى أن تسلموا ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾ أى لا أدفع عنكم ضررًا ولا أجلب إليكم نفعًا بتدبيرى هذا، إن كان الله عز وجل يريد ألا ينفعكم به ﴿إن الحكم إلاَّ لله﴾ أى اعتمدت ووثقت ﴿وعليه فليتوكل المتوكلون﴾.

٦٩ ﴿ولمَّا دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه...﴾ فلنطو نحن الوصية والرحلة كما طواها السياق، لنلتقى بأخوة يوسف في هذا المشهد ﴿قال إنّي أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ ونجد السياق يعجل بضم يوسف لأخيه فى المأوى ويطوى السياق كذلك فترة الضيافة، وما دار فيها بين يوسف وإخوته عندما أفاض عليهم الصلة والألطاف والإحسان، واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه وما جرى له، وعرفه أنه أخوه، وقال له: لا تبتئس، أى لا تأسف على ما صنعوا بى، وأمره بكتمان ذلك عنهم، وأن لا يطلعهم على ما أطلعه عليه من أنه أخوه، وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يبقيه عنده معززا مكرما معظما.

معاني الكلمات:

متاعهم: طعامهم

رحالهم: أوعيتهم

ما نبغي: ما نطلب

ونمير أهلنا: نجلب لهم الطعام

موثقًا: عهدا

آوى إليه أخاه: ضم إليه أخاه

فلا تبتئس: فلا تحزن.

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟
عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

٧٠/٧٦ ﴿فلمّا جهزهم بجهازهم جعل السّقاية في رحل أخيه...﴾ تنفيذًا لتدبير خاص ألهمه الله له وسنعلمه بعد قليل. ثم ينادى مناد بصوت مرتفع، فى صنيعة إعلان عام وهم منصرفون ﴿أيّتها العير إنّكم لسارقون﴾ فيرتاع إخوة يوسف لهذا النداء الذى يتهمهم بالسرقة وهم أبناء يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم - فيعودون أدراجهم يتبينون الأمر المريب: قالوا - واقبلوا عليهم- ﴿ماذا تفقدون﴾ قال الغلمان الذين يتولون تجهيز الرحال ﴿قالوا نفقد صواع الملك﴾ وأعلن المؤذن أن هناك مكافأة لمن يحضره متطوعا: ﴿ولمن جاء به حمل بعير﴾ من القمح ﴿وأنا به زعيم﴾.. أى كفيل، ولكن القوم مستيقنون من براءتهم ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾ فنحن لا نجترح هذا. قال الغلمان أو الحراس ﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾ فيما تدعونه من البراءة عن السرقة. ﴿قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه﴾ وكان حكم السارق فى آل يعقوب أن يؤخذ السارق عبدًا لمن سرق منه سنة ﴿كذلك نجزي الظّالمين﴾ لغيرهم من الناس بسرقة أمتعتهم.

كل هذا الحوار كان على منظر ومسمع من يوسف. فأمر بالتفتيش وحتى لا يثير شبهة فى نتيجة التفتيش ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾ دفعا للتهمة وسترا لما دبره من الحيلة ﴿ثمّ استخرجها﴾ أى: السقاية، أو الصواع ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ علمناه وأوحينا إليه الكيد، ونهايته إلقاء المخدوع من حيث لا يشعر فى أمر مكروه لا سبيل إلى دفعه. ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ فيدبر مثل هذا التدبير الذى رأيناه ويتضمن التعقيب الإشارة إلى ما ناله يوسف من رفعة ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ وإلى ما ناله من علم مع التنبيه إلى أن علم الله هو الأعلى: ﴿وفوق كلّ ذي علم عليم﴾ وهو احتراس لطيف دقيق.

٧٧ ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل...﴾ ! لقد قذفوا بها يوسف وأخاه! ﴿فأسرّها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾.. فهو يعلم براءته وبراءة أخيه إنما قال لهم ﴿قال أنتم شرّ مكانا﴾ يعنى أنكم بهذا القذف شر مكانًا عند الله من المقذوف - وهى حقيقة لا شتمة. ﴿والله أعلم بما تصفون﴾... وبحقيقة ما تقولون.

٧٨ ﴿قالوا يا أيها العزيز إنّ له أبا شيخا كبيرا...﴾ وعندئذ عادوا إلى الموقف المحرج الذى وقعوا فيه. عادوا إلى موثقهم الذى أخذه عليهم أبوهم ﴿فخذ أحدنا مكانه إنّا نراك من المحسنين﴾ أى يبقى لديك، فإن له منزلة فى قلب أبيه ليست لواحد منا فلا يتضرر بفراق أحدنا كما يتضرر بفراق «بنيامين» فإنا نراك من المحسنين إلى الناس كافة وإلينا خاصة، فتمم إحسانك إلينا بإجابتنا إلى هذا المطلب.

معاني الكلمات:

العير: القافلة

كدنا ليوسف: دبرنا

صواع الملك: مكياله

دين الملك: شريعة ملك مصر.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ
إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم
مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ
ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ
﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ
﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾
قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى
وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

٧٩ ﴿قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده...﴾ فيوسف يريد أن يلقى عليهم درسًا وكان يريد أن يشوقهم إلى المفاجأة ويختم كلامه ﴿إنا إذا لظالمون﴾ وما نريد أن نكون ظالمين.. وكانت هى الكلمة الأخيرة فى الموقف. وعرفوا أن لا جدوى بعدها من الرجاء، فانسحبوا يفكرون فى موقفهم المحرج أمام أبيهم حين يرجعون.

الدرس الخامس
(المفاجأة الكبرى)
من الآية ٨٠ إلى الآية ١٠١
مدة الحفظ: ٣ أيام.

٨٠/ ٨٢ ﴿فلما استيأسوا منه...﴾ يئس أخوة يوسف من محاولة تخليص أخيهم الصغير، فانصرفوا من عنده وعقدوا مجلسًا يتشاورون فيه ﴿قال كبيرهم﴾ قيل هو روبيل وقيل: هو شمعون لأنه رئيسهم ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله﴾ أى: عهدًا بالله فى حفظ ابنه ورده إليه ﴿ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾ وتعلمون ما فعلتم فى يوسف ﴿فلن أبرح الأرض﴾ أرض مصر، ولا أزال مقيما فيها ﴿حتى يأذن لي أبي﴾ فى مفارقتها والخروج منها أو يقضى الله له وينصاع أما هم فقد طلب إليهم أن يرجعوا إلى أبيهم فيخبروه صراحة بأن ابنه سرق فأخذ بما سرق. وليسأل فهم لم يكونوا وحدهم فالقوافل شاهدة أيضا ﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق﴾ وليؤكدوا كلامهم ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾.

٨٣/ ٨٦ ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا...﴾ ويطوى السياق الطريق بهم حتى يقفهم فى مشهد أمام أبيهم المفجوع ويخبروه فيكون هذا رده ويعقب ﴿فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا﴾ والصبر الجميل هو الذى لا يبوح صاحبه بالشكوى، بل يفوض أمره إلى الله ويسترجع فلعل الله أن يأتينى بيوسف وبنيامين والأخ الثالث الباقي في مصر. ﴿إنه هو العليم الحكيم﴾.. الذى يعلم حاله ويعلم ما وراء الأحداث والامتحانات، ويأتى بكل أمر فى وقته المناسب.

﴿وتولى عنهم﴾ أعرض وقطع الكلام معهم وهى صورة مؤثرة للوالد المفجوع وأخذ يندب فجيعته فى ولده الحبيب يوسف والذى تذكره به نكبته الجديدة فى أخيه الأصغر فتغلبه على صبره الجميل: ﴿يا أسفى على يوسف﴾ ويكظم الرجل حزنه ويتجلد فيؤثر هذا الكظم فى أعصابه حتي تبيض عيناه حزنًا وكمدًا ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ ويبلغ الحقد بقلوب بنيه ألا ير[حـ]ـموا ما به، وأن يلسع قلوبهم حنينه ليوسف وحزنه عليه حتى إنهم يريدون ليطمسوا فى قلبه الشعاع الأخير: ﴿قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين﴾ وهى كلمة حانقة مستنكرة... ﴿قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ أعلم من لطفه، وإحسانه، وثوابه على المصيبة. وقيل: أراد علمه بأن يوسف حى، وقيل: أراد علمه بأن رؤياه صادقة.

معاني الكلمات:

استيأسوا منه : يئسوا منه
ما فرطتم : قصرتم — تفتأ : تزال
خلصوا نجيا : انفردوا متناجين
كظيم : ممتلئ من الغيظ
تكون حرضا : تكون مريضًا.

يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَسُواْ
مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ
﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ
وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ
إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ
لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا
وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ
ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾
ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا
وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

٨٧/ ٨٨ ﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه...﴾ ويوجههم هنا إلى تلمس يوسف وأخيه وألا ييأسوا من روح الله ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ فيا للقلب الموصول!!

أن المؤمن لفى روح من ظلال إيمانه، وفى أنس من صلته بربه، وفى طمأنينة من ثقته بمولاه، وهو فى مضايق الشدة ومخانق الكروب. ﴿فلما دخلوا عليه﴾ ويدخل إخوة يوسف مصر للمرة الثالثة وقد أضرت بهم المجاعة، ونفدت منهم النقود، وجاءوا ببضاعة رديئة هى الباقية لديهم يشترون بها الزاد.. ﴿قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾ أى المرض فى أنفسنا وفى أهلنا، لشدة ما نحن فيه من قلة الأمطار والجوع والحاجة ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ بضاعة تدفع ولا يقبلها التجار لقلتها ورداءتها ﴿وتصدق علينا﴾.. وهنا لا تبقى فى يوسف قدرة على المضى فى تمثيل دور العزيز... فقد انتهت الدروس وحان وقت المفاجأة الكبرى.

٨٩/ ٩٢ ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه...﴾ ولم يذكر أباه يعقوب وما دخل عليه من الغم بفراقه تعظيما له ورفعا من قدره ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ ورن فى آذانهم صوت لعلهم يذكرون شيئا من نبراته.. والتمع فى نفوسهم خاطر من بعيد: ﴿قالوا أئنك لأنت يوسف﴾ فالآن تدرك قلوبهم وجوارحهم وآذانهم ظلال يوسف الصغير فى ذلك الرجل الكبير ﴿قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا﴾ بالخلاص ورفعة القدر، اعترف لله بفضله العظيم عليه وعلى أخيه ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا﴾ أى: لقد اختارك وفضلك علينا بما خصك به من صفات الكمال ﴿وإن كنا لخاطئين﴾ والخاطئ: من تعمد ما لا ينبغى، علموا أنه لا بد لهم من الاعتراف بأخطائهم القديمة ﴿قال لا تثريب عليكم﴾ أى: لا تعبير ولا توبيخ: ولا لوم عليكم، ولكم عندى الصفح والعفو، عند اعترافكم بالذنب، ثم دعا لهم بقوله ﴿اليوم يغفر الله لكم﴾ لا مؤاخذة ولا تأنيب اليوم فقد انتهى الأمر من نفسى ولم تعد له جذور والله يتولاكم بالمغفرة ﴿وهو أرحم الراحمين﴾.

٩٣/ ٩٥ ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا...﴾ كيف عرف يوسف أن رائحته سترد على أبيه بصره الكليل؟ ذلك مما علمه الله. والمفاجأة تصنع فى كثير من الحالات فعل الخارقة، ومنذ اللحظة نحن أمام مفاجأة، حتى تنتهى مشاهدها المثيرة بتأويل رؤيا الصبى الصغير ﴿ولما فصلت العير﴾ أى خرجت منطلقة من مصر إلى الشام وفارقت العامر من مدينة مصر ﴿قال أبوهم﴾ أى يعقوب لمن عنده فى أرض كنعان من أهله ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ رائحته ﴿لولا أن تفندون﴾ لولا أن تنسبونى إلى الخرف وهو ذهاب العقل من الهرم. ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ لأن المحيطين بيعقوب لم يكن لهم ما له عند ربه، فلم يجدوا ما وجد من رائحة يوسف!

معانى الكلمات:
بثي: غمى وهمى
روح الله: رحمته وفرجه
ببضاعة مزجاة: زهيدة كاسدة

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟
لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ
رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ
قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى
مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

٩٦/ ٩٨ ﴿فلمّا أن جاء البشيرُ ألقاهُ علىٰ وجهه فارتدَّ بصيرا...﴾ عاد إلى صحة بصره ﴿قال ألمْ أقل لَكُمْ﴾ أنى لأجد ريح يوسف فقلتم ما قلتم ﴿إنّي أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ فهو يذكر هنا حقيقة ما بعلمه من ربه. تلك التى حدثهم بها من قبل فلم يفهموه ﴿قالُوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين﴾ وهم هنا اعترفوا بالذنب فوعدهم بما طلبوه منه ﴿قال سوف أستغفرُ لكُم ربّي﴾ قال الزجاج: أراد يعقوب أن يستغفر لهم فى وقت السحر، لأنه أخلق بإجابة الدعاء، ولم يعجل بالدعاء، ليعظم جريمتهم، فأراد أن يخلص لله الدعاء ويتحرى ساعة الإجابة شفقة على أولاده لعل الله أن يتجاوز عنهم.

٩٩/ ١٠٠ ﴿فلمّا دخلُوا علىٰ يوسُف آوىٰ إليه أبويه وقال ادْخلُوا مصر إن شاء اللهُ آمنين﴾ وهذا هو المشهد النهائى المؤثر المثير. ويذكر رؤياه ويرى تأويلها بين يديه في سجود إخوته له -وقد رفع أبويه على السرير الذى كان يجلس عليه- كما رأى الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين ﴿ورفع أبويه على العرْش﴾ ثم يذكر نعمة الله عليه: ﴿وقد أحسن بي إذْ أخرجني من السّجن﴾ ويذكر لطف الله فى تدبيره لتحقيق مشيئته ﴿إنّ ربّي لطيفٌ لّما يشاءُ﴾ يحقق مشيئتين بلطف ودقة خفية لا يحسها الناس ولا يشعرون بها: ﴿إنّهُ هو العليمُ الحكيمُ﴾..

١٠١ ﴿ربّ قد آتيتني من المُلك...﴾ وهنا يتجه يوسف إلى ربه فى تسبيح الشاكر الذاكر، آتيتنى منه سلطانه ومكانه، وجاهه، وماله ﴿وعلّمتني من تأويل الأحاديث﴾ بإدارك مآلاتها وتعبير رؤاها فذلك من نعمة العلم. ﴿فاطر السّموات والأرض﴾ بكلمتك خلقتها وبيدك أمرها، ولك القدرة عليها وعلى أهلها ﴿أنت وليّي في الدُنيا والآخرة﴾ فأنت الناصر والمعين. رب تلك نعمتك، وهذه قدرتك. ﴿توفّني مُسْلمًا وألحقني بالصّالحين﴾ ويبدو المشهد الأخير مشهد عبد فرد يبتهل إلى ربه أن يحفظ له إسلامه حتى يتوفاه إليه. إنه النجاح المطلق فى الامتحان الأخير.

الدرس السادس

(النهاية)

من الآية ١٠٢ إلى الآية ١١١

مدة الحفظ: (يوم واحد).

١٠٢ ﴿ذلك منْ أنباء الغيْب...﴾ ها هو ذا يعقب على القصة بعد تمامها، ويعطف ختامها على مطلعها فلم تكن موجودًا يا محمد وهم يمكرون بيوسف، وهم يمكرون بأبيهم، وهم يدبرون أمرهم بعد أخذ أخيه... وكذلك ما كان هناك من مكر بيوسف من ناحية النسوة، ومن ناحية رجال الحاشية، وهم يودعونه السجن. كل أولئك مكر ما كنت حاضره ﴿نُوحيه إليْك وما كُنت لديهم إذْ أجمعُوا أمْرهمْ﴾ لتحكى عنه، إنما هو الوحى.

١٠٣ ﴿وما أكْثرُ النّاس ولوْ حرصت بمُؤْمنين...﴾ فلقد كان الرسول ﷺ حريصًا على إيمان قومه، رغبة فى إيصال الخير الذى جاء به إليهم. ولكن الله العليم بقلوب البشر ينهى إليه أن حرصه على إيمانهم لن يسوق الكثرة المشركة إلى الإيمان.

معانى الكلمات:

آوىٰ إليْه أبويْه: ضمهما إليه واعتنقهما

نّزغ الشّيْطانُ: أفسد وأغرى

أجْمعُوا أمْرهُمْ: عزموا على الكيد بيوسف. فاطر: يا مبدع ومخترع

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِ
سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ
اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ
إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ
﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

١٠٤ ﴿وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين...﴾ تذكرهم بآيات الله وتوجه إليها أبصارهم وبصائرهم وهى مبذولة للعالمين. ذكرى. وفائدة عامة شاملة معروضة لمن يريد.

١٠٥ ﴿وكأين من آية في السموات والأرض...﴾ والآيات الدالة على الله ووحدانيته وقدرته، كثيرة، مبثوثة فى تضاعيف الكون، معروضة للأبصار والبصائر فى السموات والأرض، يمرون عليها صباحًا ومساءً آناء الليل وأطراف النهار. وهى ناطقة تكاد تدعو الناس إليها ولكنهم ﴿يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾.

١٠٦ ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون...﴾ مشركون فى قيمة من قيم هذه الأرض. مشركون سببًا من الأسباب. مشركون فى الدينونة لقوة غير قوة الله. مشركون فى رجاء يتعلق بغير الله. مشركون فى تضحية . مشركون فى جهاد. مشركون في عبادة يلحظ فيها وجه مع وجه الله.

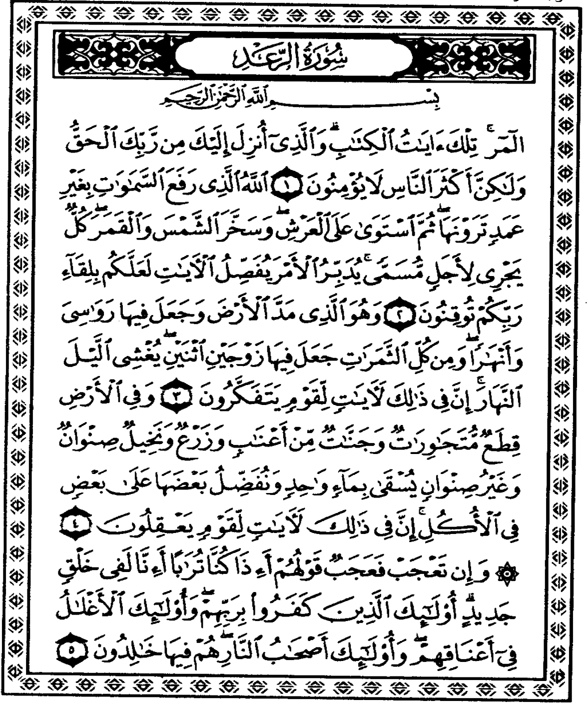
١٠٧ ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله...﴾ وهى لمسة قوية لمشاعرهم، لإيقاظهم من غفلتهم وليحذروا عاقبة هذه الغفلة، وإذا كان هذا هو حالهم فالرسول ﷺ ماض في طريقه.

١٠٨ ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة...﴾ هذه سبيلى واحدة مستقيمة فنحن على هدى ونور وننفصل وننعزل ونتميز عن الذين يشركون بالله ﴿وما أنا من المشركين﴾ لا ظاهر الشرك ولا خافية.

١٠٩ ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى...﴾ لم يكونوا ملائكة ولا خلقا آخر، إنما كانوا بشرًا مثلك ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ فيدركوا أن مصيرهم كمصيرهم.. ﴿ولدار الآخرة خير للذين اتقوا﴾ ... خير من هذه الدار التى ليس فيها قرار ﴿أفلا تعقلون﴾ فتتدبروا سنة الله فى الغابرين؟

١١٠ ﴿حتى إذا استيأس الرسل...﴾ وهنا يصور ساعات الحرج القاسية فى حياة الرسل، قبيل اللحظة الحاسمة التى يتحقق فيها وعد الله، إنها صورة رهيبة، ترسم مبلغ الشدة والكرب ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾... فى هذه اللحظة التى يستحكم فيها الكرب ﴿جاءهم نصرنا﴾ يجئ النصر كاملاً حاسمًا فاصلاً ﴿فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾.

١١١ ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى...﴾ أى ما كان القرآن المشتمل على ذلك حديثا مختلفا ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من الشرائع المنزله كالتوراة والإنجيل والزبور ﴿وتفصيل كل شيء﴾ من الشرائع المجملة المحتاجه إلى تفصيلها والأصول والقوانين ﴿وهدى﴾ فى الدنيا ﴿ورحمة﴾ في الآخرة ﴿لقوم يؤمنون﴾ أى يصدقون به وبما تضمنه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائعه، وقدره وأما من عداهم فلا ينتفع به ولا يهتدى، فلا يستحق ما يستحقونه.



سورة الرعد
الدرس الأول
(الوحي والحق الذي اشتمل عليه)
من الآية (١) إلى الآية (١٨)
مدة الحفظ: (٣ أيام)

١ ﴿المر تلك آيات الكتاب...﴾ آيات هذا الكتاب تدل على الوحي به من عند الله، وهو الحق وحده، وتلك الأحرف آيات على أنه حق ﴿والذي أنزل إليك من ربك﴾ وهو القرآن كله. هو الحق ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بهذا الحق الذي أنزله الله عليك. هذا هو الافتتاح الذي يصور موضوع السورة كله.

٢ ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد...﴾ هذه هي اللمسة الأولى في مجال الكون ويدرك الإنسان أنه ما من أحد يقدر على رفعها بلا عمد -أو حتى بعمد إلا الله ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي: علا على العرش وارتفع، والله أعلم بكيفية ذلك ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ أي: ذللهما لما يراد منهما من منافع الخلق ومصالح العباد ﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ إلى وقت معلوم: وهو فناء الدنيا وقيام الساعة ﴿يدبر الأمر﴾ الأمر كله وهو لا شك عظيم التدبير ﴿يفصل الآيات﴾ وينظمها وينسقها.

٣ ﴿وهو الذي مد الأرض..﴾ بسطها طولاً وعرضًا، وبسطها أمام النظر ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين﴾ الذكر والأنثى، وقد عُلم حديثًا من وجود الجنسين في كل ثمرة ﴿يغشي الليل النهار﴾ أي يلبسه مكانه، فيصير أسود مظلمًا بعدما كان أبيض منيرًا.

٤ ﴿وفي الأرض قطع متجاورات...﴾ متدانيات ترابها واحد، وماؤها واحد ولكنها مع ذلك تنبت أنواعًا مختلفة من الثمار ﴿وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان﴾ والصنوان النخلة لها رأسان وأصلها واحد ﴿يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ فيكون بعض طعمها حلوًا، والآخر حامضا، وهذا في غاية الجودة وهذا ليس بجيد فمن غير الخالق المدبر يفعل هذا أو ذاك!

٥ ﴿وإن تعجب فعجب قولهم...﴾ وبعد الجولة في آفاق الكون الفسيح يعود السياق ليعجب من قوم كأن عقولهم وقلوبهم مقيدة، فلا تنطلق للتأمل، والعجيب أن يسأل قوم بعد هذا العرض الهائل.. ﴿أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد﴾ أنبعث ونعاد؟ ﴿أولئك الذين كفروا بربهم﴾ أولئك المنكرون لقدرته على البعث ﴿وأولئك الأغلال في أعناقهم﴾ فتصرفهم عن الإيمان، فلا يقدرون عليه، وقيل: الأغلال أعمالهم السيئة التي هي لازمة لهم لزوم الأطواق للأعناق.

معاني الكلمات:
بغير عمد: استواء يليق به سبحانه
قطع: بقاع
استوى على العرش: استواء يليق به سبحانه
ونخيل صنوان: نخل يجمعهما أصل واحد
رواسي: جبالاً ثوابت
الأغلال: الأطواق من حديد.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآ
أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ
ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ
بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ
مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ
وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن
وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

٦ ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة..﴾ والمعنى: أنهم طلبوا العقوبة قبل السلامة ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من المكذبين فهم فى غفلة ﴿وإن ربك لذو مغفرة﴾ أى لذو تجاوز عظيم ﴿على ظلمهم﴾ فلا يعاجلهم بالعقوبة ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ يعاقب العصاة المكذبين.

٧ ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه...﴾ إنهم يطلبون خارقة، والخوارق ليست من عمل الرسول ولا اختصاصه ﴿إنما أنت منذر﴾ تنذرهم بالنار ﴿ولكل قوم هاد﴾ أى نبى يدعوهم إلى ما فيه هدايتهم ورشادهم..

٨/١١ ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد...﴾ ومعنى الآية هنا: يعلم الله ما تحمل كل أنثى فى بطنها من علقة أو مضغة، ذكر أو أنثى، صبيح أو قبيح، سعيد أو شقى ﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ ازدياد حجم الرحم بنمو الحمل فيه، ونقصه بخروج الولد ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ وتتوالى الآيات ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به﴾ ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾.

ويقف الحس مشدوها وهو يتتبع علم الله ومواقعه، وهو يتبع الحمل المكنون فى الأرحام، والسر المكنون فى الأرحام، والسر المكنون فى الصدور، والحركة الخفية فى جنح الليل، وكل مستخف وكل سارب وكل هامس وكل جاهر. وكل أولئك مكشوف تحت المجهر الكاشف، يتبعه شعاع من علم الله وتتعقبه حفظة تحصى خواطره ونواياه.. ألا إنها الرهبة الخاشعة التى لا تملك النفس معها إلا أن تلجأ إلى الله، تطمئن فى حماه وإن المؤمن بالله ليعلم أن علم الله يشمل كل شئ.

١٢/١٣ ﴿هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا...﴾ والخوف للمسافر لما يتأذى به من المطر، والطمع للحاضر إذا رأى البرق طمع فى المطر ﴿وينشئ السحاب الثقال﴾ بما فيها من الماء ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ ولا مانع من أن ينطقه الله فأصواته شاهدة بعظمة الله. وقيل: تسبيحه شهادته بقدرة الله، من دون أن ينطق. ﴿والملائكة من خيفته﴾ أى: ويسبح الملائكه من خيفة الله سبحانه ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ من خلقه (فيهلكه) صنع الله فى هذا الكون، فهو حمد وتسبيح بالقدرة التى صاغت هذا النظام. ثم يكمل جو الرهبة والابتهال والبرق والرعد والسحاب الثقال.. بالصواعق يرسلها فيصيب بها من يشاء... ﴿وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾ يجادلون فى الله وينسبون إليه شركاء يدعونهم معه.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ عن أنس ابن مالك قال: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً إلى رجل من فراعنة العرب، فقال: [إذهب فادعه لى] فقال: يا رسول الله إنه أعتى من ذلك، قال: [اذهب فادعه لى] قال. فذهب إليه فقال: يدعوك رسول الله، قال: وما الله؟ أمن ذهب هو أو من فضه أو من نحاس؟ قال فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره. وقال: قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك، وأعاده إليه الثانية، وفى الثالثة فبينا هو يكلمه إذ بعثت إليه سحابة حيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، فأنزل الله تعالى: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾.

معانى الكلمات:

المثلات: العقوبات الفاضحات لأمثالهم

من وال: من ناصر

وما تغيض الأرحام: ما تنقصه

له معقبات: ملائكة تعتقب فى حفظه.

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا
كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ
إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى
ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ
عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ
لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

١٤ ﴿له دعوة الحق...﴾ دعاؤه سبحانه عند الخوف، فإنه لا يدعى فيه سواه، فهو القادر على الاستجابة ﴿والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾ فما عدا الله باطل، وما عداه هباء ﴿إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه﴾ وفمه مفتوح يلهث بالدعاء يطلب الماء ليبلغ فلا يبلغه ﴿وما هو ببالغه﴾ أى ببالغ فمه ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ أى يضل عنهم ذلك الدعاء، فلا ينفعهم بوجه من الوجوه.

١٥ ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها...﴾ المراد بالسجود: الانقياد لأمره وحكمه فيهم بالصحة والمرض، والحياة والموت والفقر والغنى ﴿طوعا وكرها﴾ فالكفار ينقادون كرها، كما ينقاد المؤمنون طوعًا ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ والظلال تتبع الأشخاص فالسجود مزدوج: شخوص وظلال والظلال خاضعة.

١٦ ﴿قل من رب السموات والأرض﴾ أمر سبحانه أن يسأل رسول الله ﷺ الكفار هذا السؤال ﴿قل الله﴾ فكأنه حكى جوابهم وما يعتقدونه ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ والتعقيب على هذا التهكم اللاذع حيث لا معارضة ولا جدال بعد هذا السؤال: ﴿قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ فأين القلب الذى يصمد لهذا الهول إلا أن يكون أعمى مطموسًا يعيش فى الظلمات حتى يأخذه الهلاك؟!

١٧ ﴿أنزل من السماء ماء...﴾ ونكمل المعنى: ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ أى آخذ كل بحسبه، فهذا كبير وسع كثيرًا من الماء، وهذا صغير وسع بقدره ﴿فاحتمل السيل زبدا رابيا﴾ أى فجاء على وجه الماء الذى سال فى هذه الأودية زبد عال عليه، هذا مثل.

وقوله ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع﴾ هذا هو المثل الثانى وهو ما يسبك فى النار من ذهب أو فضة ابتغاء حلية فإنه يعلوه زبد منه كما يعلو ذلك زبد منه ﴿زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾ أى إذا اجتمعا، لا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لايثبت مع الماء ولا مع الذهب والفضة ونحوهما مما يسبك فى النار، بل يذهب ويضمحل ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ بل يتفرق ويتمزق ﴿وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ أى يثبت فيها، أما الماء فإنه يسلك فى عروق الأرض فتنتفع الناس به ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ يضرب الله الأمثال فى كل باب.

١٨ ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى...﴾ أى المثوبة الحسنى وهى الجنة ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ أى لدعوته ﴿لو أن لهم ما في الأرض جميعا﴾ من أصناف الأموال ﴿ومثله معه﴾ أى: مثل ما فى الأرض جميعا منضما إليه ﴿لافتدوا به﴾ مما هم فيه من العذاب ﴿أولئك﴾ يعنى الذين لم يستجيبوا ﴿لهم سوء الحساب﴾ هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شئ ﴿ومأواهم جهنم﴾ أى هى مسكنهم ﴿وبئس المهاد﴾ أى المستقر الذى يستقرون فيه.

معانى الكلمات:

بالغدو: أول النهار

بقدرها: بمقدارها — زبدا: الرغوة

جفاء: مطروحًا أو متفرقًا

والآصال: آخر النهار

وبئس المهاد: بئس الفراش.

۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ
(٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ
(٢٤) وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦) وَيَقُولُ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ
مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)

الدرس الثانى

(لمسات وجدانية وعقلية)

من الآية ١٩ إلى الآية ٤٣

مدة الحفظ: (٣ أيام).

١٩ ﴿أفمن يعلمُ أنما أُنزل إليْك من ربّك الْحقُ...﴾ القضية الأولى هى قضية الوحى وتثار هنا على نسق جديد. أن المقابل لمن يعلم ﴿كمنْ هو أعْمى﴾ فالعمى وحده هو الذى ينشئ الجهل بهذه الحقيقة الكبرى الواضحة التى لا تخفى إلا على الأعمى. ﴿إنما يتذكر أُولُوا الألْباب﴾ الذين لهم عقول وقلوب مدركة تذكر بالحق فتتذكر، وتنبه إلى دلالته فتتفكر وهذه صفات أولى الألباب.

٢٠/ ٢٤ ﴿الذين يوفون بعهد الله...﴾ وعهد الله مطلق يشمل كل عهد ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ وميثاق الله مطلق يشمل كل ميثاق. ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ فكل ما أمر الله به أن يوصل يصلونه. أى إنها الطاعة الكاملة والاستقامة الواصلة والسير على السنة ﴿ويخْشوْن ربّهمْ﴾ خشية تحملهم على فعل ما وجب واجتناب ما لا يحل ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا. ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم﴾ الصبر على طاعة الله، والصبر عن محارم الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة. ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أى فعلوها فى أوقاتها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾ فأدوا زكاة أموالهم وبذلوا المال حيث وجب ﴿سرًا﴾ خفية ﴿وعلانية﴾ جهارًا ليقتدى بهم ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ أى يدفعون سيئة من أساء إليهم بالإحسان إليه، أو يدفعون بالعمل الصالح العمل السئ، أو الذنب بالتوبة ﴿أولئك﴾ الموصوفون بالصفات المتقدمة ﴿لهمْ عقْبى الدار﴾ يرثون الأرض ولهم الجنة ﴿جنات عدن﴾ إقامة دائمة لأهلها لا يرحلون عنها ﴿ومن صلح من آبائهم﴾ يشمل الآباء والأمهات ﴿وأزواجهم وذرياتهم﴾ ليحصل لهم تمام الأنس بلقاء الأحبة ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ من جميع أبواب المنازل التى يسكنونها. ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ فهو لقاء حافل باللقاء والسلام والحركة الدائبة والإكرام.

٢٥ ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض﴾ هؤلاء هم الذين على الضفة الأخرى وهم على النقيض في كل شئ مع أولى الألباب ﴿أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ هؤلاء هم المبعدون المطرودون لأنهم لم يتطلعوا إلى الآخرة ونعيمهما المقيم.

٢٦ ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر...﴾ فقد يبسط الرزق لمن كان كافرًا، ويقتره على من كان مؤمنا ابتلاءً وامتحانًا، ولا يدل البسط على الكرامة، ولا القبض على الإهانة ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ وجهلوا ما عند الله ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاعٌ﴾ شئ قليل ذاهب.

٢٧ ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آيةٌ من ربه...﴾ إن الرد على طلبهم آية خارقة، إن الآيات ليست هى التى تقود الناس إلى الإيمان : ﴿قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾ فالإنابة إلى الله هى التى جعلتهم أهلاً لهداه..

٢٨ ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله...﴾ فقلوبهم تسكن وتستأنس بذكر الله ﴿ألا بذكر الله﴾ وحده دون غيره ﴿تطمئنُ القلوبُ﴾ والنظر فى مخلوقات الله سبحانه، وبدائع صنعه، وإن كان يفيد طمأنينة فى الجملة، وكذلك النّظر فى المعجزات، فليس إفادتها للطمأنينة كإفادة ذكر الله.

معاني الكلمات:

ويدرءون: يدفعون ويجازون

عُقبي الدّار: عاقبتها المحمودة

سوء الدّار: عاقبتها السيئة.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ
لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ
قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ
بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ
وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ
لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

٢٩ ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مئاب...﴾ طوبى: للتفخيم والتعظيم، وحسن مآب إلى الله الذى أنابوا إليه فى الحياة.

٣٠ ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم...﴾ فى جماعة من الناس قد مضت من قبلها جماعات أرسلنا إليها رسلاً ﴿لتتلو عليهم الذي أوحينا﴾ أى ليقرأ عليهم القرآن ﴿إليك وهم يكفرون بالرحمن﴾ يكفرون بهذا الاسم ﴿الرحمن﴾ فينكرون أن يكون لله اسم الرحمن. ﴿قل هو ربي لا إله إلا هو﴾ فلا يستحق العبادة سواه ﴿عليه توكلت﴾ فى جميع أمورى ﴿وإليه﴾ لا إلى غيره ﴿متاب﴾ أى توبتى.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾.

قال أهل التفسير: نزلت فى صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح، فقال رسول الله ﷺ لعلى: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل بن عمرو والمشركون: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، اكتب باسمك اللهم.

٣١ ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال...﴾ أى: بإنزاله وقراءته، فسارت عن محل استقرارها ﴿أو قطعت به الأرض﴾ قطع به قارئه مسافات الأرض ﴿أو كلم به الموتى﴾ أى صاروا أحياء بقراءته ﴿بل لله الأمر جميعا﴾ وهو الذى يختار نوع الحركة وأدائها فى كل حال. ﴿أو تحل قريبا من دارهم﴾ . . . فتروعهم وتدعهم فى قلق ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ فهو آت لا ريب فيه، فملاقون فيه ما وعدوه.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾

عن الزبير بن العوام يقول: قالت قريش للنبى ﷺ تزعم أنك نبى يوحى إليك، وأن سليمان سخر له الريح والجبال، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحى الموتى فادع الله تعالى أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهارا فنتخذها محارث فنزرع ونأكل، وإلا فادع الله أن يحيي موتانا فنكلمهم ويكلموننا، وإلا فادع الله تعالى أن يصير هذه الصخرة التى تحتك ذهبا فَنَنْحَتُ منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فإنك تزعم إنك كهيئتهم، فبينا نحن حوله إذ نزل عليه الوحى، فلما سري عنه قال: (والذى نفسى بيده لقد أعطانى ما سألتم ولو شئت لكان، ولكن خيرنى بين أن تدخلوا من باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم فاخترت باب الرحمة وإن يؤمن مؤمنكم، وأخبرنى إن إعطاكم ذلك، ثم كفرتم أنه معذبكم عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين .

٣٢ ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا...﴾ الإملاء: الإمهال ﴿فكيف كان عقاب﴾ وهو سؤال لا يحتاج إلى جواب فلقد كان عقابا تتحدث عنه الأجيال!!

٣٣ ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت...﴾ والقضية الثانية هنا فى سؤال تهكمى حين تقرن هذه الشركاء إلى الله القائم على كل نفس.

﴿قل سموهم﴾.. فإنهم نكرات مجهولة، وقد تكون لهم أسماء ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾ يا للتهكم! أم إنكم أنتم البشر تعلمون ما لا يعلمه الله؟ ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل﴾ أى صدهم الله، أو صدهم الشيطان ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ أى يجعله ضالاً .

٣٤ ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا...﴾ يصابون به من القتل والأسر وغير ذلك ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ عليهم من عذاب الدنيا ﴿وما لهم من الله من واق﴾ يقيهم عذابه، ولا عاصم يعصمهم منه.

۞ مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ (٣٥) وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ
أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ (٣٦)
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا
جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧) وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)
يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ (٣٩)
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ (٤٠) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ (٤١) وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ (٤٢)

٣٥ ﴿مَثَلُ الجنّة التي وُعد المُتّقون...﴾ وعلى الصفة الأخرى المتقون ﴿تجري من تحتها الأنهار أُكلها دائم﴾ أى: إن ثمارها دائمة لا تنقطع كما تنقطع ثمار أشجار الدنيا ﴿وظلّها﴾ أى: كذلك دائم لا يتقلص ولا تنسخه الشمس ﴿عقبى الّذين اتّقوا وعُقبى الكافرين النّار﴾ ليس لهم عاقبة ولا منتهى إلا ذلك.

٣٦, ٣٧ ﴿والّذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أُنزل إليك...﴾ يفرحون بهذا الالتقاء على الحق ﴿ومن الأحزاب من يُنكر بعضه﴾.. الأحزاب من أهل الكتاب والمشركين ﴿قل إنّما أُمرت أنْ أعبد الله ولا أُشرك به إليه أدعو وإليه مئاب﴾ فله وحده العبادة، وإليه وحده الدعوة، وله وحده المآب. ﴿وكذلك أنزلناه حُكمًا عربيًا﴾ أنزلنا القرآن مشتملا على أصول الشرائع وفروعها مبينة بلسان العرب، كما أنزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم ﴿ولئن اتّبعت أهواءهم﴾ التى يطلبون منك موافقتهم عليها ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ الذى علمه الله إياه ﴿ما لك من الله من وليّ﴾ يلى أمرك وينصرك ﴿ولا واق﴾ يقيك من عذابه.

وإذا كان هناك اعتراض على بشرية الرسول فقد كان الرسل كلهم بشرًا

٣٨ ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذُريّة...﴾ وإذا كان الاعتراض بأنه لم يأت بخارقة مادية، فذلك ليس من شأنه إنما هو شأن الله ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلاّ بإذن الله﴾ وفق ما كانت تقتضيه حكمته وعندما يشاء.

وإذا كان هناك خلاف جزئى بين ما أنزل على الرسول وما عليه أهل الكتاب، فإن لكل فترة كتابا، وهذا هو الكتاب الأخير.

٣٩ ﴿لكلّ أجل كتابٌ (٣٨) يمحو الله ما يشاء...﴾ فما انقضت حكمته يمحوه ﴿ويثبت﴾ وما هو نافع يثبته ﴿وعنده أمّ الكتاب﴾ وعند أصل الكتاب.

٤٠ ﴿وإن ما نُرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك..﴾ أى: إن أريناك بعض ما نعدهم من العذاب قبل موتك، أو توفيناك قبل أن تراه ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أى: فليس عليك إلا تبليغ أحكام الرسالة ﴿وعلينا الحساب﴾ أى محاسبتهم بأعمالهم، ومجازاتهم عليها.

٤١ ﴿أولم يروا...﴾ يعنى أهل مكة ﴿أنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ أى ننقص أراضى الكفر ننقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها شيئا فشيئا حتى يتم الأمر بفتح مكة نفسها ﴿والله يحكم لا معقّب لحكمه﴾ أى يحكم ما يشاء فى خلقه ﴿وهو سريع الحساب﴾ فيجازى المحسن والمسئ على وجه السرعة.

٤٢ ﴿وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا...﴾ فمكرهم هذا كالعدم ولا اعتداد بمكر غير مكر الله تعالى بالماكرين ﴿يعلم ما تكسب كُلّ نفس...﴾ ومن علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها كان المكر كله له، ولا أثر لمكر غيره فى مقابلة مكره ﴿لمن عُقبى الدار﴾ لمن العاقبة المحمودة من الفريقين فى دار الدنيا أو فى الآخرة.

معاني الكلمات:

لكُلّ أجل كتابٌ: لكل وقت حكم معين بالحكمة

أُكُلها دائم: لا ينقطع

أُمّ الكتاب: اللوح المحفوظ أو العلم الإلهى

لا معقّب لحكّمه: لا راد ولا مبطل له.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾
ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا
مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

٤٣ ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا...﴾ أى: لست يا محمد مرسلاً إلى الناس من الله ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم﴾ فهو يعلم صحة رسالتى، وصدق دعوتى، ويشهد لى بذلك بما أجراه على يدي من المعجزات ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ من أسلم منهم كعبد الله بن سلام، فهم يشهدون لى بالرسالة، وقيل: المراد: من عنده علم اللوح المحفوظ، وهو الله سبحانه.

سورة إبراهيم
الدرس الأول
(حقيقة الرسالة وحقيقة الرسول)
من الآية (١) إلى الآية (٢٧)
مدة الحفظ: ٤ أيام.

١ / ٤ ﴿الر كتاب أنزلناه إليك...﴾ هذا الكتاب المؤلف من جنس هذه الأحرف أنزلناه إليك. لم تنشئه أنت. أنزلناه إليك لغاية ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ من ظلمات الوهم والخرافة. و ظلمات الأوضاع والتقاليد وظلمات الحيرة فى تيه الأرباب المتفرقة وليس في قدرة الرسول إلا البلاغ أما إخراج الناس من الظلمات إلى النور فإنما يتحقق بإذن ربهم، وفق سنته، وناموسه الذى يحكم الوجود وشريعته التى تحكم الحياه ﴿بإذن ربهم﴾ ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ صراطه إلى طريقه، وسنته ﴿الله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ فمن خرج واهتدى فذاك... ويمضى السياق إلى تهديد الكافرين ينذرهم بالويل من عذاب شديد: ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾ ثم يكشف عن صفة تحمل معنى العلة لكفر الكافرين بنعمة الله ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ فهم يؤثرون الحياة الدنيا، ويصدون الناس بصرفهم عن سبيل الله ﴿ويبغونها عوجا﴾ أى يطلبون لها زيغًا وميلا لموافقة أهوائهم ﴿أولئك في ضلال بعيد﴾ عن الحق والصواب ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ أى متكلما بلغتهم ﴿ليبين لهم﴾ ما أمرهم الله به من الشريعة وليفهموا عنه. فتتم الغاية من الرسالة ﴿فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ هذا هو شأن الله. وضع له سنة ارتضتها مشيئته المطلقة ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ القادر على تصريف الناس والحياة.

٥ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا...﴾ وكذلك كانت رسالة موسى. بلسان قومه ﴿أن أخرج قومك من الظلمات﴾ من الكفر أو من الجهل ﴿إلى النور﴾ إلى الإيمان أو إلى العلم أو الحرية ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ أى: بوقائعه وبنعم الله عليهم، وبنقم أيام الله التى انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمود ﴿إن في ذلك﴾ أى: فى التذكير بأيام الله ﴿لآيات﴾ لدلالات عظيمة دالة على التوحيد، وكمال القدرة ﴿لكل صبار شكور﴾ أى كثير الصبر على المحن والمنح وكثير الشكر للنعم التى أنعم الله بها عليه.

معاني الكلمات:

يستحبون: يختارون ويؤثرون

ويبغونها عوجا: يطلبونها معوجة.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي
ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن
بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم
بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

٨/٦ ﴿وإذ قال موسى لقومه...﴾ وراح موسى يؤدى رسالته ويذكر قومه ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ وبين لهم نوع النعمة ﴿إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾ وذلك لما خرج بهم موسى من أرض مصر، وفلق لهم البحر وأغرق فرعون وجنوده ﴿ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ فكان فرعون يستعبدهم ويستعملهم فى الأعمال الشاقة، ويذبح أبناءهم ويذل نساءهم ﴿وفي ذلكم﴾ المذكور من أفعالهم ﴿بلاء من ربكم عظيم﴾ أى ابتلاء لكم. ويمضى موسى يبين لقومه. بعدما ذكرهم بأيام الله: ﴿وإذ تأذن ربكم﴾ أى أعلن لكم إعلانا عاما لتسمعوا قوله وتعقلوه فقال ﴿لئن شكرتم﴾ لأن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس فى النفس البشريه، والنعمة تزيد بالشكر ﴿لأزيدنكم﴾ والكفر بالنعمة قد يكون بعد شكرهم أو بإنكارها بمعنى نسبتها إلى العلم أو الخبرة أو الكد الشخصى والسعى وكأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله ﴿ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ والعذاب الشديد قد يقتضى محق النعمة، وقد يكون عذابا مؤجلا فى الدنيا أو فى الآخرة.

٩ ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم...﴾ ويستمر موسى في بيانه وتذكيره لقومه. ولكن يتوارى عن المشهد لتبرز المعركة الكبرى بين أمة الأنبياء والجاهليات المكذبة بالرسل والرسالات.. ﴿قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾.. ويحتمل أن هذا خطاب من موسى لقومه تحذيرًا لهم عن مخالفته، على سبيل الاستطراد فالذى يحصى عددهم ويحيط بهم علمًا هو الله سبحانه ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ ليعضوها غيظا مما جاءت به الرسل، لأن الرسل جاءتهم بتسفيه أحلامهم. فردوا عليهم وقالوا: ﴿وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه﴾ فى شك من الإيمان ﴿مريب﴾ أى أمر غير يقينى.

١٠ ﴿قالت رسلهم أفي الله شك...﴾ أى فى وحدانيته سبحانه شك ﴿فاطر السموات والأرض﴾ أى: خالقهما ومخترعهما ومبدعهما وموجدهما بعد العدم ﴿يدعوكم﴾ إلى الإيمان به وتوحيده ﴿ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ أى: ما شاء الله منها ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ وهو الموت فلا يعذبكم فى الدنيا ﴿قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾ تأكلون وتشربون ﴿تريدون أن تصدونا﴾ تصرفونا عن معبودات آبائنا من الأصنام ونحوها ﴿فأتونا﴾ إن كنتم صادقين بأنكم مرسلون من عند الله ﴿بسلطان مبين﴾ أى: بحجة ظاهرة تدل على صحة ما تدعونه. وقد جاؤوهم بالسلطان المبين، ولكن هذا نوع من تعنتاتهم.

معاني الكلمات:

يسومونكم: يذيقوكم

ويستحيون نساءكم: يستبقون بناتكم للخدمة

تأذن: أعلم

فردوا أيديهم في أفواههم: عضوا على أناملهم

مريب: موقع فى الريب والقلق.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
(١١) وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
(١٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ
أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَٱسْتَفْتَحُوا۟
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ
وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن
وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ
أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ (١٨)

١١ ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلاّ بشر مثلكم...﴾ ويرد الرسل ليوجهوا الأنظار إلى منة الله فى اختيار الرسل ﴿ولكنّ الله يمنّ على من يشاء من عباده﴾ كما يبين الرسل أن الإتيان بسلطان مبين وقوة خارقة أنها من شأن الله ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلاّ بإذن الله﴾ وما نعتمد على قوة غير قوته: ﴿وعلى الله فليتوكّل المؤمنون﴾ لا يلتفت قلبه إلى سواه، ولا يرجو عونا إلا منه، ولا يرتكن إلا إلى حماه. ﴿وما لنا ألاّ نتوكّل على الله وقد هدانا سبلنا﴾ إنها كلمة المطمئن إلى موقفه وطريقه. وماذا يخاف القلب الموصول بالله على هذا النحو؟ وماذا يخفيه من ذلك البعيد؟

١٢ ﴿وما لنا ألاّ نتوكّل على الله وقد هدانا سبلنا...﴾ وأى عذر لنا فى ألا نتوكل على الله ﴿ولنصبرنّ على ما آذيتمونا﴾ لنصبرن، لا نتزحزح ولا نضعف ولا نتراجع ولا نهن ﴿وعلى الله فليتوكّل المتوكّلون﴾ وهنا يسفر الطغيان عن وجهه.

١٣، ١٤ ﴿وقال الّذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودنّ في ملّتنا﴾ خيروهم أن ينفذوا فيهم واحدًا من هذين الأمرين ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكنّ الظّالمين﴾ أى إلى الرسل ﴿لنهلكنّ الظّالمين﴾ هم هؤلاء الكفرة ﴿ولنسكننّكم الأرض من بعدهم﴾.. لا محاباة ولا جزافا إنما هى السنة الجارية العادلة ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ فلم يتطاول ولم يتعال ولم يستكبر، ولم يتجبر وخاف وعيد فحسب حسابه واتقى أسبابه.

١٥/ ١٧ ﴿واستفتحوا وخاب كلّ جبّار عنيد...﴾ أى استنصر الرسل بالله على أعدائهم وخاب كل معاند للحق والمجانب له، الذى أبى أن يقول لا إله إلا الله ﴿من ورائه جهنّم﴾ أى: جهنم فى طلبه، وسوف تدركه ﴿ويسقى من ماء صديد﴾ الصديد ما يسيل من جلود أهل النار من القيح والدم ﴿يتجرّعه﴾ يتحساه مرة بعد مرة لا مرة واحدة، لمرارته وحرارته ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ أى: يبتلعه، بل يُغَصّ به فيطول عذابه بالعطش تارة، ويشربه على هذه الحالة أخرى ﴿ويأتيه الموت من كلّ مكان﴾ أى تأتيه أسباب الموت من كل جهة من الجهات ﴿وما هو بميّت﴾ أى تأتيه ولكن لا يموت بها فيستريح من الآلام والشدة.

١٨ ﴿مثل الّذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد...﴾ وهنا يجئ التعقيب على المشهد مثلاً مصورًا فى مشهد يضرب الذين كفروا والمعنى: أعمالهم باطلة غير مقبولة يمحقها. ﴿اشتدّت به الريح في يوم عاصف لاّ يقدرون ممّا كسبوا على شيء﴾ من تلك الأعمال الباطله ولايرون له أثرًا فى الآخرة يجازون به ويثابون عليه ﴿ذلك هو الضّلال البعيد﴾ عن طريق الحق.

معانى الكلمات:

خاف مقامي: موقفه بين يدىّ للحساب

يوم عاصف: شديد هبوب الريح

واستفتحوا: استنصروا.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ
﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ
أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ
لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ
فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ
أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

١٩ / ٢١ ﴿ألم تر أنّ الله خلق السّموات والأرض بالحقّ...﴾ ثم يلتقى مع مشهد الرماد المتطاير ظل آخر فى هذه الآية.. فالله خلق السموات والأرض بالوجه الصحيح ﴿إن يشأ يُذهبْكُمْ ويأت بخلق جديد﴾ يهلك العصاة ويأتى بمن يطيعه من خلقه، من نوع الإنسان أو من نوع آخر.. ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أى بممتنع، لأنه سبحانه قادر على كل شئ ويتابع السياق خطواته فى المشهد الأخير. وهو مشهد من أعجب مشاهد القيامة وأحفلها بالحركة والانفعال والحوار بين الضعفاء والمستكبرين وبين الشيطان والجميع ﴿وبرزُوا لله جميعًا﴾ أى خرجوا من قبورهم يوم القيامة ﴿فقال الضُعفاءُ﴾ قال الأتباع الضعفاء للرؤساء الأقوياء ﴿إنّا كنّا لكُمْ تبعًا﴾ أى: فى الدنيا، فكذبنا الرسل، وكفرنا بالله متابعة لكم ﴿فهلْ أنتم مُغْنُون﴾ أى: دافعون عنا ﴿من عذاب الله من شيْء﴾ أى: بعض الشئ ﴿قالُوا لوْ هدانا اللّه﴾ إلى الإيمان ﴿لهديْناكُم﴾ إليه ﴿سواءٌ علَيْنا أجزِعْنا أمْ صبرْنا﴾ أى يستوى علينا الجزع والصبر ﴿ما لنا من مَحيص﴾ أى منجى ومهرب من العذاب. وسكت الحوار وهنا نرى على المسرح عجبًا.

نرى الشيطان.

٢٢ ﴿وقال الشّيْطانُ لمّا قُضي الأمْرُ..﴾ لما دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ﴿إنّ الله وعدكُم وعد الحقّ﴾ بالبعث والحساب، ومجازاة المحسن بإحسانه، والمسئ بإساءته ﴿ووعدتُكُم﴾ وعدتكم وعدًا باطلا ﴿فأخلفتكُم﴾ ما وعدتكم به من ذلك ﴿وما كان لي عليكُم من سلطان﴾ فلا أتمكن من إدخالكم فى الكفر ﴿إلاّ أن دعوتُكُمْ فاستجبتم لي﴾ أى: لكن دعوتكم إلى الكفر وحسّنته ولم ألزمكم به، فسارعتم إلى إجابتى ﴿فلا تلومُوني﴾ بما وقعتم فيه بسبب وعدى لكم بالباطل ﴿ولُومُوا أنفُسكُم﴾ باستجابتكم لى بمجرد الدعوة، وترككم لوعد الله ﴿ما أنا بمُصرخكُم وما أنتم بمُصرخيّ﴾ أى ما أنا بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب وما أنتم بمغيثيّ مما أنا فيه ﴿إني كفرْتُ بما أشْركتُمُوني من قبْلُ﴾ صرح لهم بأنه كافر بإشراكهم له مع الله فى الربوبية ﴿إنّ الظّالمين لهُم عذابٌ أليمٌ﴾.

وقبل أن يسدل الستار نبصر على الضفة الأخرى تلك الأمة المؤمنة، الأمة الفائزة، الأمة الناجية.

٢٣ ﴿وأدخل الّذين آمنُوا وعملُوا الصّالحات...﴾ تحية هؤلاء الملائكة لهم فى الجنة التسليم عليهم بإذن ربهم.

٢٤ ﴿ألمْ تر كيف ضرب اللّهُ مثلاً كلمةً طيبةً...﴾ والكلمة الطيبة هى كلمة الحق فهى ﴿كشجرة طيّبة أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السّماء﴾ ثابتة سامقة مثمرة ﴿تؤتي أُكُلَها كُلّ حين بإذن ربها﴾ فهى مثمرة لا ينقطع ثمرها تنبت في النفوس المتكاثرة آنا بعد آن.

معاني الكلمات:

وبرزوا: خرجوا

مَحيص: منجى.

مُغْنُون عنّا: دافعون عنّا

بمُصرِخكُم: بمغيثكم.

تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ
﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ
ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ
ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ
تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ
فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

٢٥/ ٢٧ ﴿ويضربُ اللَّهُ الأمْثالَ للنَّاسِ لعلَّهُمْ يتذكَّرون﴾ أى رجاء أن يتذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويعملوا الصالحات ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ هى كلمة الكفر فى قلب الكافر ﴿كشجرة خبيثة﴾ هى الحنظل مُرَّة ولا خير فيها ﴿اجتُثَّتْ﴾ أى اقتلعت واستؤصلت ﴿من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ أى لاثبات لها ولا تثمر ﴿يثبت اللَّهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدُّنْيا وفي الآخرة﴾ بكلمة الإيمان المستقرة فى الضمائر الثابتة ﴿ويُضلُّ اللَّهُ الظَّالمين﴾ أى يضلهم عن حجتهم فلا يقدرون على التكلم بها فى قبورهم، ولا عند الحساب.

الدرس الثانى

(نعم الله على البشر ومصير المكذبين)

من الآية (٢٨ إلى الآية ٥٢)

مدة الحفظ: (يومان)

٢٨ ﴿ألمْ تر إلى الَّذين بدَّلوا نعْمتَ اللَّه كُفْراً...﴾ تعجب من حال الكفار حيث جعلوا بدل الشكر لنعمة الله عليهم الكفر بها، وذلك بتكذيبهم محمد ﷺ حين بعثه الله منهم وأنعم عليهم به ﴿وأحلُّوا قَوْمهُمْ دار الْبوار﴾ وهى جهنم، وهو القتل الذى اصيبوا به.

٢٩ ﴿جهنَّم يصْلوْنها وبئْس الْقرارُ...﴾ بئس المقر جهنم.

٣٠ ﴿وجعلُوا للَّه أندادا...﴾ شركاء فى الربوبية ﴿لِّيضلُّوا عن سبيله﴾ ليوقعوا قومهم فى الضلال عن سبيل الله ﴿قلْ تمتَّعوا﴾ بما أنتم فيه من الشهوات، وإضلال الناس ﴿فإنَّ مصيركُمْ إلى النَّار﴾ أى مردكم ومرجعكم إليها ليس إلا كأن قيل: فإن دمتم على ذلك فإن مصيركم إلى النار.

٣١ ﴿قُل لِّعبادي الَّذين آمنُوا...﴾ يشكروا ربهم بإقامة الصلاة فهى أخص مظاهر الشكر لله ﴿يقيموا الصَّلاة وينفقوا ممَّا رزقْناهُمْ﴾ ليربوا رصيدهم المدخر ﴿سرًّا وعلانيةً﴾ أى مسرين ومعلنين وقيل: السر: التطوع، والعلانية: الفرض ﴿مّن قبْلِ أن يأتي يومٌ لاَّ بيْعٌ فيه ولا خلالٌ﴾ المعنى: أن يوم القيامة لا بيع فيه حتى يفتدى المقصر فى العمل نفسه من عذاب الله يدفع عوضًا عن ذلك، وليس هناك مخاللة حتى يشفع الخليل لخليله وينقذه من العذاب.

٣٢ ﴿اللَّهُ الَّذي خلق السَّموات والأرْض...﴾ وهنا يفتح كتاب الكون على مصراعيه فتنطق سطوره الهائله بنعم الله التى لا تحصى.. وبعد ذلك يجعلون له أندادًا ﴿وأنزل من السَّماء ماء فأخْرج به من الثَّمرات رزْقًا لَّكُمْ﴾ ليدرك الإنسان كيف هو مكفول محمول بيد الله

٣٣ ﴿وسخَّر لكُمُ الْفُلْك لتجْري في الْبحْرِ بأمْره...﴾ بما أودع في العناصر من خصائص تُجرى الفلك وبما أودع فى الإنسان من خصائص يدرك بها ناموس الأشياء ﴿وسخر لكُمُ الشَّمْس والْقمر دائبين﴾ فينتفع بآثارهما ويستمد منهما مواد الحياة وطاقاتها. ﴿وسخَّر لكُمُ اللَّيل والنَّهار﴾ وفق حاجة الإنسان وتركيبه وما يناسب نشاطه وراحته. فالليل والنهار يتعاقبان، فالنهار لسعيكم فى أمور معاشكم، والليل لتسكنوا فيه.

معاني الكلمات:

تؤْتي أُكُلها: تغطى ثمرها

اجتُثَّتْ: اقتلعت جثتها

أندادًا: أمثالاً   دائبين: دائمين.

كلمة خبيثة: كلمة الكفر والضلال

يصْلوْنها: يدخلونها

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ
قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ
أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾
رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى
عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾
رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

٣٤ ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه...﴾ من مال وذرية وصحة وزينة ومتاع... ﴿وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها﴾ فهى أكبر وأكثر من أن يحصيها فريق من البشر، أو كل البشر. وبعد ذلك تجعلون لله أندادًا، وبعد ذلك كله لا تشكرون نعمة الله، بل تبدلونها كفرا ﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾؟!

٣٥ ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا...﴾ مكة: دعا إبراهيم ربه أن يجعلها آمنة ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ قيل: إن بنيه من صلبه، وقيل أراد جميع ذريته ما تناسلوا. ودعا أن يجنبه عبادة الأصنام.

٣٦ ﴿رب إنهن أضللن كثيرا من الناس...﴾.. ثم يتابع ﴿فمن تبعني فإنه مني﴾.. وأما من عصانى منهم فأفوض أمره إليك ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ وفى هذا تبدو سمة إبراهيم العطوف الرحيم الأواه الحليم أن يكلهم إلى غفران الله ورحمته.. ويمضى إبراهيم فى دعائه يذكر إسكان بعض أبنائه بهذا الوادى المجدب المقفر المجاور للبيت المحرم:

٣٧ ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم...﴾.. لماذا؟ ﴿ربنا ليقيموا الصلاة﴾.. فهذا هو الذى من أجله أسكنهم هناك ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ إنه تعبير ندى يندى الجدب برقة القلوب... ﴿وارزقهم من الثمرات﴾.. عن طريق تلك القلوب التى ترف عليهم من كل فج.. لماذا؟ ﴿لعلهم يشكرون﴾. ويعقب إبراهيم على دعاء الله لذريته الساكنة بجوار بيته المحرم بتسجيله لعلم الله الذي يطلع علي ما فى قلوبهم من توجه وشكر ودعاء.

٣٨ ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن...﴾ أى ما نكتمه وما نظهره ﴿وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء﴾ ويلهج لسانه بالحمد والشكر شأن العبد الصالح يذكر فيشكر.

٣٩ ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق...﴾ وهبة الذرية على الكبر أوقع فى النفس، وإن إبراهيم ليحمد الله ويطمع فى رحمته ﴿إن ربي لسميع الدعاء﴾.. ويعقب على الشكر بدعاء أن يجعله مديمًا للشكر ويستعين الله على إنقاذ عزيمته وقبول دعائه.

٤٠ ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء﴾ فيجعل عون الله له على إقامة الصلاة رجاء يرجوه ويدعو الله ليوفقه إليه. ويختم إبراهيم دعاءه الضارع الخاشع بطلب المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين جميعا:

٤١ ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ وينتهى المشهد الطويل مشهد الدعاء الخاشع، ومشهد تعداد النعم والشكر عليها.. ويرتسم إبراهيم أبو الأنبياء، نموذجا للعبد الصالح الذاكر الشاكر.

٤٢ ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون...﴾ فهنا يكمل السياق الشوط ليكشف عما أعده للكافرين بنعمة الله ومتى يلقون مصيرهم المحتوم ﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ أى: ترفع فيه أبصار أهل الموقف ولا تغمض، من هول ما تراه ذلك اليوم.

معاني الكلمات:

لا تحصوها: لا تطيقوا عدها

واجنبني: أبعدنى

تهوي إليهم: تسرع إليهم شوقًا ووددًا.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ
هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ
الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم
مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا
لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ
﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ
وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا
بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

٤٣ ﴿مهطعين...﴾ أى مسرعين ﴿مقنعي رءوسهم﴾ أى رافعى رؤوسهم إلى السماء ينظرون إليها نظر فزع وذل ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ أى لا ترجع إليهم أبصارهم ﴿وأفئدتهم هواء﴾ خالية عن العقل والفهم لما شاهدوا من الفزع والحيرة والدهش.

٤٤ ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب...﴾ يوم القيامة: أى خوفهم هذا اليوم وحذرهم منه ﴿فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب﴾ أى فيقول الكفار: ربنا أمهلنا إلى أمد من الزمان معلوم غير بعيد ﴿نجب دعوتك﴾ لعبادك على ألسنة أنبيائك ﴿ونتبع الرسل﴾ فنعمل بما بلغوه إلينا من شرائعك، نتدارك ما فرط منا من الإهمال ﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ أى: فيقال لهم توبيخا وتقريعا: أو لم تكونوا حلفتم أنكم باقون مخلدون فى الدنيا وأن ليس هناك قيامة؟ فكيف ترون الآن؟!

٤٥ ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم...﴾ أى استقررتم فيها، وهى بلاد ثمود ونحوهم من الكفار الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله والعصيان له ﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ من العقوبة والعذاب الشديد ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾ فى كتب الله وعلى ألسنة رسله.

٤٦ ﴿وقد مكروا مكرهم...﴾ فى رد الحق وإثبات الباطل العظيم الذى استفرغوا فيه وسعهم ﴿وعند الله مكرهم﴾ أى يمكرون بأحباب الله والله يراهم وهم يمكرون وهو محيط بهم ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ أى وإن كان مكرهم يبلغ فى الكيد إلى إزالة الجبال، فإن الله ينصر دينه.

٤٧ ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله...﴾ المراد ما وعدهم سبحانه بقوله ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ ﴿إن الله عزيز﴾ غالب لا يغالبه أحد ﴿ذو انتقام﴾ ينتقم من أعدائه لأوليائه.

٤٨ ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات...﴾ لا ندرى نحن كيف يتم هذا.. وفجأة نرى ذلك قد تحقق: ﴿وبرزوا لله الواحد القهار﴾.. وأحسوا أنهم مكشوفون لا يسترهم ساتر ولا يقيهم واق ثم ها نحن أولاء أمام مشهد من مشاهد العذاب العنيف القاسي المذل:

٤٩ ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد﴾ مشدودين بعضهم مع بعض، أو قرنوا مع الشياطين، أو: جعلت أيديهم مقرونة إلى أرجلهم فى الأغلال والقيود.

٥٠ ﴿سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار﴾ قمصانهم التى على أجسامهم من قطران وهو ما تدهن به الإبل. مادة سوداء محرقة للجسم من النحاس حتى بلغ المنتهى فى الحرارة ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ أى وتغطي وجوههم النار بلهبها ﴿ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب﴾.

٥١ ﴿هذا بلاغ...﴾ وفى النهاية تختم السورة بمثل ما بدأت، فالبلاغ تبليغ وكفاية فى الموعظة والتذكير ﴿للناس﴾ لجميع الناس ﴿ولينذروا به﴾ أى لينصحوا ولينذروا وليخوفوا به ﴿وليعلموا أنما هو إله واحد﴾ وأنه لا شريك له ﴿وليذكر أولوا الألباب﴾ أى: وليتعظ أصحاب العقول التى تعقل وتدرك.


سُورَةُ الحِجْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟
وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا
مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ
ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟
إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى
قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ
﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سورة الحجر

الدرس الأول: طبيعة الكتاب
من آية ١/ ١٥ مدة الحفظ: يوم

١/ ٣ ﴿ الٓر تلك آيات الكتاب... ﴾ قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة فى أوائل السور والله أعلم بمراده بها هذا الكتاب المبين للحق والباطل والهدى والضلال ﴿ رُبما يودُّ الَّذين كفَروا لو كانوا مُسلمين ﴾ فإذا كان قوم يكفرون بأيات الله المعجز.. فسيأتى يوم يودون لو كانوا غير ذلك ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتَّعوا ويلهِهم الأملُ فسوف يعلمون ﴾ ذرهم فيما هم فيه من حياة حيوانية محضة للأكل والمتاع.. الأمل يلهى، والمطامع تغر... والعمر يمضى... ذر الذين ضلوا فى متاهة الأمل والغرور.

٤/ ٥ ﴿ وما أهلكنا من قرية إلاَّ ولها كتابٌ معلومٌ... ﴾ إن سنة الله ماضية لا تتخلف وهلاك الأمم مرهون بأجلها الذى قدره الله لها ﴿ ما تسبق من أُمَّة أجلها وما يستأخرون ﴾ فالأمم التى لا تؤمن ولا تحس ولا تصلح ولا تعدل وهى مع ذلك قوية ثرية باقية أو هكذا يخيل للبعض فلا بد أن فيها بقية من خير، فعلى هذه البقية من الخير تعيش حتى تستنفدها فلا تبقى فيها من الخير بقية، ولكل أمة أجل معلوم.

٦/ ٩ ﴿ وقالوا يا أيُّها الذي نُزِّل عليه الذكر إنَّك لمجنون... ﴾ هم ينكرون الوحى والرسالة ويتهكمون على الرسول الكريم ويبدو سوء الأدب فى وصفهم له ﴿ لو ما تأتينا بالملائكة إن كُنت من الصادقين ﴾ وطلب الملائكة ظاهرة من ظواهر الجهل بقيمة هذا الكائن الإنسانى. والرد علي ذلك التهكم وتلك الوقاحة: ﴿ ما ننزِّل الملائكة إلاَّ بالحق وما كانوا إذا مُنظرين ﴾ أى: ولو نزلنا الملائكة لعوجلوا بالعقوبة. ﴿ إنَّا نحنُ نزَّلنا الذكر ﴾ الذى أنكروه ونسبوك بسببه إلى الجنون ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ عن كل ما يليق به من تصحيف وتحريف وزيادة ونقص ونحو ذلك.

١٠/ ١٣ ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ﴾ رسلاً فى أممهم وأتباعهم وسائر فرقهم وطوائفهم ﴿ وما يأتيهم مِن رَّسول إلاَّ كانوا به يستهزءون ﴾ أى: ما يأتى رسول من الرسل شيعته إلا كانوا به يستهزئون، كما يفعله هؤلاء الكفار مع محمد ﷺ ﴿ كذلك نسلُكُه في قُلوب المجرمين ﴾ نسلك الضلال فى قلوب المجرمين. ﴿ لا يؤمنون به ﴾ أى: لا يؤمنون بالذكر الذى أنزلناه ﴿ وقد خلت سُنَّةُ الأوَّلين ﴾ أى: مضت طريقتهم التى سنها الله فى إهلاكهم حيث فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء.

١٤/ ١٥ ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا مَن السَّماء... ﴾ أى على هؤلاء المعاندين المكذبين لمحمد ﷺ ومكنّاهم من الصعود إلى السماء ﴿ فظلُّوا فيه يعرُجون ﴾ أى فى ذلك الباب يصعدون بآلة أو بغير آلة حتى يشاهدوا ما فى السماء من عجائب الملكوت ﴿ لقالُوا ﴾ أى الكفار لفرط عنادهم ﴿ إنَّما سُكِّرت أبصارُنا ﴾ وهو سدها عن الإحساس، وقيل: هو من سكر الشراب ﴿ بل نحنُ قومٌ مسحورون ﴾ وفي هذا بيان لعنادهم: إذا رأوا آية توجب عليهم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله نسبوا إلى أبصارهم أن إدراكها غير حقيقى لعارض السكر، أو أن عقولهم قد سحرت فصار إدراكهم غير صحيح.

معانى الكلمات:

رُبما: (رب) للتقليل

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا
خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ
لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ
بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ
مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن
صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

الدرس الثانى

(آيات الله فى الكون)

من الآية ١٦ إلى الآية ٢٥

١٦/ ٢٠ ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجا... ﴾ البروج: النجوم السيارة، وهى الإثنتا عشر المشهورة. والمعروفة بمواقع النجوم ومنازلها وهى: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ﴿ وزيناها للناظرين ﴾ المتفكرين المعتبرين المستدلين. ﴿ وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾ فلا ينالها ولا يدنسها: ﴿ إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ فتقتله أو تخبله ﴿ والأرض مددناها ﴾ والآية الكونية هنا تتجاوز الآفاق والأنفس فهذه الأرض المحدودة ﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾ تصاحبها الإشارة إلى النبت الموزون ﴿ وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾ ومنه إلى المعايش ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ﴾ المعنى: وجعلنا لمن لستم له برازقين فيها معايش وهم سائر الناس غيركم، والدواب على اختلاف أجناسها.

٢١ ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه... ﴾ فكل الممكنات مقدورة ومملوكة لله تعالى ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ على مقدار حاجة العباد إليه.

٢٢ ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح... ﴾ لواقح الماء، فأنزل من السماء ماء مما حملت الرياح فأسقيناكموه فعشتم به ﴿ وما أنتم له بخازنين ﴾ جاء من خزائن الله ونزل منها بقدر معلوم.

٢٣/ ٢٥ ﴿ وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون... ﴾ لأنه سبحانه بعد فناء خلقه الحى الذى لا يموت ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴾ قال الحسن: المستقدمين في طاعة، والمستأخرين فيها. ﴿ وإن ربك هو يحشرهم ﴾ يجازى المحسن بإحسانه، والمسئ بإساءته ﴿ إنه حكيم عليم ﴾ يقدر لكل أمة أجلها بحكمته، ويعلم متى تموت، ومتى تحشر، وما بين ذلك من أمور سبب نزول قوله تعالى: ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴾ عن ابن عباس قال: كانت تصلى خلف النبى ﷺ إمرأة حسناء فى آخر النساء، وكان بعضهم يتقدم إلى الصف الأول لئلا يراها، وكان بعضهم يكون فى الصف المؤخر فإذا ركع قال: هكذا، ونظر من تحت إبطه فنزلت ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴾.

الدرس الثالث

(قصة البشرية الكبرى)

من الآية ٢٦ إلى الآية ٤٨

٢٦ ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾ الإنسان: آدم والصلصال هو الطين اليابس، فالتراب لما بُلَّ صار طينا، فلما أنتن صار حمأ مسنونا، فلما يبس صار صلصالا. ﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ هو إبليس وسمى جانا لتوريه عن الأعين، والسموم الريح الحارة النافذة فى المسام، تكون بالنهار الحار.

٢٨/ ٢٩ ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال... ﴾ ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ والسجود هنا سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة، ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ عند أمر الله لهم بذلك من غير تراخ

٣٠/ ٣١ ﴿ إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين... ﴾ أبى ذلك استكبارًا وحسدًا لآدم فحقت عليه كلمة الله.

معاني الكلمات:

بروجا: منازل بقدر معلوم: بمقدار معين

استرق السمع: خطف المسموع

قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن
لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ
فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ
مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى
هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

٣٢ ﴿قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين...﴾ فكانت إجابته ﴿قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾ زعما منه أنه مخلوق من عنصر أشرف من عنصر آدم.

٣٤/ ٣٨ ﴿قال فاخرج منها...﴾ أى من الجنة ﴿فإنك رجيم﴾ أى: ملعون مطرود ﴿وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ أى عليك الطرد والإبعاد من رحمة الله سبحانه.

﴿قال رب فأنظرني﴾ أى أخرنى وأمهلنى ولا تمتنى ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أى يوم يبعث آدم وذريته.

﴿قال فإنك من المنظرين﴾ أجابه إلى ما طلبه.

﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وهو يوم القيامة. وهذا التأخير لينتقم من آدم وذريته جزاء ما لعنه الله وطرده.

٣٩/ ٤٠ ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض...﴾ أى: والتزيين منه: إما بتحسين المعاصى لهم وإيقاعهم فيها، أو يشغلهم بزينة الدنيا عن فعل أمر الله به ﴿ولأغوينهم أجمعين﴾ أى: لأضلنهم عن طريق الهدى، وأوقعهم في طريق الغواية ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾

٤١ ﴿قال هذا صراط عليّ مستقيم...﴾ أى: حق علىّ أن أراعيه، وهو ألا يكون لك على عبادى سلطان،.

٤٢ ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان...﴾ المراد بالعباد هنا، هم المخلصون ﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾ فالشيطان لا يتلقف إلا الشاردين.

٤٣/ ٤٤ ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين...﴾ أى موعد المتبعين الغاوين ﴿لها سبعة أبواب﴾ يدخل أهل النار منها، وإنما كانت سبعة لكثرة أهلها ﴿لكل باب منهم﴾ أى من الأتباع الغواة ﴿جزء مقسوم﴾ أى قدر معلوم متميز عن غيره. وبهذه المناسبة يذكر مصير المخلصين:

٤٥/ ٤٨ ﴿إن المتقين في جنات وعيون...﴾ والمتقون هم الذين يرقبون الله ويقون أنفسهم عذابه وأسبابه هؤلاء قيل لهم ﴿ادخلوها﴾ قبل أن يكونوا فيها ﴿بسلام آمنين﴾ بسلامة من الآفات ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ الغل: الحقد والعداوة ﴿إخوانا﴾ أى أخوة فى الدين ﴿على سرر متقابلين﴾ ينظر بعضهم إلي وجوه بعض ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ أى تعب ﴿وما هم منها بمخرجين﴾.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم﴾

عن على بن الحسين رضى الله عنهما أن هذه الآية نزلت في أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم.

الدرس الرابع
(مصارع الغابرين)
من الآية ٤٩ إلى الآية ٨٤

٤٩/ ٥١ ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم...﴾ أى أخبرهم يا محمد أنى أنا الكثير المغفرة لذنوبهم، الكثير الرحمة لهم ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ ضيوفه من الملائكة أتوه فى صورة البشر أى: أخبرهم بما جرى على إبراهيم من الأمر الذى اجتمع فيه له الرجاء والخوف، ليعتبروا بذلك.

معاني الكلمات:

فأنظرني: أمهلنى

ولأغوينهم: لأحملنهم على الغواية والضلال

نصب: تعب وإعياء.

جزء مقسوم: فريق معين

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

٥٢/ ٥٦ ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا قال إنّا منكم وجلون...﴾ أى فزعون خائفون، قال هذا بعد أن قرب إليهم العجل فرآهم لا يأكلون منه، كما تقدم فى صورة هود.

﴿قالوا لا توجل﴾ أى قالت الملائكة لا تخف ﴿إنّا نبشرك بغلام عليم﴾ كثير العلم. هو إسحاق ﴿قال أبشرتموني على أن مسني الكبر﴾ أى مع حالة الكبر والهرم ﴿فبم تبشرون﴾ عجب من حصول الولد له مع ما قد صار إليه من الهرم، فإن البشارة بما لا تكون عادة لا تصح ﴿قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين﴾ أى لا تكن من اليائسين. فآب إبراهيم سريعًا ونفى عن نفسه القنوط من رحمة الله.

﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلاّ الضالون﴾ وهنا اطمأن إبراهيم إلى الملائكة، وهدأت نفسه واطمأنت للبشرى -راح يستطلع الأمر وسبب مجيئهم وغايته.

٥٧ ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون...﴾ أى فما أمركم وشأنكم.

٥٨ ﴿قالوا إنّا أرسلنا إلى قوم مجرمين...﴾ هم قوم لوط.

٥٩ ﴿إلاّ آل لوط...﴾ فليسوا مجرمين ﴿إنّا لمنجوهم أجمعين﴾ أى آل لوط وهم أهله وأتباعه وأهل دينه.

٦٠ ﴿إلاّ امرأته قدرنا إنّها لمن الغابرين...﴾ حكمنا أنها من الباقين فى العذاب مع الكفرة.

٦١/ ٦٢ ﴿فلمّا جاء آل لوط المرسلون (٦١) قال إنّكم قوم منكرون﴾ أى: قال لا أعرفكم بل أنكركم ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ أى يشكون فيه. وضاقت نفس لوط وهو يعرف قومه وماذا سيحاولون بأضيافه ﴿وأتيناك بالحق﴾ وهو العذاب النازل بهم لا محالة ﴿وإنّا لصادقون﴾ فى ذلك الخبر الذى أخبرناك.

٦٥ ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل...﴾ اخرج بهم ليلاً ﴿واتبع أدبارهم﴾ أى كن من ورائهم تقودهم لئلا يتخلف منهم أحد فيناله العذاب ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ أى إلى الجهة التى أمركم الله سبحانه بالمضى إليها. قيل: هى أرض الخليل.

٦٦ ﴿وقضينا إليه...﴾ أى أوحينا إلى لوط ﴿ذلك الأمر﴾ وهو إهلاك قومه، ثم فسره بقوله ﴿أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ أى: أن من يبقى منهم يهلك وقت الصباح.

٦٧/ ٧٠ ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون...﴾ طمعًا فى ارتكاب الفاحشة قال لهم لوط ﴿قال إنّ هؤلاء ضيفي﴾ ﴿فلا تفضحون﴾ بتعرضكم لهم بالفاحشة، فيعلموا أنى عاجز عن حماية من نزل بى ﴿واتقوا الله﴾ فى أمرهم ﴿ولا تخزون﴾ من الخزى: وهو الذل والهوان ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ وقيل: نهوه عن ضيافة الناس.

معانى الكلمات:

القانطين: الآيسين من الخير

قدّرنا: علمنا

الغابرين: الباقين فى العذاب

دابر هؤلاء: آخرهم والمراد جميعهم.

قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ
الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ
الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي
أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

٧١ ﴿قال هؤلاء بناتي...﴾ فتزوجوهن ﴿إن كنتم فاعلين﴾ الفاحشة بضيفى، فهؤلاء بناتى تزوجوهن حلالاً ولا ترتكبوا الحرام.

٧٢ ﴿لعمرك...﴾ اتفق أهل التفسير فى هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ ﴿إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ وذلك تصوير حالتهم الأصلية الدائمة ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين﴾.

٧٣/ ٧٧ ﴿فأخذتهم الصيحة...﴾ العظيمة أو صيحة جبريل حال كونهم ﴿مشرقين﴾ أى داخلين فى وقت الشروق ﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ وقرى لوط فيها عظات لمن يتفرس ويتأمل ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ للمتفكرين الناظرين فى الأمر ﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ يعنى قرى لوط ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ وكان نزول الملائكة ايذانا بعذاب الله الذى لا يرد ولا يمهل ولا يحيد.

٧٨/ ٧٩ ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ وأصحاب الأيكة: هم قوم شعيب ﴿فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين﴾ مدينة قوم لوط، ومكان أصحاب الأيكة وطريقها واضح غير مندثر.. فهى شاهد حاضر يراه الرائح والغادى.

٨٠/ ٨٤ ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ الحجر، إسم لديار ثمود قوم نبى الله صالح ﴿وآتيناهم آياتنا﴾ المنزلة على نبيهم ومن جملتها الناقة ﴿فكانوا عنها معرضين﴾ غير معتبرين، ولهذا عقروا الناقة وخالفوا ما أمرهم به نبيهم ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا﴾ أى يخرقونها فى الجبال ﴿آمنين﴾ من العذاب ركونًا منهم على قوتها ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ أى داخلين فى وقت الصبح. ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ أى لم يدفع عنهم شيئًا من عذاب الله ما كانوا يكسبون من الأموال وما ينحتون فى الجبال.

الدرس الخامس
(الحق الأكبر
الذى يقوم به الوجود)
من الآية ٨٥/ ٩٩

٨٥/ ٨٦ ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق...﴾ والحق: هو مجازاة المحسن بإحسانه، والمسئ بإساءته ﴿وإن الساعة لآتية﴾ وعند إيتانها ينتقم الله ممن يستحق العذاب، ويحسن إلى من يستحق الإحسان ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ تجاوز عنهم واعف عنهم.

٨٧/ ٨٩ ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني...﴾ أكثر المفسرين اتفقوا على أن المثانى هى الآيات السبع من السورة فاتحة الكتاب وسميت مثانى لأنها تثنى، أى تكرر فى كل صلاة.

﴿والقرآن العظيم﴾ جميع القرآن ﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ أى لا تطمح ببصرك إلى زخارف الدنيا والأزواج: الأغنياء وأشباههم ﴿ولا تحزن عليهم﴾ حيث لم يؤمنوا ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ أى تواضع ولين لهم جانبك.

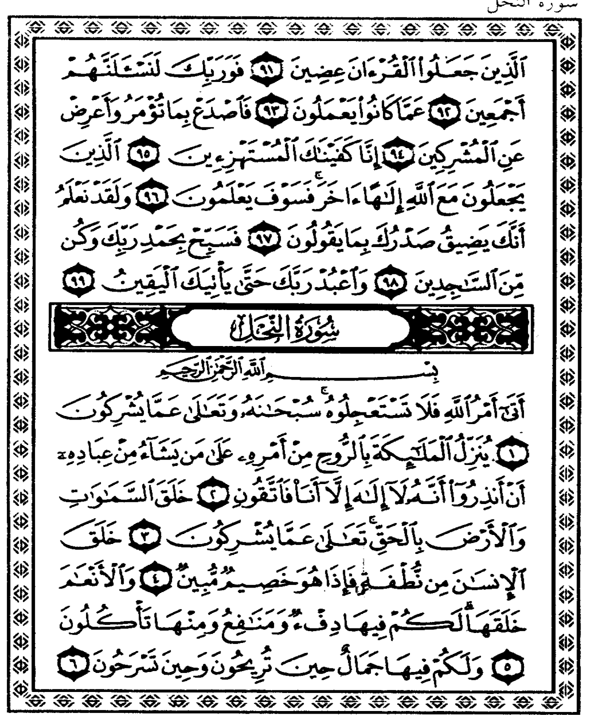
سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾

قال الحسين بن الفضل: إن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظه والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البزّ وأوعية الطيب والجواهر وأمتعة البحر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها فأنفقناها فى سبيل الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٨٩ ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ أى المنذر المظهر لقومه ما يصيبهم من عذاب الله.

٩٠ ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ أى: أنذرتكم ما أنزلنا على أهل الكتاب من العذاب.

معاني الكلمات:
يعمهون: يعمون
سجّيل: طين متحجر طبخ بالنار


الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ السَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
الْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَٰمَ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

٩١ ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ أى أجزاء متفرقة، بعضه شعر، وبعضه سحر وقيل عضين: إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض.

٩٢/ ٩٣ ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ وذلك يوم القيامة ﴿عما كانوا يعملون﴾ فى الدنيا من الأعمال التى يحاسبون عليها.

٩٤ ﴿فاصدع بما تؤمر...﴾ أى أظهر دينك وفرق جمعهم وكلمتهم، بأن تدعوهم إلى التوحيد، فإنهم يتفرقون بعد إظهار الدعوة بين مؤمن وكافر بها ﴿وأعرض عن المشركين﴾ أى لا تبال بهم.

٩٥/ ٩٦ ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ وهؤلاء كانوا خمسة هم رؤساء أهل مكة ﴿الذين يجعلون مع الله إلها آخر﴾ فكان ذنبهم الشرك بالله سبحانه ﴿فسوف يعلمون﴾ كيف عاقبتهم فى الآخرة.

٩٧/ ٩٩ ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ والرسول ﷺ بشر لا يملك نفسه أن يضيق صدره ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ أى المصلين ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أى الموت، والمعنى: أعبد ربك أبدًا ما دمت حيا.

سورة النحل

الدرس الأول: التوحيد
من الآية ١/ ٢١
مدة الحفظ: (يومان)

١ ﴿أتى أمر الله...﴾ أى ظهور محمد ﷺ وقيل: عقاب الله للمشركين وقال جماعة من المفسرين: هو يوم القيامة ﴿فلا تستعجلوه﴾ فسيكون فى حينه ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ أن يكون له شريك حاشاه

سبب نزول قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ ... وقال الآخرون: الأمر هاهنا العذاب بالسيف وهذا جواب للنضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، يستعجل العذاب، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٢ ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره...﴾ يأتون به إلى من اختصه بذلك وهم الأنبياء ﴿أن أنذروا﴾ أى أعلموا الناس ﴿أنه لا إله إلا أنا﴾ أى مروهم بتوحيدى ﴿فاتقون﴾ وأعلموهم مع تخويفهم تحذيرًا لهم من الشرك.

٣ ﴿خلق السموات والأرض بالحق...﴾ أوجدهما على هذه الصفة للدلالة على قدرته (تعالى) الله ﴿عما يشركون﴾ أى ترفع وتقدس عن إشراكهم.

٤ ﴿خلق الإنسان من نطفة...﴾ من جماد يخرج من حيوان، وهو المنى، فنقله أطوارًا إلى أن كملت صورته ﴿فإذا هو﴾ بعد خلقه ﴿خصيم﴾ كالمخاصم لله سبحانه فى قدرته ﴿مبين﴾ ظاهر الخصومه واضحها.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ نزلت هذه الآية فى أبى بن خلف حين جاء بعظم رميم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أترى الله يحيى هذه بعدما قد رم؟

٥ ﴿والأنعام خلقها لكم...﴾ وهى الإبل والبقر والغنم ﴿فيها دفء﴾ وهو ما استدفئ به من أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿ومنافع﴾ وهى درها وركوبها.. ﴿ومنها تأكلون﴾ أى من لحومها وشحومها.

٦ ﴿ولكم فيها جمال...﴾ تجمل

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم
بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ
الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ
مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
(١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي
سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)

وتزين عند الناظرين إليها ﴿حين تريحون وحين تسرحون﴾ وقت ردها من مراعيها، ووقت تسريحها إليها.

٧ ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس...﴾ والأثقال: هى متاع المسافر من طعام وغيره. وقيل: تحمل أبدانكم إلى بلد لم تكونوا واصلين إليه إلا بمشقة تنالكم وترهق أبدانكم.

٨ ﴿والخيل والبغال والحمير...﴾ أى: وخلق لكم هذه الثلاثة أصناف ﴿لتركبوها﴾ والانتفاع بها ﴿وزينة﴾ فتجدون فى ذلك الفرح في نفوسكم ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ أى ما لا يحيط علمكم به من المخلوقات.

٩ ﴿وعلى الله قصد السبيل...﴾ وعلى الله بيان الطريق ﴿ومنها جائر﴾ أى يميل عن القصد فتطول بكم الطريق ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ إلى الطريق الصحيح، ولكنه لم يشأ، بل يهدى بعضا ويضل بعضًا.

١٠ ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب...﴾ يشربه الناس والمواشى ﴿ومنه شجر فيه تسيمون﴾ أى ترعون مواشيكم وهذا هو الفوج الثانى من الخلق والنعمة.

١١ ﴿ينبت لكم به الزرع...﴾ كل ذلك يأكل منها الإنسان وهى الزروع مع الزيتون والنخيل والأعناب وغيرها من أشجار الثمار ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾.. يتفكرون فى تدبير الله لهذا الكون ونواميسه المواتية لحياته، موافقة لفطرته، ملبية لحاجاته، والذين يتفكرون هم الذين يدركون حكمة التدبير.

١٢ ﴿وسخر لكم الليل والنهار...﴾ وهذا هو الفوج الثالث من أفواج الآيات وكلها من مظاهر التدبير فى الخلق وظواهر النعمة على البشر وهى لم تخلق فقط ولكنها مسخرة لمنفعته.

١٣ ﴿وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه...﴾ وهذا هو الفوج الرابع من أفواج النعمة فيما خلق الله للإنسان: ما خلق الله فى الأرض وأودع فيها للبشر من مختلف المعادن فيستخرجوا هذه الذخائر والكنوز فى حينها ووقت الحاجة إليها.

١٤ ﴿وهو الذي سخر البحر...﴾ بتمكينكم من الركوب عليه، واستخراج ما فيه من صيد وجواهر ﴿لتأكلوا منه لحما طريا﴾ المراد به: السمك ووصفه بالطراوة للإشعار بلطافته ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ أى: لؤلؤًا ومرجانا يجوز للرجال والنساء أن يلبسوها ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ أى ترى السفن تجرى فى البحر تشق عباب الماء بصدورها ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أى: لتتجروا فيه فيحصل لكم الربح من فضل الله ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أى: إذا وجدتم فضله عليكم اعترفتم بنعمته عليكم، فشكرتم باللسان والأركان.

معانى الكلمات:

عضين: أجزاء   اليقين: الموت

بالروح: بالوحى.

حين تريحون: تردونها بالعشى

بشق الأنفس: بمشقتها

ذرأ لكم: خلق

وحين تسرحون: تخرجونها بالغداة

ومنها جائر: مائل

مواخر فيه: تشق الماء.

وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ
أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ
فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ
لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ
قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا
سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

١٥ ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم... ﴾ وهذا هو الفوج الأخير فى هذا الدرس والرواسى هى الجبال الثابتة لئلا تضطرب الأرض بكم ﴿ وأنهارا وسبلا ﴾ أى: طرقا أظهرها وبينها لتهتدوا بها فى أسفاركم ﴿ لعلكم تهتدون ﴾.

١٦ ﴿ وعلامات... ﴾ أى: وجعل فيها علامات، وهى معالم الطرق ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ يهتدون بأنواع النجوم المختلفة فيعرفون الجهات، ويهتدون فى سفرهم ليلاً وقيل: المراد بالنجم هنا هو الجدى.

١٧/ ١٨ ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق... ﴾ فهل هناك إلا جواب واحد. لا. وكلا ﴿ أفلا تذكرون ﴾ فما يحتاج الأمر إلى أكثر من التذكر ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ فضلا على أن تشكروها فيسعكم غفران الله ﴿ إن الله لغفور رحيم ﴾ لا يؤاخذكم بالغفلة عن شكر النعمة. اللهم إنى أشكرك عدد ما شكرك الشاكرون بكل لسان فى كل زمان.

١٩/ ٢٠ ﴿ والله يعلم ما تسرون... ﴾ أي: تضمرون من الأمور ﴿ وما تعلنون ﴾ أى: تظهرون منها ﴿ والذين يدعون من دون الله ﴾ أى: الآلهة الذين يدعوهم الكفار ﴿ لا يخلقون شيئا ﴾ من المخلوقات أصلاً لا كبيراً ولا صغيرا ﴿ وهم يخلقون ﴾ يصنعهم الكفار من الخشب أو الحجارة أو غير ذلك. !!

الدرس الثانى
(المستكبرون المنكرون)
من الآية ٢٢/ ٥٠
مدة الحفظ: (٢ أيام)

٢٢ ﴿ إلهكم إله واحد... ﴾ هو الحق وهو وحدانيته سبحانه ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة ﴾ للوحدانية، لا يؤثر فيها وعظ، ولا ينجع فيها تذكير ﴿ وهم مستكبرون ﴾ عن قبول الحق.

٢٣ ﴿ لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون... ﴾ أى حقًا أن الله يعلم ما يسرون من أقوالهم وأفعالهم وما يعلنون من ذلك ﴿ إنه لا يحب المستكبرين ﴾ أى: لا يحب كل من استكبر، ومنهم هؤلاء الذين يستكبرون عن توحيد الله.

٢٤ ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم... ﴾ قيل: القائل المسلمون، فأجاب المشركون المتكبرون المنكرون ﴿ قالوا أساطير الأولين ﴾ أى هى الأباطيل والترهات التى يتحدث بها الناس عن القرون الأولى!!

٢٥ ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة... ﴾ فيؤدى ذلك الإنكار والاستهتار إلى حمل ذنوبهم وشطر من ذنوب الذين يضلونهم بهذا القول.. ويصور التعبير أحمالاً ذات ثقل -وساءت أحمالاً وأثقالاً ﴿ ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴾ أى جاهلين بما يلزمهم من الآثام.

٢٦ ﴿ قد مكر الذين من قبلهم... ﴾ وهو مشهد للتدمير الكامل الشامل يطبق عليهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد ﴾ أتاها أمر الله من جهة قواعدها فزعزعها ﴿ فخر عليهم السقف ﴾ سقط عليهم ﴿ من فوقهم ﴾ فهلكوا، وما أفلتوا ﴿ وأتاهم العذاب ﴾ أى: الهلاك ﴿ من حيث لا يشعرون ﴾ به بل من حيث ظنوا أنهم فى أمان.

معانى الكلمات:

رواسي: جبالاً ثوابت

أن تميد بكم: لئلا تتحرك

أوزارهم : آثامهم.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ
الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ
اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

٢٧ ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم...﴾ بإدخالهم النار، ويفضحهم بذلك ﴿ويقول﴾ لهم مع ذلك توبيخًا وتقريعًا ﴿أين شركائي﴾ كما تزعمون وتدعون ﴿الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ أى: تخاصمون الأنبياء والمؤمنين فيهم ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ قيل: هم العلماء، قالوه لأممهم، وكان هذا القول منهم على طريق الشماتة ﴿إن الخزي اليوم﴾ أى الفضيحة يوم القيامة ﴿والسوء﴾ أى العذاب ﴿على الكافرين﴾ مختص بهم.

٢٨ ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...﴾ بالكفر بما أنزل الله ﴿فألقوا السلم﴾ أى: أقروا بالربوبية وانقادوا عند الموت، وتركوا المشاقة عند رؤية ملائكة الموت ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ قالو هذا كذبا. وقيل: إنهم لم يعملوا سوءا فى اعتقادهم. فأجاب أهل العلم ﴿بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ أى بل كنتم تعملون السوء ولا ينفعكم هذا الكذب شيئا.

٢٩ ﴿فادخلوا أبواب جهنم...﴾ أى: يقال لهم ذلك عند الموت ﴿خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ جهنم، بسبب تكبرهم عن الإيمان والعبادة.

٣٠ ﴿وقيل للذين اتقوا...﴾ وهؤلاء هم المؤمنون على الجانب الآخر يقابلون المنكرين المستكبرين فى المبدأ والمصير: ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ ﴿قالوا خيرا﴾ أى أنزل خيرا ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ أى: يقولون هذا القول الذى أنزله الله، وقيل: هذا من كلام الله سبحانه وتعالى، والمعنى: للذين أحسنوا أعمالهم في الدنيا مثوبة حسنة فى الدنيا ﴿ولدار الآخرة﴾ أى مثوبتها ﴿خير﴾ مما أوتوا فى الدنيا ﴿ولنعم دار المتقين﴾ دار الآخرة.

٣١ ﴿لهم فيها ما يشاءون...﴾ أى: لهم ذلك فى الجنات صفوًا عفوًا يحصل لهم بمجرد اشتهائهم له ﴿كذلك يجزي الله المتقين﴾ وهم كل من يتقى الشرك، وما يوجب النار من المعاصى.

٣٢ ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين...﴾ طاهرين من الشرك، أو صالحين، أو زاكية أفعالهم وأقوالهم، أو طيبي الأنفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله ﴿يقولون سلام عليكم﴾ أى: تسلم عليهم الملائكة تبشيرًا لهم بالجنة، لأن السلام أمان ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ أى: بسبب عملكم.

٣٣ ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة...﴾ هل ينتظرون فى تصديق نبوتك أن تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ أى: بعذابه فى الدنيا المستأصل لهم ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ بتدميرهم بالعذاب فإنه أنزل بهم ما استحقوه بكفرهم.

٣٤ ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا...﴾ جزاء سيئات أعمالهم ﴿وحاق بهم﴾ أى: نزل بهم على وجه الإحاطة ﴿ما كانوا به يستهزءون﴾ أى: العذاب الذى كانوا به يستهزئون.

معانى الكلمات:

يخزيهم: يذلهم

مثوى المتكبرين: مأواهم

فألقوا السلم: أظهروا الاستسلام

وحاق بهم: أحاط. أو نزل بهم.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن
شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ
(٣٥) وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ
وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ
حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ (٣٦) إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ
فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٣٧)
وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ
وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٣٨)
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ
كَانُواْ كَٰذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٤٠) وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ
لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ
يَعۡلَمُونَ (٤١) ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)

٣٥ ﴿وقال الذين أشركوا...﴾ من أهل مكة ﴿لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ أى: لو شاء الله عدم عبادتنا لشئ غيره ما عبدنا ذلك ﴿نحن ولا آباؤنا﴾ الذين كانوا على ما نحن عليه الآن من الشرك بالله ﴿ولا حرمنا من دونه من شيء﴾ من السوائب والبحائر ونحوهما ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ من طوائف الكفر ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ﴾ أما حساب أقوامهم فعلى الله وليس على الرسل.

٣٦ ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا...﴾ لإقامة الحجة عليهم ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ أى: اتركوا كل معبود دون الله ﴿فمنهم﴾ أى: من هذه الأمم التى بعث الله إليها رسله ﴿من هدى الله﴾ أى: أرشده إلى دينه وتوحيده واجتناب الطاغوت ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ أى: وجبت وثبتت، لإصراره على الكفر ﴿فسيروا في الأرض﴾ سير معتبرين ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من الأمم السابقة عند مشاهدتكم لآثارهم، كعاد وثمود.

٣٧ ﴿إن تحرص على هداهم...﴾ تطلب بجهدك ذلك ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ أى: لا يرشد من أضله وقيل: من يضله الله فلا أحد يهديه ﴿وما لهم من ناصرين﴾ ينصرونهم على الهداية لمن أضله الله، أو ينصرونهم بدفع العذاب عنهم.

٣٨ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم...﴾ أى جاهدين ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ من عباده وهم يحلفون إن الله كاذب، قاتلهم الله. فرد عليهم ذلك بقول ﴿بلى﴾ أى: بلى يبعثهم ﴿وعدا عليه حقا﴾ لا خلف فيه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أن ذلك يسير عليه سبحانه غير عسير.

٣٩ ﴿ليبين لهم...﴾ يبعثهم ليبين لهم ﴿الذي يختلفون فيه﴾ الأمر الذى وقع الخلاف بينهم فيه ﴿وليعلم الذين كفروا﴾ بالله وانكروا البعث ﴿أنهم كانوا كاذبين﴾ فى جدالهم وإنكارهم البعث.

٤٠ ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ لبيان كيفية الإبداء والإعادة.

٤١ ﴿والذين هاجروا...﴾ الهجرة ترك الأهل والأوطان ﴿في الله﴾ فى سبيل نصر دين الله ﴿من بعد ما ظلموا﴾ أى: عذبوا وأهينوا ﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ فقيل المراد: نزولهم المدينة وما استولوا عليه من فتوح البلاد ﴿ولأجر الآخرة﴾ أي: جزاء أعمالهم فى الآخرة ﴿أكبر﴾ أى: أكبر مما حصله المهاجرون من حسنات الدنيا الآنفة الذكر ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أى: لو كان هؤلاء الظلمة يعلمون ذلك.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا﴾ الآية.

نزلت فى أصحاب النبى ﷺ بمكة بلال وصهيب وخباب وعمار وأبى جندل بن سهيل أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم وآذوهم، فبوأهم الله تعالى بعد ذلك المدينة.

٤٢ ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يتوكلون فى جميع أمورهم.

معاني الكلمات:
لنبوئنهم: لننزلنهم.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
(٤٤) أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ
فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٤٧) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ
يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
(٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠) ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ
اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن
نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ
إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤)

٤٣/ ٤٤ ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم...﴾ رد على قريش حيث زعموا أن الله سبحانه أجلّ من أن يرسل رسولاً من البشر ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿بالبينات والزبر﴾ أى: أرسلناهم بالبينات والزبر. ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ أى القرآن ﴿لتبين للناس﴾ جميعا بأقوالك وأفعالك ﴿ما نزل إليهم﴾ في هذا الذكر من الأحكام الشرعية والوعد والوعيد ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ أى ليتأملوا ويعملوا أفكارهم فيتعظوا.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم﴾ نزلت فى مشركى مكة، أنكروا نبوة محمد ﷺ وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، فهلا بعث إلينا ملكًا.

٤٥ ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات...﴾ تآمروا ليضلوا الناس عن التصديق بالنبوة ﴿أن يخسف الله بهم﴾ كما خسف بقارون ﴿الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ به فى حال غفلتهم عنه، كما فعل بقوم لوط وغيرهم.

٤٦/ ٤٧ ﴿أو يأخذهم في تقلبهم...﴾ فى أسفارهم ومتاجرهم وفى حال إقبالهم وإدبارهم ﴿فما هم بمعجزين﴾ أى: بفائتين ولا ممتنعين ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ أى على تنقص: إما بقتل أو بموت، يعنى ينقص من أطرافهم ونواحيهم ﴿فإن ربكم لرءوف رحيم﴾ لا يعاجل، بل يمهل رأفة بكم.

٤٨ ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء...﴾ من الجبال والأشجار ونحوها ﴿يتفيأ ظلاله﴾ يميل من جانب إلى جانب ويكون أول النهار على حال ويتقلص، ثم يعود فى آخر النهار على حالة أخرى ﴿عن اليمين والشمائل﴾ أى عن جانبى كل واحد منهما ﴿سجدا لله﴾ أى حال كون الظلال سجدًا لله ﴿وهم داخرون﴾ أى خاضعون صاغرون.

٤٩/ ٥٠ ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة...﴾ أى: له وحده يخضع وينقاد -لا لغيره- ﴿والملائكة وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة ربهم وعن السجود ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ من طاعة الله، يعنى الملائكة، أو جميع من تقدم ذكره. وبهذا المشهد يختم الدرس الذى بدأ بالإشارة إلى المنكرين المستكبرين.

الدرس الثالث

(دلائل الألوهية)

من الآية رقم ٥١/ ٧٦

مدة الحفظ: (٣ أيام)

٥١/ ٥٤ ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين...﴾ ﴿إنما هو إله واحد﴾ لا ثانى له ﴿فإياي فارهبون﴾ دون سواي بلا شبيه أو نظير.

﴿وله ما في السموات والأرض﴾ ودائن واحد ﴿وله الدين واصبا﴾ أى واصلا. ثابتا واجبًا دائما لا يزول ومنعم واحد ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ وفطرتكم تلجأ إليه وحده ساعة العسرة والضيق ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ وتصرخون لينجيكم مما أنتم فيه. والضر: المرض والبلاء والحاجة والقحط وكل ما يتضرر به الإنسان.

معاني الكلمات:

والزبر: كتب الشرائع والتكاليف.

يخسف: يغيب

وهم داخرون: منقادون

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ
لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن
قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

٥٥/٥٩ ﴿ليكفروا بما آتيناهم...﴾ يعنى ما كانت عاقبة تلك التضرعات إلا هذا الكفر ﴿فتمتعوا﴾ بما أنتم فيه من عبادة غير الله ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة أمركم وما يحل بكم من العذاب ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا ممّا رزقناهم﴾ فإذا هم يحرمون على أنفسهم بعض الأنعام لا يركبونها أو لا يذوقون لحومها ﴿تالله لتسألنّ عمّا كنتم تفترون﴾ فهذا الإفتراء يحطم العقيدة من أساسها لأنه يحطم فكرة التوحيد ﴿ويجعلون لله البنات﴾ هؤلاء عرب الجاهلية كانوا يزعمون أن لله بنات -هن الملائكة - على حين أنهم كانوا يكرهون لأنفسهم ولادة البنات ﴿ولهم مّا يشتهون﴾ فيجعلون لله البنات أما هم فيجعلون لأنفسهم ما يشتهون من الذكور.

ويرسم السياق صورة منكرة لعادات الجاهلية: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودًّا وهو كظيم﴾ مسودًا من الهم والحزن والضيق وهو كظيم يكظم غيظه وغمه كأنها بلية. ﴿يتوارى من القوم﴾ يختفى ﴿من سوء ما بشّر به﴾ من سوء الحزن والعار والحياء ﴿أيمسكه﴾ أى: لا يزال مترددًا بين الأمرين أن يمسكها أو يدفنها فى التراب بالوأد ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ وما أسوأه من حكم وتقدير.

٦٠ ﴿للّذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السّوء...﴾ أى النقص إنما ينسب إليهم ﴿ولله المثل الأعلى﴾ أى الكمال المطلق من كل وجه وهو منسوب إليه ﴿وهو العزيز الحكيم﴾.

٦١/ ٦٢ ﴿ولو يؤاخذ اللّه النّاس بظلمهم...﴾ والناس هنا هم الكفار وجميع العصاة ومن ظلمهم دعوى المشركين أن الأصنام بنات الله ﴿مّا ترك عليها﴾ أى على الأرض كل ما يدب عليها وذلك بإهلاك الظالم انتقاما منه، وإهلاك غيره بشؤم ظلم الظالمين ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمّى﴾ وهو منتهى حياتهم وانقضاء أعمارهم أو أجل عذابهم ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ ثم يجزيهم بأعمالهم السيئة وما هو -عز وجل- بظلام للعبيد.

٦٣ ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم مّن قبلك...﴾ يقسم تعالى بنفسه لرسوله فيقول لقد أرسلنا رسلاً إلى أمم كانوا مشركين كأمتك فقاوموا رسلنا وحاربوهم وأصروا على الشرك والكفر فتولاهم الشيطان ﴿فزيّن لهم الشّيطان أعمالهم﴾ فهو وليهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة ﴿عذاب أليم﴾.

٦٤ ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الّذي اختلفوا فيه...﴾ فوظيفة الكتاب الأخير والرسالة الأخيرة، هى الفصل فيما شجر من خلاف بين أصحاب الكتب السابقة وطوائفهم. إذ الأصل هو التوحيد، وكل ما طرأ على التوحيد من شبهات كله باطل جاء القرآن ليجلوه وينفيه.

معاني الكلمات:

تفترون: تكذبون على الله

يدسه: يخفيه — كظيم: ممتلئ غمّا

لا جرم: لا محالة

يتوارى: يستخفى

مفرطون: مقدمون معجل بهم إلى النار.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥) وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا
فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ (٦٦)
وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ
أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِى
مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ
ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) وَٱللَّهُ
فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى
رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ
ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢)

٦٥ ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها...﴾ أى: أحياها بالنبات بعد أن كانت يابسة لا حياة بها ﴿إن في ذلك﴾ الإنزال والإحياء ﴿لآية﴾ دالة على وحدانيته وعلى بعثه للخلق ومجازاتهم ﴿لقوم يسمعون﴾ كلام الله، ويفهمون ما يتضمنه من العبر.

٦٦ ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة...﴾ فى تسخيرها وطاعتها لكم ﴿نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم﴾ وعملية تحول الخلاصات الغذائية فى الجسم إلى دم وما وراء الوصف العام لعمليات الامتصاص والتحول والاحتراق تفصيلات تدير العقل. ووجود حقيقة واحدة من نوع هذه الحقيقة يكفى وحده لإثبات الوحى من الله بهذا القرآن ويفحم المجادلين المتعنتين.

٦٧ ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا...﴾ والنص يلمح إلى أن الرزق الحسن غير الخمر، وأن الخمر ليست رزقا حسنا. فمن يصنع هذا الرزق هو الذى يستحق العبودية له وهو الله.

٦٨/ ٦٩ ﴿وأوحى ربك إلى النحل...﴾ الوحى: الإلهام. والنحل تعمل بإلهام من الفطرة التى أودعها إياها الخالق فتتخذ بيوتها فى الجبال والشجر ومما يعرشون. ﴿أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾ ﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾ تأكل من الزهر والثمر ﴿فاسلكي سبل ربك﴾ أى: الطرق التى فهمك الله وعلمك فى الجبال وخلال الشجر، أو اسلكى ما أكلت فى سبل ربك أى: فى مسالكه التى يحول فيها بقدرته الرحيق عسلاً ﴿ذللا﴾ أى: مذللة غير متوعرة ﴿شراب﴾ هو العسل ﴿مختلف ألوانه﴾ بعضه أبيض، وبعضه أحمر وبعضه أصفر ﴿فيه شفاء للناس﴾ قالت طائفة: إن ذلك خاص ببعض الأمراض ﴿إن في ذلك﴾ من أمر النحل ﴿لآية لقوم يتفكرون﴾ والنص على أن العسل فيه شفاء للناس قد شرحه بعض المختصين فى الطب. شرحًا فنيًا. وهو ثابت بمجرد نص القرآن عليه.

٧٠ ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر...﴾ وهذه اللمسة فى الحياة والوفاة وهى متصلة بكل فرد وبكل نفس، والحياة حبيبة، والتفكر فى أمرها قد يرد القلب الصلد إلى شئ من اللين وإلى شئ من الإحساس بيد الله ونعمته وقدرته... ﴿إن الله عليم قدير﴾.

٧١ ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق...﴾ وهذه اللمسة فى الرزق والتفاوت فيه ملحوظ والنص يرد هذا التفاوت إلى تفضيل الله لبعض على بعض فى الرزق ولهذا التفضيل أسبابه الخاصة لسنة الله.

٧٢ ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا...﴾ وهذه اللمسة فى الأنفس والأزواج والأبناء والأحفاد وتبدأ بتقرير الصلة الحية بين الجنسين فهن من أنفسكم، شطر منكم، لا جنس أحط يتوارى من يبشر به ويحزن.

معاني الكلمات:

لعبرة: لعظة فرث: ما فى الكرش
سكرا: خمرًا ذللا: مذللة مسهلة لك
أرذل العمر: أردئه (الخرف والهرم).

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن
يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ
أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

٧٣ ﴿أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون﴾ فيشركون ويخالفون عن أمره.

٧٤ ﴿فلا تضربوا لله الأمثال...﴾ إنه ليس لله مثال حتى تضربوا له الأمثال ﴿إنّ الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾

٧٥/ ٧٦ ﴿ضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء...﴾ يكتسبه، فهو لا يملك شيئا ﴿ومن رزقناه منا﴾ من جهتنا ﴿رزقًا حسنا﴾ من الأحرار الذين يملكون الأموال ويتصرفون بها كيف شاءوا ﴿فهو ينفق منه﴾ فى وجوه الخير ﴿سرًا وجهرا﴾ فى أى وقت شاء بكامل إرادته ﴿هل يستوون﴾ هل يستوى الحر والعبد، فكذلك لا يستوى الرب الرزاق، والجمادات من الأصنام ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم﴾ والأبكم وقيل: هو الأقطع اللسان الذى لا يحسن الكلام ﴿لا يقدر على شيء وهو كلٌ على مولاه﴾ ثقيل على وليه وقرابته ﴿أينما يوجهه لا يأت بخير﴾ لأنه عاجز عن التصرف لا يمكنه أن يتكلم ﴿هل يستوي هو﴾ في نفسه مع هذه الأوصاف التى اتصف بها ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ أى يأمر الناس بالعدل ﴿وهو﴾ فى نفسه ﴿على صراط مستقيم﴾ على دين قويم وسيرة صالحة.

وبهذين المثلين يختم هذا الدرس الذى بدأ بأمر الله للناس ألا يتخذوا إلهين اثنين وختم بالتعجب من أمر قوم يتخذون إلهين اثنين!

الدرس الرابع

(أسرار غيب الله...)

من الآية ٧٧/ ٨٩

مدة الحفظ: (يوم واحد)

٧٧ ﴿ولله غيب السموات والأرض...﴾ يختص به سبحانه لا يشاركه أحد ﴿وما أمر الساعة﴾ من الغيوب المختصة به سبحانه ﴿إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب﴾ لأنه يقول للشئ كن فيكون ﴿إنّ الله على كل شيء قدير﴾ ومجئ الساعة بسرعة دليل على مقدوراته.

٧٨ ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا...﴾ أى أطفالاً لا علم لكم بشئ ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ ركب فيكم هذه الأشياء، لتحصلوا بها العلم الذى كان مسلوبا عنكم عند إخراجكم من بطون أمهاتكم ﴿لعلكم تشكرون﴾ فتعرفوا مقدار ما أنعم الله به عليكم فتشكروه.

٧٩ ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات.﴾ مذللات للطيران بما خلق الله لهما من الأجنحة، وسائر الأسباب المواتيه لها لذلك، ﴿في جو السماء﴾ فى الهواء المتباعد من الأرض ﴿ما يمسكهن﴾ فى الجو ﴿إلاّ الله﴾ بقدرته الباهرة ﴿إنّ في ذلك لآيات﴾ تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ﴿لقوم يؤمنون﴾ بالله سبحانه وبما جاء به رسله من الشرائع التى شرعها الله.

معانى الكلمات:

وهو كلٌ: عبء

كلمح البصر: كخطفة بالبصر.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ
(٨٠) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ
ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٣) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
(٨٤) وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ (٨٥) وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ
قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ
فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ (٨٦) وَأَلْقَوْا۟
إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٨٧)

٨٠ ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا...﴾ تسكنون فيها وتهدأ جوارحكم من الحركة ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا﴾ وهى بيوت البادية والرحلة كالخيام والقباب ﴿تستخفونها﴾ يخف عليكم حملها فى الأسفار وغيرها ﴿يوم ظعنكم﴾ الظعن: سير أهل الباديه من موضع إلى موضع ﴿ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا﴾ الأصواف للغنم، والأوبار للإبل، والأسفار للمعز، والأثاث متاع البيت، والمتاع ما يفرش فى المنازل ويتزين به ﴿إلى حين﴾ إلى أن تبلى وتفنى باستخدامكم إياها.

٨١ ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا...﴾ أى أشياء تستظلون بها من حر الشمس ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانا﴾ وهو ما يستكن به من المطر ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ هى القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها ﴿تقيكم الحر﴾ تدفع عنكم ضرره ﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ وهى الدروع التى يتقون بها الطعن والضرب والرمى فى الحروب ﴿كذلك يتم نعمته عليكم﴾ بصنوف النعم المذكورة هاهنا وبغيرها ﴿لعلكم تسلمون﴾ فإن من أمعن النظر فى هذه النعم لم يسعه إلا الإسلام والانقياد للحق.

٨٢ ﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين﴾ وليس عليك غير ذلك.

٨٣ ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها...﴾ ينكرونها بأفعالهم القبيحة من عبادة غير الله ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ أى الجاحدون لنعم الله.

٨٤ ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدا...﴾ وشهيد كل أمة نبيها، يشهد لهم بالإيمان، وعليهم بالكفر ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الاعتذار، إذ لا حجة لهم ولا عذر ﴿ولا هم يستعتبون﴾ لأن العتاب إنما يطلب لأجل العود إلى الرضا.

٨٥ ﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب...﴾ الذى يستحقونه بشركهم وهو عذاب جهنم ﴿فلا يخفف﴾ ذلك العذاب ﴿عنهم ولا هم ينظرون﴾ أى ولا هم يمهلون ليتوبوا.

٨٦ ﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم...﴾ أى: أصنامهم وأوثانهم التى عبدوها ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك﴾ ومقصودهم إحالة الذنب على ملك الأصنام ﴿فألقوا إليهم القول﴾ أى: أنطق الله الأصنام، والأوثان، والشياطين فقالوا للمشركين ﴿إنكم لكاذبون﴾ فيما تزعمون.

٨٧ ﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم...﴾ الاستسلام والانقياد لعذابه والخضوع لعزته ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ ضاع وبطل ما كانوا يعبدونه، فلم يستطع أن يفعل لهم شيئا.

معانى الكلمات:

أكنانا: مواضع تستكنون فيها

ولا هم يستعتبون: لايطلب منهم إرضاء ربهم.

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ
وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا
بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ
ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

٨٨ ﴿الَّذين كفرُوا...﴾ في أنفسهم ﴿وصدُّوا﴾ غيرهم ﴿عن سبيل الله﴾ وهي طريق الإسلام، منعوهم من سلوكها وحملوهم على الكفر بتزيينه لهم ﴿زدناهم عذابا فوق العذاب﴾ لأجل الإضلال لغيرهم.

٨٩ ﴿ويوم نبعث في كلّ أُمّة شهيدًا عليهم...﴾ أى نبيا يشهد عليهم ﴿مَن أنفسهم﴾ من جنسهم ﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿شهيدا على هؤلاء﴾ أى تشهد على هذه الأمم وتشهد لهم، وقيل: على أمتك. ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكلّ شيء﴾ فلا حجة بعده لمحتج، ولا عذر معه لمعتذر ﴿وهدى ورحمة وبشرى للمسْلمين﴾ فمن شاء الهدى فليسلم قبل أن يأتى اليوم المرهوب فلا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون.

الدرس الخامس

(هذا الكتاب وما فيه)

من الآية ١١١/٩٠

مدة الحفظ: (٣ أيام)

٩٠ ﴿إنَّ الله يأمُر بالعدْل والإحسان...﴾ جاء ﴿بالعدْل﴾ الذى يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل. وإلى جوار العدل ﴿الإحسان﴾ يلطف من حدة العدل الصارم الجازم ويدع الباب مفتوحا لمن يتسامح، ومن الإحسان ﴿إيتاء ذي القُربى﴾ أى إعطاؤم حاجتهم ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ الفحشاء: وهو الزنا واللواط وكل قبيح ﴿والمُنكر﴾ وهو كل ما أنكره الشرع ﴿والبغي﴾ هو الكبر والظلم ﴿يعظكُم لعلّكم تذكّرون﴾ بما ذكره في هذه الآية مما أمركم به ونهاكم عنه فتتعظون بما وعظكم الله به.

٩١ ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتُم...﴾ كل عهد يقع من الإنسان كعهد البيعة وغيره ﴿ولا تنقضُوا الأيْمان بعْد توْكيدها﴾ أى: بعد تشديدها وتغليظها وتوثيقها ﴿وقدْ جعلْتُمُ الله عليْكُمْ كفيلاً﴾ أي: شهيدا وقيل: ضامنا ﴿إنَّ اللَّه يعْلم ما تفعلون﴾ فيجازيكم به.

٩٢ ﴿ولا تكُونوا كالّتي نقضت غزْلها...﴾ أى ما غزلته ﴿من بعْد قُوّة﴾ أى من بعد إبرام الغزل وإحكامه ﴿أنكاثا﴾ أى محلولا كما كان قبل الغزل ﴿تتَّخذُون أيْمانكُم دخلاً بيْنكُمْ﴾ الدخل: المكر والخديعة والغش ﴿أن تكُون أُمّةٌ هي أربى من أُمّة﴾ أى: أكثر عددًا منها وأوفر مالاً. قيل: هو تحذير للمؤمنين أن يغتروا بكثرة قريش وسعة أموالهم، فينقضوا بيعة النبى ﷺ ﴿إنّما يبلوكم اللّهُ به﴾ أى: يختبركم هل تتمسكون بحبل الوفاء، أم تنقضون اغترارًا بالكثرة ﴿وليُبيّننّ لكُمْ يوْم القيامة ما كُنتُم فيه تختلفون﴾ فيوضح الحق والمحقين ويرفع درجاتهم ويبين الباطل والمبطلين فيُنزل بهم من العذاب ما يستحقونه.

٩٣ ﴿ولو شاء اللّهُ لجعلكُم أُمّة واحدة.﴾ متفقة على الحق ﴿ولكن﴾ بحكم الإلهية ﴿يضلُّ من يشاء﴾ بخذلانه إياهم عدلاً منه فيهم حتى يستسهلوا النكث والنقض للمواثيق ﴿ويهْدي من يشاء﴾ بتوفيقه إياهم فضلاً منه عليهم ﴿ولتسألُن عمّا كُنتم تعملُون﴾ من الأعمال فى الدنيا.

معاني الكلمات:

أنكاثا: أنقاضًا   دخلاً بينكُم: مفسدة

يبْلُوكُمُ اللّهُ: يختبركم

وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ
أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ
عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

٩٤ ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم...﴾ وهى أيمان البيعة. نهى الذين بايعوا النبى ﷺ عن نقض العهد على الإسلام ونصرة الدين ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ وقد يكون ذلك هلاكه بعد أن كان راسخ القدم فى الثبات على العهود والدوام عليها ﴿وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله﴾ فإن من نقض البيعة وارتد، اقتدى به غيره فى ذلك، فكان فعله سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها ﴿ولكم عذاب عظيم﴾ وهو عذاب الآخرة ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلاً﴾ عوضًا يسيرًا حقيرًا وهو كل عرض دنيوى وإن كان في الصورة كثيرًا ﴿إنما عند الله هو خير لكم﴾ أى ما عنده من النصر فى الدنيا والغنائم والرزق الواسع، وما عنده في الآخرة من نعيم الجنة ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أى إن كنتم من أهل العلم والتمييز. ﴿ما عندكم ينفد﴾ يزول وإن بلغ فى الكثرة أى مبلغ، وأما نعيم الآخرة فهو الباقي الذى لا ينقطع ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ أى: لنجزينهم بسبب صبرهم على الثبات على عهدهم مع النبى ﷺ واستمرارهم على القيام بمشاق التكليف، وجهاد الكافرين، والصبر على ما ينالهم منهم الإيذاء بأحسن ما كانوا يعملون من الطاعات ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾ لأن عمل الكافر لا اعتداد له ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ بالرزق والحلال، وبالتوفيق إلى حلاوة الطاعة ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ لنجزينهم على صبرهم بمضاعفة الأجر وهذا وعد من الله تعالى لمن يصبر على إيمانه وإسلامه ولا يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

٩٨/ ١٠٠ ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله...﴾ وهنا يأخذ السياق فى شئ عن خاصة الكتاب.. عن آداب قراءته. فإذا أردت أن تقرأ القرآن أسأله سبحانه أن يعيذك من وساوس الشيطان الرجيم ﴿إنه ليس له سلطان﴾ أى ليس للشيطان تسلط ﴿على﴾ إغواء ﴿الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يفوضون أمورهم إليه فى كل قول وفعل ﴿إنما سلطانه﴾ أى: تسلطه بالإغواء ﴿على الذين يتولونه﴾ يتخذون وليًا، ويطيعونه فى وساوسه ويعصون الله تعالى ﴿والذين هم به مشركون﴾ الذين هم من أجله وبسبب وسوسته مشركون بالله.

١٠١ ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية...﴾ وهو نسخها بآية سواها ﴿والله أعلم بما ينزل قالوا﴾ أى: كفار قريش الجاهلون للحكمة فى النسخ ﴿إنما أنت مفتر﴾ أى يا محمد إنما أنت كاذب (حاشاه) متقول على الله بما لم يقل!! ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ لأنهم لا يدركون هذه الحكمة فى النسخ فحسبوها افتراء وهو الصادق الأمين.

١٠٢ ﴿قل نزله...﴾ أى القرآن ﴿روح القدس﴾ أى: جبريل المطهر من أدناس البشرية ﴿من ربك﴾ تنزيله من عنده سبحانه ﴿بالحق﴾ الذي لا خطأ فيه لحكمة بالغة ﴿وهدى وبشرى للمسلمين﴾ يهديهم إلى الأحكام الناسخه ويبشرهم على إيمانهم بالناسخ والمنسوخ وغيرها من كتاب الله.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ نزلت حين قال المشركون: إن محمدًا ﷺ سخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدًا، أو يأتيهم بما هو أهون عليهم، وما هو إلا مفتر يقول من تلقاء نفسه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ
ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى
ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟
وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

١٠٣ ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر...﴾ قالوا أن هناك رجل يُعلم الرسول ﴿لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ فكيف يمكن لمن لسانه أعجمى أن يعلم محمدًا هذا الكتاب العربى المبين؟

١٠٤ ﴿إنّ الذين لا يُؤمنون بآيات الله...﴾ أى لا يصدقون بها ﴿لا يهديهم اللهُ﴾ إلى الحق الذى هو سبيل النجاة لما علم من شقاوتهم ﴿ولهم عذاب أليمٌ﴾ بسبب ما هم عليه من الكفر والتكذيب.

١٠٥ ﴿إنّما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله...﴾ فيوضح سبحانه بأن هذا الافتراء لا يصدر إلا من مثل هؤلاء الذين لا يؤمنون ﴿وأولئك﴾ المتصفون بذلك ﴿هم الكاذبون﴾.

١٠٦ ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه...﴾ وهنا يوضح سبحانه أحكام من يكفر بعد الإيمان ﴿إلاّ من أُكره وقلبه مطمئنٌ بالإيمان﴾ فهو مكره فإنه لا إثم عليه.

أما الحالة الثانية ﴿ولكن مّن شرح بالكُفر صدرا﴾ أى رضى به واطمأن إليه ﴿فعليهم غضبٌ مّن الله ولهم عذابٌ عظيم﴾.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾ قال ابن عباس: نزلت فى عمار بن ياسر وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسر وأمّه سميه وصهيبًا وبلالاً وخبابا وسالمًا فعذبوهم، فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجئ قلبها بحَرْبَة وقيل لها: إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين فى الإسلام. وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها، فأُخبر النبى ﷺ بأن عمارًا كفر، فقال: [كلا، إن عمارًا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه] فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكى، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه، وقال: [إن عادوا لك فعد لهم بما قلت] فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٠٧ ﴿ذلك...﴾ الكفر بعد الإيمان ﴿بأنهم استحبُّوا الحياة الدُّنيا﴾ أى بسبب إيثارهم للحياة الدنيا ﴿على الآخرة وأنّ الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ إلى الإيمان به.

١٠٨ ﴿أولئك...﴾ المرتدون المؤثرون الدنيا على أمر الله والإيمان به، هم ﴿الذين طبع الله على قُلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾ فلم يفهموا المواعظ، ولا سمعوها، ولا أبصروا الآيات التى يستدل بها على الحق ﴿وأولئك هم الغافلون﴾ عما يراد بهم، لا غفلة مثل غفلتهم هذه.

١٠٩ ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ أى الكاملون فى الخسران، البالغون إلى غاية منه ليس فوقها غاية.

١١٠ ﴿ثمّ إنّ ربّك للذين هاجروا...﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿من بعد ما فُتنوا﴾ أى فتنهم الكفار بتعذيبهم لهم فرجعوا فى الكفر وسكنوا إليه ﴿ثمّ جاهدوا﴾ فى سبيل الله ﴿وصبروا﴾ على الجهاد، وعلى ما يلقونه من مشاق التكليف ﴿لغفورٌ رّحيمٌ﴾ لهؤلاء المفتونين.

معاني الكلمات:

يلْحدون إليه: يميلون وينسبون إليه

لا جرم: حقّ أو محالة.

استحبوا: اختاروا

فُتنوا: ابتلوا وعُذبوا.

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ
جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا
وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ
ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

١١١ ﴿يوم تأتي كلُّ نفسٍ تجادلُ عن نفسها...﴾ يأتى كل إنسان يجادل عن ذاته لينجو ولا يهمه غيرها ﴿وتوفى كلُّ نفسٍ ما عملت وهم لا يظلمون﴾ ولا غناء فى انشغال ولا جدال. إنما هو الجزاء.

الدرس السادس

(حال مكة وقومها المشركين)

من الآية ١١٢/١٢٨

مدة الحفظ: (يومان)

١١٢ ﴿وضرب اللهُ مثلا قريةً...﴾ وهو مثل بقرية من القرى الظالمة وهي حال أشبه بحال مكة ﴿كانت آمنةً مطمئنةً﴾ جعل فيها البيت، وجعلها بلدًا حراما من دخله فهو آمن مطمئن، وكان الناس يتخطفون من حوله، ثم إذا الرسول منهم يعرفونه صادقًا أمينًا يبعثه الله رحمة لهم وللعالمين دينه دين إبراهيم، فإذا هم يكذبونه ويفترون عليه الافتراءات وينزلون به وبمن معه الأذى

﴿يأتيها رزقها رغدا من كلِّ مكان فكفرت﴾ كما كفر أهل مكة ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ فماذا كانت النتيجة أي عاقبة هذا المثل: ﴿فأذاقها اللهُ لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ ويجسم الله الجوع والخوف فيجعله لباسًا، ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقا.

١١٣ ﴿ولقد جاءهم...﴾ يعنى أهل مكة (أو القرية الممثل بها) ﴿رسولٌ منهم﴾ من جنسهم يعرفون نسبه ﴿فكذبوه﴾ فيما جاء به ﴿فأخذهم العذاب﴾ النازل من الله سبحانه ﴿وهم ظالمون﴾ لأنفسهم بإيقاعها في العذاب الأبدى.

١١٤ ﴿فكلوا مما رزقكم اللهُ حلالا طيبا...﴾ واتركوا الخبائث هو الميتة والدم ﴿واشكروا نعمت الله﴾ التى أنعم بها عليكم واعرفوا حقها ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ ولا تعبدون غيره.

١١٥ ﴿إنما حرّم عليكمُ الميتة والدّم...﴾ وتحريمها لأن فيها أذى، لكن للمضطر حكم خاص ﴿فمن اضطرّ﴾ بشرط ﴿غير باغٍ﴾ وأيضا ﴿ولا عادٍ﴾ ﴿فإنّ الله غفور رحيم﴾

١١٦ ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب...﴾ والمقصود لا تحللوا ولا تحرموا بغير حجة فتقول ﴿هذا حلالٌ وهذا حرامٌ لتفتروا على الله الكذب﴾ فالافتراء هنا هو هذا التحليل وهذا التحريم من غير شرع الله. والسبب ﴿إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ وينطبق معنى هذه الآية على فتيا من أفتى بخلاف ما فى كتاب الله وسنة رسوله.

١١٧ ﴿متاعٌ قليلٌ...﴾ أى لهم متاع قليل ﴿ولهم عذابٌ أليمٌ﴾ يردون إليه فى الآخرة.

١١٨ ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا...﴾ أى حرمنا عليهم خاصة دون غيرهم ﴿ما قصصنا عليك﴾ أى فهذه دون غيرها هى المحرمات من الأطعمة التى حرمها الله تعالى فى القرآن وفى التوراة فمن أين أتيتم بتحريم ما تحرمون من ذلك ؟ ﴿وما ظلمناهم﴾ بذلك التحريم بل جزيناهم ببغيهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ حيث فعلوا أسباب ذلك فحرمنا عليهم تلك الأشياء عقوبة لهم.

معاني الكلمات:

رغدا: طيبًا

الدَّم: المسفوح وهو السائل

اضطرَّ: دعته الضرورة.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١١٩ ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة...﴾ قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل ﴿ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ أى أقلعوا عما كانوا فيه من المعاصي وأقبلوا على فعل الطاعات ﴿إن ربك من بعدها﴾ أي تلك الفعلة والزلة ﴿لغفور رحيم﴾.

١٢٠/١٢٣ ﴿إن إبراهيم كان أمة...﴾ أى كان معلمًا للخير أو جامعًا لخصال الخير. والأمة: هو الإمام الذى يقتدى به ﴿قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين﴾ والقانت: هو الخاشع المطيع والحنيف: المنحرف قصدًا عن الشرك ولم يكن من المشركين بالله كما تزعمه كفار قريش أنه كان على دينهم الباطل ﴿شاكرا لأنعمه﴾ التى أنعم الله بها عليه ﴿اجتباه﴾ أى اختاره للنبوة واختصه بها ﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ وهو ملة الإسلام ودين الحق ﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ أى خصلة حسنة، قيل: هى الولد الصالح، وقيل: النبوة وقيل: هي أنه يتولاه جميع أهل الأديان ﴿ثم أوحينا إليك﴾ يا محمد مع علو درجتك ﴿أن اتبع ملة إبراهيم﴾ فى التوحيد والدعوة إليه، وفى التبرؤ من الأوثان والتدين بدين الإسلام.

١٢٤ ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه...﴾ إنما جعل وبال السبت -وهو المسخ- على الذين اختلفوا فيه، ولم يجعل الالتزام به فرضًا ودينا على إبراهيم ولا على نبيه ﴿وإن ربك ليحكم بينهم﴾ أى بين المختلفين فيه ﴿يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ فيجازى كلا فيه بما يستحقه ثوابًا وعقابًا.

١٢٥ ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة...﴾ ويرسى هنا القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها ويعين وسائلها وطرائقها ويرسم المنهج للرسول الكريم، وللدعاة من بعده أن الدعوة إلى سبيل الله لا لشخص الداعى ولا لقومه، والدعوة بالحكمة، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيره فيتجاوز الحكمة فى هذا كله. والموعظة الحسنة التى تدخل إلى القلوب برفق وتتعمق المشاعر بلطف ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له ولا تقبيح حتى يطمئن إلى الداعى ويشعر أن ذاته مصونه وقيمته كريمة ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ بين أن الرشد والهداية ليس إلى النبي ﷺ وإنما ذلك إلى الله تعالى ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أى بمن يبصر الحق فيقصده غير متعنت.

١٢٦ ﴿وإن عاقبتم...﴾ أي أردتم المعاقبة ﴿فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ ولا تجاوزوا ذلك ﴿ولئن صبرتم﴾ عن أخذ حقكم ممن ظلمكم متى قدرتم عليه ﴿لهو خير للصابرين﴾ فالصبر خير لكم من الانتصاف.

١٢٧ ﴿واصبر...﴾ على ما أصابك من صنوف الأذى ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ أى بتوفيقه وتثبيته ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أى على الكافرين فى إعراضهم عنك ﴿ولا تك في ضيق﴾ أى ضيق صدر ﴿مما يمكرون﴾ من مكرهم فيما يستقبل من الزمان.

١٢٨ ﴿إن الله مع الذين اتقوا...﴾ أي اتقوا المعاصى ﴿والذين هم محسنون﴾ بتأدية الطاعات، والقيام بما أمروا بها منها، فهؤلاء هم الذين ينصرهم الله.

معانى الكلمات:

قانتا: مطيعًا اجتباه: اصطفاه

جعل السبت: فرض السبت.

المراجع

فى ظلال القرآن	سيد قطب
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
تفسير المنار	محمد رشيد رضا
نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم	محمد الغزالى
أيسر التفاسير	أبو بكر الجزائرى
أسباب النزول	للنيسابورى
صفوة التفاسير	للصابونى
تفسير الجلالين	جلال الدين المحلى جلال الدين السيوطى
المصحف المفسر	محمد فريد وجدى

* * *

الفهرس

شكر وتقدير

لكل من ساهم فى نجاح هذا العمل الكبير
ونخص بالشكر
* الأستاذ زين الدين بغدادى الذى قام بالمراجعة المطبعية واللغوية
* شركة ماك شل التى قامت بتصميم الأغلفة
ت: ٤٠١٨٢٣٤ - ٤٠١٩٨٨٥
سائلين المولى عز وجل أن يجعله فى ميزان حسناتهم

* * *

تم الطبع بمطابع كلرز برس
ت : ٣٦٥٧٤٩٢ - ٣٦٢٢٤٨٩ - ٠١٢٢٢٨٣٦٦٦